

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الطائف



مجلة جامعة الطائف

المجلد الرابع - العدد الرابع عشر
ذو الحجة ١٤٣٧ هـ - سبتمبر ٢٠١٦ م

العلوم الإنسانية

جامعة الطائف
مجلة العلوم الإنسانية

مجلة علمية محكمة

المجلد الرابع - العدد الرابع عشر
ذوالحججة ١٤٣٧ هـ - سبتمبر ٢٠١٦ م

رقم الإيداع: ١٤٢٠/٤٧٤٢
ردمك: ٤٧٦٧-١٦٥٨

الآراء الواردة في المجلة لا تمثل بالضرورة وجهة نظر الجامعة
ولا أسرة تحرير المجلة، بل تمثل وجهة نظر الباحثين.

الطباعة:

مطباع السروات بجدة

التصميم

الأعمال الثقافية

مجلة جامعة الطائف

المجلد الرابع - العدد الرابع عشر ١٤٢٧هـ - ٢٠١٦م

هيئة التحرير

رئيس هيئة التحرير

أ. د. تركي سليم المتصوري

أمين هيئة التحرير

أ. د. تركي كديع عباس العتيبي

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. ناصر سعود القنامى د. علي عتيق المالكي

مدير إدارة التحرير

أ. عادل سعود الروضي

الإصداد الفنى

سلمان علي السليماني

عادل علي الحميدي

كلمة هيئة التحرير

نسعد اليوم بإصدار العدد الرابع عشر من المجلد الرابع لمجلة جامعة الطائف (العلوم الإنسانية) والذي حرص فيه أعضاء هيئة التحرير أن تكون مواضيعه البحثية متنوعة وشاملة لشخصيات مختلفة -الإدارة، وال التربية، والشريعة ، ولللغة العربية وأدابها- ورصينة في محتواها، وأصيلة في فكرتها.

وينظرية سريعة على المحتوى نجده يتكون من (١٠) أبحاث علمية جرى تحكيمها وفق المتبوع في سياسة المجلة وتم اجازتها من قبل هيئة التحرير واختيارها لتكون هي المحتوى الرئيسي لهذا العدد والذي سيتبعه أعداداً لاحقة خلال هذا العام.

وهنا لا يسعنا في نهاية المطاف إلا أن نتقدم بخالص الشكر الجزييل لمدير الجامعة وسعادة وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي على دعمهم اللامحدود للمجلة وأعضاء هيئة التحرير، والشكر أيضاً موصول للإخوة الزملاء الباحثين الذين اختاروا هذه المجلة لتكون وعاءً لنشر نتاجهم العلمي.

وأخيراً لا ننسى أن نشكر جهود الإخوة في الإعداد الفني الذين كان على عاتقهم عبئاً كبيراً في إصدار هذا العدد.

والله الموفق،

هيئة التحرير

عنهم / رئيس هيئة التحرير

أ.د. تركي بن سليم المنصوري

محتويات العدد

الإدارة والاقتصاد

he value of non-financial information in Small and Medium-

- 13 Dr. Abdullah Thuail AlOtaibi Sized Enterprise Risk Management in Saudi Arabia

اللغة العربية وآدابها

- نفي الشأن في القرآن الكريم (دراسة بلاغية) د. تقرير عبد العزيز سعد الببارك ١٢
من مظاهر الاختلاف والاختلاف بين بابي التصغير والتسب د. مبروك حمود الشايخ الشمري ٢١
«أثر ألف ليلة وليلة في الأدب الأوروبي» دراسة تقديرية تحليلية د. معتوقة سالم المعطاني ٤٧

الشريعة والأنظمة

- الضوابط الشرعية والقانونية في نقل وزراعة الأعضاء « دراسة مقارنة » د. حسين إبراهيم أحمد إبراهيم ٧٩
المهارة في تحديد الهدف الدعوي في ضوء الكتاب والسنة د. خولة بنت يوسف المقبول ١٣٩
قسم الله بناته المقدسة في القرآن الكريم (دلائل وأبعاد) دراسة تفسيرية د. مسي محمد الحربي ١٦٣

التربية

- الممارسات التدريسية لعلمات التلميدات ذات الإعاقة الفكرية في ضوء نظريات التعلم د. ناصر بن سعيد العجمي ١٩٣
أثروره بنت محمد الخرجي توکید الذات لدى طلاب المرحلة الثانوية في مدينة مكة المكرمة أ.د. أحمد عبد المجيد سهادي ٢٢٩
فاعلية برنامج تدريسي لتطوير الكفاءة التعليمية لعلمي الطلبة ذوي الإعاقة المقلية عبد الرحمن صالح عبد الله الزهراني ٢٥٣



اللغة العربية وأدابها



جامعة المتنابع

نفي الشأن في القرآن الكريم (دراسة بلاغية)

د. تغريد عبد العزيز سعد المبارك
أستاذ مساعد بجامعة أم القرى بمكة المكرمة
(تخصص البلاغة والنقد)

المقدمة :**أهمية دراسة الموضوع :**

يجبن الكلام في اللغة العربية على خلاف مقتضى الظاهر؛ لاعتبارات وأسباب تقتضيها مقامات متعددة، ونفي الشأن باب أصيل في خروج الكلام على خلاف مقتضاه الظاهر، ورد فيه القرآن الكريم بأحوال مختلفة وأغراض بلاغية متعددة تستدعي تسليط الضوء عليها ودراستها؛ لما لهذا التعبير من أثر في الاستدلال على المعنى، وفي الفقه بالأحكام الشرعية الواردة بالتفني الظاهر الذي ياطنه النهي، ولما له من قيمة تعبيرية كامنة خلف تركيبه، هذه القيمة التعبيرية تحتاج إلى إبراز وكشف؛ وهذا كله يحقق جانباً من جوانب الحفاظ على هوية اللغة العربية وتأصيلها في النفوس، ويسهم من طريق آخر في تعزيز جانب من جوانب الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

أهداف دراسة الموضوع :

- ١- الكشف عن سر من أسرار احتلال القرآن الكريم المرتبة العليا في التأليف والأداء والتأثير.
- ٢- معرفة الأغراض البلاغية والسياقات التي يرد فيها نفي الشأن في القرآن الكريم.
- ٣- إبراز القيمة المعنوية التعبيرية الكامنة خلف مجبن نفي الشأن في خطاب مخصوص.
- ٤- معرفة مدى تناسب الخطاب بنفي الشأن في سياق الآية وسياق السورة.
- ٥- معرفة منهج القرآن الكريم في خطابه بنفي الشأن في مقام دون آخر.

خطة البحث :

تدور الدراسة حول ثلاثة مطاليب:

المطلب الأول: تأصيل مفهوم الشأن. ويشمل: معنى الشأن في القرآن وفي الحديث وفي اللغة.
المطلب الثاني: علاقة نفي الشأن بالنفي والنهي. ويشمل: نماذج من القرآن تبين الفرق بين مقامات مجبن نفي الشأن ومقامات مجنيه النفي. ونماذج تبين كيف خرج نفي الشأن إلى تحقيق معنى النهي.

المطلب الثالث: بلاغة نفي الشأن في القرآن الكريم (مقاماته وسياقاته). ويشمل: نماذج تبين الأغراض المختلفة التي حققتها مجبن نفي الشأن في المعنى، وتبيّن المقامات والسياقات الوارد فيها، ومدى تناسب نفي الشأن مع سياق الآية من جهة، ومع السورة الوارد فيها من جهة أخرى.

منهج البحث :

تقوم الدراسة على المنج البلاغي البصاني الذي يقوم على التفصيل والتحصيل، فيسلط الضوء على موضع مجيء أسلوب نفي الشأن في الآية ويبين صلته بسياقه المقامي والخطابي؛ فيصف الظاهرة ويحلل مكوناتها ومكتوناتها، ويستبعد الحقائق الكلية الضابطة للجزئيات مع التعليل الموضوعي.

المطلب الأول / تأصيل مفهوم الشأن :

نفي الشأن من محاسن الكلام وينبني على فهمه معانٍ عظيمة: خاصة ما ورد منه في كتاب الله الكريم، وهذه المعانٍ تعزز الفهم وتعمق الفكير، وتبين أقدار الخطاب والمخاطبين.

الشأن في القرآن الكريم :

لفظ (الشأن) ورد في مواضع عدّة من القرآن الكريم (١) وجاء تفسيره في الآيات كلها بمعنى: الأمر. وسياق الآيات يبيّن أنه أمر عظيم ذي بال. (٢)

وأدل دليل على عظمة الشأن إسناده لله تعالى حين قال عن نفسه: «يَكُلُّهُ مَنْ فِي الْأَمْمَاتِ وَالْأَرْضُ كُلُّهُ يَوْمٌ هُوَ فِي شَأْنٍ» الرحمن (٢٩)، ف جاء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ» من شأنه أن يغفر ذنبًا، ويفرج كرباً، ويرفع قوماً، ويوضع آخرين». (٣)

وغران الذنوب، وتغريج الكروب، ورفع ووضع أقدار أقوام لا يقدر عليها منفردة أو مجتمعة إلا عظيم.

ويستفاد من المعنى القرآني أن الشأن هو: الأمر الجلل، والخطب العظيم، فهو وصف عظيم لحال موصوف عظيم، والصفة يلزم أن تتيق بالموصوف جلالاً وقدراً، فأفعاله تعالى عظيمة تتم عن عظمة فاعلها مع هوانها عليه سبحانه.

الشأن في الحديث الشريف :

جاء عن المصطفى - صلى الله عليه وسلم - في حديث الملاعنة: «لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن». (٤) أي: لولا ما سبق من حكم الله - أي أن اللعان يدفع الحد عن المرأة - لأقمت عليها الحد من أجل الشبه الظاهر الذي رُميته به. (٥) والمعنى من حديث الملاعنة يبيّن عظمة معنى الشأن أيضاً، فإنّ إقامة الحدّ أمر عظيم لا يستهان به، ولو لا ما نفذ من حكم الله: لأنّ إقام المصطفى الكريم الحدّ على المرأة، ذلك الحدّ سمّاه المصطفى شاناً.

الشأن في اللغة :

معنى لفظ (الشأن) عند الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) والأزهري (ت ٣٧٠هـ) : الخطب. (٦)

وعند الجوهرى (ت ٢٩٢هـ) : الأمر والحال، يقال: لأشائن أي: لأفسدن أمرهم . (٧) وعند ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) : أصل واحد يدل على ابتعاد وطلب، من ذلك قول العرب: شائناً شأنه أي: قصدت قصده . (٨)

هذه المعانٍ المستقادة من المعاجم تصب في نفس معين ما جاء به القرآن والحديث من المعنى، فالشأن الأمر الخطب والجلل كما بان من تفسير اللغويين .

وذكر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) نفي الشأن كصورة من صور إخراج الكلام المطلق في صورة المقيد، فقال عن قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ﴾ الأعراف (٨٩)، فالمعني: لا يكون أبداً من حيث علقه بمشيئة الله ، لما كان معلوماً أن يشاوه ، إذ يستحيل ذلك على الأنبياء ، وكل أمر قد عُلِقَ بما لا يكون فقد نفي كونه على أبعد الوجوه .^(١) ويؤخذ منه أن النفي بطريق الكون المسبوق بنفيه هو نفي مبالغ فيه ، وكل أمر جاء نفي الشأن ليدل في معناه على النفي فقد دل على الاستحالة والبعد المشددين .

المطلب الثاني / علاقة نفي الشأن بالنفي والنهي:

أولاً : علاقة نفي الشأن بالنفي :

النفي أسلوب شائع في العربية، ويفيد إنكار ثبوت حكم ما لشيء ما، وفرق بين قول: ما قام زيد، وقول: ما كان زيد ليقوم؛ إذ الأول معناه: نفي القيام عن زيد فحسب، والثاني معناه: أن القيام ما كان ينفيه من زيد وليس من شأنه. وفي القرآن الكريم من النفي ومن نفي الشأن الكثير. ومثال النفي قوله تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوْءَةٌ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)** البقرة (٦) وقوله: **(وَمِنَ الظَّالِمِينَ مَنْ يَقُولُ عَمَّا يَأْتِيهِ اللَّهُ وَمَا تَرَى وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ)** البقرة (٨) هاتان الآية الأولى وردت في مقام ذم الكافرين، وبيان أن سبب عدم هدايتهم هو اعراضهم وصدتهم، كما كانت التقوى هي سبب اهتداء المؤمنين الوارد ذكرهم قبله. وفي الآية أعلاه إخبار مؤكّد بنفي اهتداء الكافرين على وجه الاستمرار والتجدد: بدخول النفي على فعل الإيمان في قوله: **(لَا يُؤْمِنُونَ)**.

ثم أتبع النظم الكريم ذكر المناهقين بعد ذكر الكافرين فقال: **(وَمِنَ الظَّالِمِينَ مَنْ يَقُولُ عَمَّا يَأْتِيهِ اللَّهُ وَمَا تَرَى وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ)** البقرة (٨) لبيان أنهم لا يختلفون عنهم سجية- أي: في عدم إيمانهم - ولكنه صرف ذكر انتقاء الهدایة فأتي بها بطريق الجملة الاسمية: **(وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ)** فما يقع التصرّح على الفاعلين: بياناً لثبات واستقرار وصفهم بعدم الإيمان.

فالنفي في الآيتين السابقتين نفي لأخبار كما بين ظاهرها، ولا يقصد إلى معنى آخر غير النفي وهذا مختلف عن نفي الشأن الوارد في مثل قوله تعالى: **(مَا كَانَ يُشَرِّكُ إِنْ يُرَبِّيَ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالشَّيْوَةَ تُمْ يَقُولُ لِلَّذِينَ كُوْنُوا يَعْبُدُونَ اللَّهُ وَلَكِنَّ كُوْنُوا دَيْنَيْنَ يَعْبُدُونَ كُلَّمَا يُؤْمِنُونَ اللَّهُ وَمَا كَثُرُمُ نَدَرُسُونَ)** آل عمران (٧٩) لأن المعنى: ما كان ينفي ليبشر». فالنفي في هذه الآية منصب على الكون أصلاً وليس على الحديث، أي: ما كان حاصلاً، وهذا أبلغ في النفي. كما أن نفي الشأن يطوي دليله ويرهانه أو سببه معه، فيعزز من تلك المبالغة في النفي.

وبسببه أو دليله قوله: **(أَنْ يُرَبِّيَ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالشَّيْوَةَ تُمْ يَقُولُ لِلَّذِينَ كُوْنُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونَ اللَّهِ)** هكيف يؤتي الله الأنبياء الكتاب والحكم والنبوة ويدعون الناس إلى تصديقه، ثم يقومون بدعاوة الناس إلى عبادتهم من دون الله؟ فهو محل تناقض، فمن أوتي الكتاب والحكم والنبوة: غير حاصل ولا كائن منه ولا ينفي لمثله دعاوة الناس إلى عبادته من دون الله.

وعن تلك المبالغة قال ابن عاشور: «فلمّا أريد المبالغة في النفي: عدل عن نفي الفعل إلى نفي المصدر الدال على الجنس، وجعل نفي الجنس عن الشخص بواسطة نفي الاستحقاق؛ إذ لا طريقة لحمل اسم ذات على اسم ذات إلا بواسطة بعض الحروف، فصار التركيب: ما كان له أن يفعل»^(١).

والمبالفة في النفي استدعاهما مقام بيان جلال قدر الأنبياء وعلو مكانهم ببيان أن الذين اصطفاهم المولى ما يكون منهم مثل ذلك الادعاء .

وغالباً يأتي نفي الشأن لإثبات قضية يجحد بها، وفي سبب نزول الآية^(١٦) ما بين تلك القضية، وهي على الجملة تبين جحد ودفع أن يأتينبي من الأنبياء يدعو إلى عبادة الله وعدم الإشراك به، ثم يأمر بعبادته هو من دون الله أو مع الله - كما ظن بعض أهل الكتاب - وللام الجحود أثر في دفع هذه القضية وجحدها وهي تعمل على تأكيد النفي وزياادة إنكار صحة هذه القضية .

فتفي الشأن غير نفي الحديث ،نفي الشأن صيغة نفي شديدة، ومحلها قضية يراد بيانها وجحدها: ولذلك ينصب النفي فيها على الكون والحصول لا على الحديث : لبيان استحالة حصوله وبعده فضلاً عن نفيه . وسبب بلاغته حمله سببه ويرهانه بطريقه ،كما وضح ذلك من الآية السابقة: مما يجعله جحداً مطلقاً وليس ممما .

ثانياً ، علاقة نفي الشأن بالنهي :

فهم مقاصد مجيء نفي الشأن له أثر بالغ في فهم المعنى وخاصة إذا خرج نفي الشأن إلى معنى النهي؛ لأن له في أغلب أحواله تعلقاً بأحكام وتشريعات دينية يتبعها معرفتها والتقييد بها، ومثاله قوله تعالى: **(مَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَعْمَلُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَهِيدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَطَّتْ أَعْنَاثُهُمْ وَفِي أَنَارَتِهِمْ خَلَائِرُكُوتْ)** التوبة (١٧) ومعنى الآية، أن المساجد إنما تعمر لعبادة الله فيها لا للكفر به، فمن كان بالله كافراً فليس من شأنه أن يعمر مساجد الله^(١٧). فلما كان إعمار المشركين للمسجد الحرام ممهوداً ، وكان ذلك قبل الإسلام وثبات أركانه؛ كان تحريم ذلك على المشركين قضية داعية إلى النقض والجحد، فجاء نفي الكون، ودخلت لام الجحود على لفظ: **(لِلْمُشْرِكِينَ)** لفرض إنكار أن يقع من المشركين إعمار للمسجد الحرام حسناً أو مفيناً، والمعنى: **«ما يتبع المشركين أن يعمروا مساجد الله»**^(١٨)، وقصد نفي الشأن إلى النهي عن أن يتولى المشركون عمارة المسجد الحرام، وسببه ويرهانه قوله تعالى: **«شَهِيدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ»**.

وكأنه يقول: المشركون ليسوا أهلاً، وليسوا مستحقين، وليس من شأنهم ولا ملائم لهم: عمارة المسجد الحرام، والحال أنهم شاهدون على أنفسهم بالكفر، أي: وحالهم فساد معتقدهم ، لأنه جمع بين نقايضين، إذ يعمر المسجد الحرام بعبادة الله لا بالكفر به . وقوله: **«شَهِيدِينَ»** **«قَدْ** للنفي قبله مبين لعلته ، والعلة الحقيقة هي نفس الكفر لا الشهادة به، ونكتة تقديره بها أنه كفر صريح معترض به لا يمكن الماكابرة فيه^(١٩).

ومن نفس الباب قول الله تعالى: **«مَا كَانَ لِلّٰهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَمْ يَكُنْ أُولَئِنَّ قُرْبٌ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَرَّزَ لَهُمْ أَهْمَمُ أَنْ يَصْحَّبُ الْجَحْمَ»** (التوبه (١١٢)).

فجاء نفي الكون ودخلت لام الجحود على لفظ: **«لِلّٰهِ»** ومعطوفه؛ لفرض إنكار أن يقع من النبي -صلى الله عليه وسلم- ومن المؤمنين استغفار للمشركين حتى لو كانوا أولي قربى . فكان نفي الشأن هنا دالاً على معنى النهي، وبؤيده قوله القرطبي: « وهذا يفهم منه النهي عن الاستغفار لمن مات كافرا . »^(١٢) وسببه وبرهانه قوله تعالى: **«مِنْ بَعْدِ مَا تَبَرَّزَ لَهُمْ أَهْمَمُ أَنْ يَصْحَّبُ الْجَحْمَ»** فهو نهي للرسول والمؤمنين عن الاستغفار للمشركين؛ والحال تبين مصدر المشركين، أي: أنهم أصحاب الجحيم بسبب موتهم على الشرك وعبادة الأوثان، وقد قضى ربهم عدم المغفرة لمشرك . ولما كانت قضية استغفار المؤمن لأولي رحمة الكافر^(١٣) داعية إلى التنقض والجحد؛ جاء النهي بصيغة نفي الشأن؛ بمبالغة في بيان أن الاستغفار لا يصدر عن مثل الرسول والمؤمنين للمشركين ، والمعنى: مما كان ينبغي ولا يصح للنبي والمؤمنين ولا من شأن أمثالهم؛ الذي يتضمن إيمانهم بالله وبعدله أن يكون منهم طلب يخالف حكمه! حتى لا يتساوى المؤمن بالكافر في المغفرة «فَيَنْتَفِي التَّفَاضُلُ الْبَاعِثُ عَلَى الرَّغْبَةِ فِي الإِيمَانِ».^(١٤)

فالنفي أدى معنى النهي وزيادة: إذ طلب من المؤمنين الكف عن فعل الاستغفار مع بيان العلة والسبب؛ وهي بيان أن من كان على صفة المؤمنين وشأنهم لا ينبغي منهم صدور هذا الفعل، فهذه الزيادة لا يمكن تحققتها لو كان الأمر صريحاً بطلب الكف عن الفعل مثل قول: لا تستغفروا للمشركين، وهذا يرفع من قيمة النهي ويُوقع أثراً جيداً في الاستجابة والامتثال .

والحاصل أن النفي والنهي أسلوبان شائعان في العربية ولكن نفي الشأن يؤدي معنى أبلغ من النفي؛ لأن نفي موجه للحصول أو الكون، وليس للحدث فقط، وهو كذلك نفي مؤيد بالدليل أو البرهان أو السبب .

وقد يخرج نفي الشأن ليتحقق معنى النهي وزيادة كما عرضنا في الآيتين السابقتين، إذ الزيادة هي نفي الكون والحصول والشأن مما يفيد الاستبعاد والاستحالة لصدور حدث من فئة: نزاهة أو احتقاراً، وهو أبلغ وقعاً من النهي صراحة؛ لأن نفي مؤيد بالدليل أو البرهان أو السبب، وأنه أوقع للاستجابة والامتثال، كما أنه يتعلق في أغلب أوضاعه بالتشريع .

المطلب الثالث / بلاغة نفي الشأن في القرآن الكريم (مقاماته وسياقاته) :

نفي الشأن يأتي في الكلام ليحقق أغراضًا بلاغية تتضمن بمعرفة السياق النصي الوارد فيه، وبمعرفة المقامات التي ذكر فيها أو الأحوال التي أحاطت به . وتحتفل الأغراض التي يتحققها نفي الشأن حسب السياق الوارد فيه أو لأجله، بعرض بعض أغراضه الواردة في القرآن الكريم، ومنها التالي:

أولاً : ماجاء في معنى النهي :

قال الله تعالى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ مَنْ فَعَلَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمَهُ وَسَعَى فِي حَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانُ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَابَتِ الْأَنْفُسُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» البقرة(١١٤) . ذكرت هذه الآية في سياق الإخبار عن اليهود والنصارى وذم أفعالهم ، وإنْ كان قد دلّ بقوله: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ مَنْ فَعَلَ مَسْجِدَ اللَّهِ» على عموم كل مانع للعبادة في مساجد الله، وكل ساع في خرابها سواء في ذلك أكان المقصود من الآية المشركين أو اليهود أو النصارى .^(١٩) وأشار بقوله «أُولَئِكَ مَا كَانُ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَابَتِ الْأَنْفُسُ» إلى عدم قدرة مانعي ذكر الله في المساجد من دخولها إلا على حال من الذعر والخوف أن تصيبهم عقوبة من الله ، قال ابن كثير: «هذا خبر معناه الطلب ، أي لا تتمكنوا هؤلاء إذا قدرتم عليهم من دخولها إلا تحت الهدنة والجزية» .^(٢٠)

ويفهم من قول ابن كثير أن نفي الشأن هنا حق معنى النهي عن تمكين المعتدين من دخول مساجد الله، وكأنه يقول: فلا ينبغي للمعتدين على مساجد الله دخولها ، وهم ليسوا أهلاً لدخولها، ولا يصح منهم دخول إلا على حال من الذل والصغر، وتلك مبالغة في النفي أدت معنى النهي عن تمكين المعتدين من دخول مساجد الله! استدعاهما مقام قداسة كل ما يتصل إلى الله تعالى، مع بيان حقاره شأن المعتدين على مساجد الله خصوصاً وشناعة جرمهم .

هذه الآية ذكرت في المعنى الكلي الأول من معاني سورة البقرة، فحينما كُثُر الكلام في أول هذا المعنى الكلي من المسورة عن التقوى الحاصلة من المؤمنين؛ قوبل بتكييف الكلام عن تقديره من الظلم والاعتداء والفسق الحاصل من كفار أهل الكتاب لما للتقابل من أثر في بيان مخالفته بني إسرائيل لما أمرروا به . ولما كانت المعانى في سورة البقرة قائمة على تحقيق توحيد الألوهية؛ كان النهي عن دخول الكافرين مساجد الله إلا على حال من الذل والصغر أصلاً عظيمًا في هذا المعنى . وكان أسلوب نفي الشأن المعرّب عن النهي أنساب في هذا المقام لأنّه أوقع للامتنال والاستجابة .

وشرط نفي الشأن قوله تعالى: «إِلَّا خَآئِفُونَ» ومنع العبادة في مساجد الله وخرابها سبب في الحكم عليهم بالذل والصغار . وأسهم الفصل لكمال الاتصال بين قوله : «خَآئِفُونَ» وقوله بعده : «لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَرَقَةٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ»؛ حيث نزلت الجملة الثانية منزلة بدل اشتمال من الأولى ، إذ الخوف بعض من الخزي في الدنيا – أسهم الفصل في الوفاء بتأدية غرض الوعيد للمعددين وتمامه ؛ والمقام يقتضي اعتناء بشأن مساجد الله قداسة ورفعة .

هذا السياق يلقي الضوء على جانب من جوانب سوء أعمال اليهود والنصارى القائمة على الظلم والعدوان الناتجة عن ضلالهم واستكبارهم عن سماع الحق ليتحقق النظم الكريم القول في بيان انتقاء هدايتهم لعدم أخذهم بأسبابها من الإيمان بما جاء في التوراة والإنجيل من نبأ صدق نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- ولنقضهم المهدود المأموردة عليهم، وهو معنى عظيم من معاني سورة البقرة : كان لأسلوب نفي الشأن أثره في محله من سياقه ومن المعنى الكلبي الوارد فيه .

ثانياً : ما جاء في معنى الاستحالة والاستبعاد :

قال الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا إِنَّمَا يُكْنِي اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا يَتَبَرَّهُمْ كَلِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ حَتَّلِيْنَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّوَّيْبِيرَا» النساء (١٦٩-١٦٨) .

وردت الآية الكريمة في سياق تسلية الرسول - صلى الله عليه وسلم - في بيان اتحاد رسالة الرسل، واشتراكهم في وظيفة الإنذار والتبيير، وبين أن معاناتهم مع أقوامهم واحدة، وأن شهادة الله على عملهم هي العزة والكفاية لهم ، ومعناها : « إن الذين جحدوا رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - وكفروا بالله بجحود ذلك، وظلموا بمقامهم على الكفر... لم يكن الله ليغفو عنهم ذنوبهم ! بتركه عقوبته عليهم ، ولكنه يفضحهم بها بعقوبته إياهم عليها ». ^(٢١) فنجاعت الآية تبين أن الكفار ليس لهم إلا الذل والهوان وليس لهم إلا طريق واحد يسلكونه ، يقودهم إلى جهنم لا غير .

وهذه الآية ذكرت في المعنى الكلبي الثالث من سورة النساء ! حيث كشف الكلام عن بيان أصل الدين وتقرير مصادر العباد حسب قربهم أو بعدهم من هذا الأصل ، فقرر أن العزة مكتسبة من الإيمان بالله، والذلة مكتسبة من الكفر به ، وأسلوب نفي الشأن عزز هذا المعنى لأن المقصود منه استحالة حصول المقدرة والهدایة للكافرين ، وكأنه يقول: لا ينبغي للكافرين ولا يصح لهم مقدرة ولا هدایة ، وليسوا أهلاً لها : إلا على حال أن تكون هدایة إلى طريق جهنم لا غير . وذلك مسبب عن انتقاء إيمانهم مع ظلمهم . وتلك مبالغة في النفي؛ افتضالها مقام الوعيد والترهيب من الكفر والصد عن سبيل الله ، فجاء نفي الكون ودخلت لام الجحود مرتين: الأولى على الفعل: (يُقْرِن)،

والثانية على الفعل: (يهدىهم)؛ الإنكار إرادة حصولهما وليس الإنكار الفعلين فقط، وذلك أبلغ في النفي، ومما يعزز هذا المعنى مجيء الأفعال على صيغة المضارعة ابتداء بفعل الكون، وهذا يعني تجدد واستمرار إنكار حصول الفعلين معاً.

ومن بلاغة التعبير بنفي الشأن: مجิئه مع برهانه الظاهر من قوله: **(إِلَّا طَرِيقُ جَهَنَّمَ خَلَوْنَاهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّوْدِيَّرَا)** أي: لا يكون ولا يصح ولا ينبغي أن تكون لهم هداية إلا هداية إلى طريق جهنم مقيمين فيها دون خروج، وإنما عبر عن طريق جهنم بالهداية على سبيل التهكم والسخرية، وهو جزاء مسبب عن الكفر والظلم والصد عن سبيل الله.

وهذا المقام يلقى الضوء على جانب من جوانب معاني سورة النساء؛ وهو بيان مصائر الكافرين من الأمم السابقة، وبعدهم عن أصل الدين؛ الذي يعتبر جزءاً من بيان أن طريق العزة والكفاية بالانتقاد لله تعالى ورسوله لا بالاستكاف والمكابرة، وهو أصل عظيم في سورة النساء حققت القول فيه بعد أن أثبتت بناء لحمة المجتمع داخلها على أساس من التراحم والعدل بين أفراده، والإحسان والعدل مع غيرهم، فحصلت المؤمن داخلها وخارجها.

ثالثاً : ماجاء في معنى التبرئة :

قال الله تعالى: **(وَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ يَعْبُدِي أَنِّي صَرِيفٌ مَآتَنَتْ قُلْتَ لِلْأَيْمَنِ أَقْنُدُونِي وَأَنِّي إِلَهٌ يُنْهَى مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحِقٍّ إِنْ كُثُرْ قَلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ فَلَمَّا فَتَنَسْبَوْسَ وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي قَسْبِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَمُ الْغَيْوَبِ)** المائدة(6).

هذه الآية من خواتيم سورة المائدة، وذكرت في سياق ذكر الرسل وجمعهم يوم القيمة وسؤالهم، وذكر الحواريين وقصة طلبهم للمائدة. وأختصر عيسى - عليه السلام - بالحكاية عنه وبيان الحوار بيته وبين ربه: لما له من تعلق بصلب مقصود السورة، فخاطب تعالى نبيه بتوجيه سؤال عما تُسبِّبُ إليه من مقول النصارى - وهو أعلم بالجواب - وجاء الاستفهام داخلاً على المسند إليه دون المسند الفعلي؛ دلالة على تحقق حصول الفعل مع الشك في الفاعل، وهذا يعني أن القول صادر لا محالة، ولكن الشك في قاتله . والمراد التعرير بتوسيع الكفرة على قولهما ما لا يليق عن الله تعالى وعن رسوله - عليه السلام - .

وجاء الجواب مدعماً بنفي الشأن عن عيسى - عليه السلام - مسبوحاً بالمصدر الدال على التبرئة **(سُبْحَنَكَ)** وعلت نبرة النفي بمحاجة نفي الشأن لأن المعنى: لا ينبغي لي، وأنا لست أهلاً، ولا يصح أن يصدر مني هذا القول فضلاً عن كوني لا أستطيعه . وتلك مبالغة في النفي أدت معنى تبرئة عيسى - عليه السلام - من تلك المقوله المنسوبة إليه، وهذا مناسب لمقام اقامة الحجة على النصارى القائلين بتلك المقوله وبيان كذبهم: لأن نفي مع دليله وبرهانه الكاذن في

قوله تعالى: **«إِنْ كُثُرَ قَلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي تَقْسِيْكَ** أي: ليس من شأنه ولا يصح مني قول ذلك حال كون الله عالما بما أعلن وما أخفي، حال كونه محيطا بكل شيء . وأسهم الفصل للاستئناف البياني في قوله: **«مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّي إِنْ كُثُرَ قَلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ** أسمهم في تعزيز معنى تبرئة عيسى -عليه السلام - لأن جملة: **«إِنْ كُثُرَ قَلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ** منزلة منزلة السبب من المسبب. كما أسهم الفصل لكمال الاتصال بين جملة: **«تَعْلَمُ مَا فِي تَقْسِيْكَ ...** والجملة قبلها في التأكيد على معنى التبرئة: لأنها منزلة منزلة التأكيد من متبوءه. ولا يخفى ما للعطف الكائن بين الجملتين في قوله تعالى: **«تَعْلَمُ مَا فِي تَقْسِيْكَ وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي تَقْسِيْكَ** من أثر في تعزيز المعنى نفسه . وترك العطف في فاصلة الآية: **«إِنَّكَ أَنْتَ عَلَمُ الْغَيْوَيْبِ** يؤثر كذلك في تعزيز تبرئة عيسى -عليه السلام - مما تُسَبِّ إِلَيْهِ لأنها تجري مجرى التعليل للجملة السابقة .

فلاما كان النصارى يلقون التهم والأباطيل على عيسى-عليه السلام -من كونه يأمرهم بتاليه وأمه من دون الله! يريدون بذلك تضليل العامة ، وكانت تلك بمثابة قضية يجب جدحها - جاء نفي الشأن مبررًا عيسى -عليه السلام - مدللا على كذبهم، منكرا عليهم . ويعزز تلك المعانى مجىء الأفعال: «يكون - أقول » بحقيقة المضارعة التي تقييد استمرار نفي الشأن عن عيسى-عليه السلام - .

هذا المقام من خاتمة سورة المائدة يؤكد ما تأسس على صعيد المسورة كلها :من بيان أن أحكام الله وتشريعاته أعظم الموثائق في كل الأديان بـأن عظمة الموثيق تقتضي عظمة المشرع وتقرّده بلا منازع؛ذلك فال التشريع خصيصة من خصائص الألوهية لا يجوز تعديلها ولا التدخل بها بحال من الأحوال. وأسلوب نفي الشأن في الآية جاء معززاً لبيان خصائص الألوهية من تبرئة عيسى -عليه السلام- مما ممكّن إلّيـه تبرئـة بـولـغ هـنـها ليتحققـ الـهـدـفـ المرـادـ .

رأيها : ما جاء في معنى التنزية :

قال الله تعالى: **(إِنَّمَا يُحَظِّيُّهُمْ مَنْ فِيهِمْ قُوَّةٌ فَوَرُّجُ وَعَادُ وَسَمُودُ وَقُوَّمٌ إِذْ هُمْ وَاصْحَّبُ مَذَرَّتٍ وَالْمُؤْفَقُ حَكَّتْ أَنَّهُمْ رَسُلُهُمْ بِالْبَيْتِ كَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمُهُمْ وَلَكِنْ كَمُلُّا أَنْفُسَهُمْ يُظْلِمُونَ)** التوبه (٧٠).

ذكرت هذه الآية في سياق البراءة من المنافقين وسلفهم مع الكافرين في العذاب ، وزيادة في الترهيب ذكرهم بأحوال السابقين من قوم نوح وعاد وثمود وإبراهيم وأصحاب مدين والمؤذنات بأسلوب الاستفهام التعجبى ، وعدل عن توجيه الخطاب لهم إلى المخاطب فقال: **(أَلَا يَأْتِيهِمْ تَسجيلاً عَلَيْهِمْ وَإِشَادَاً .**

ومعنى قوله : «**فَمَا أَهْلَكَ اللَّهُ هَذِهِ الْأَمَمِ الَّتِي ذَكَرَ أَنَّهُ أَهْلَكُهَا إِلَّا بِإِجْرَامِهَا وَظُلْمِهَا أَنفُسِهَا، وَاسْتَعْقَافُهَا مِنَ اللَّهِ عَظِيمِ العِقَابِ لَا ظُلْمًا مِنَ اللَّهِ لَهُمْ، وَلَا وَضْعًا مِنْهُ - جَلَ ثَازُوهُ - عَقْبَةٌ فِي غَيْرِ مَنْ هُولَاهَا أَهْلٌ ...»^(٢٢) فتشن النظم الكريم عن الله تعالى الظلم بأبلغ وجه ، وهو نفي الكون مع دخول لام الجحود على الفعل وكأن التعبير: لا يصح ولا يجوز في حقه تعالى ظلم لأحد من عباده وليس من شأنه الظلم ، ولا ينبغي له . وتلك مبالغة في النفي بطريق نفي الشأن أدت معنى تزويه الله عن الظلم ورفع قدره ، استدعاهما مقام بيان العذبة والعبرة من حال الأقوام السابقة للتسجيل عليهم ، وأسلوب نفي الشأن متلازم مع هذا المقام: لأنَّه نفي مؤيد بالدليل والبرهان وهو قوله: «**وَلَكُنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلَمُونَ**» فقد ظلموا أنفسهم بعدم الإيمان ، هناك ذلك سبباً في عذابهم وكان تقديم المفعول: «**أَنفُسَهُمْ**» أثر في إظهار وإبراز من وقع عليه ظلم الظالمين وفيه ترشيح لنفي وقوع الظلم من الله عليهم وتزويه تعالى . ومجيء الفعلين: «**يَظْلِمُهُمْ / يَظْلَمُونَ**» بصيغة المضارعة يدل على تجدد واستمرار نفي الظلم عن المولى تعالى مع تجدد واستمرار ظلم الأقوام لأنفسها بالعناد والاستكبار وعدم الإيمان .**

هذا المقام يلقي الضوء على جزء من معنى عظيم حفقت سورة التوبية القول فيه وهو بيان أعمال المناهقين التي استحقوا بها البراءة المقتصبة للعقاب ، ووجوب عدم موالاتهم وسلامتهم مع الكفار في سلك واحد ، وكان قبل ذلك قد أمر بقتل مشركي العرب وأهل الكتاب صراحة وأبان عن الأساليب التي استحقوا بها العذاب ، فتحقق أسلوب نفي الشأن معنى تزويه الله عن ظلم المُرءَ منهم في هذه السورة ببيان استحقاقهم للعقاب بظلمهم أنفسهم بالعناد والاستكبار .

هذه نظرة على بعض الأغراض البلاغية التي يتحققها أسلوب نفي الشأن في القرآن الكريم وأغراضه كثيرة تسترعى تلبيط الضوء عليها ، وللسياق المقامي والخطابي أثر في بيان بلاغة أسلوب نفي الشأن الذي يحقق لهم مقاصد القرآن الواردة في سياقه .

الخاتمة :

الحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات، والصلة والسلام على نبي الأمة وداعيها وعلى آله وصحبه وسلم ، وبعد...

هندريج دراسة أسلوب نفي الشأن ضمن دراسات الخطاب القرآني الذي يبين مقامات الخطاب بـنفي الشأن وأغراضه البلاغية التي يتحققها؛ وجاءت الدراسة معتمدة المنهج البلاغي البصري، وحصرت في ثلاثة مطالب، الأول: تأصيل مفهوم الشأن . الثاني: علاقة نفي الشأن بالنفي والنهي. الثالث: بلاغة نفي الشأن في القرآن الكريم (مقاماته وسياقاته) . وخلصت الدراسة إلى ما يلي :

- أسلوب نفي الشأن من محاسن الكلام، وينبئ على فهمه معانٍ عظيمة . وهو صورة من صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، صورة من صور إخراج الكلام المطلق في صورة المقيد .

- أسلوب نفي الشأن يختلف عن النفي بمعنى العام، نفي الشأن صيغة شديدة للنفي ومحلها قضية يراد جدها وبيانها . ومن وجه آخر فإن النفي تعلقاً بالنهي حيث يخرج في بعض حالاته لقصد معنى النهي ولكنه يختلف عن النهي صراحة في كونه أوقع أثراً للاستجابة والامتثال بما يتحققه من تزيه أو احتقار .

- فهم مقاصد مجيء أسلوب نفي الشأن له أثر في فهم المعنى ومعرفة أقدار الخطاب والمخاطبين خاصة إذا خرج نفي الشأن إلى معنى النهي لأن فيه تعلقاً بأحكام وتشريعات دينية .

- يُصب النفي على الكون والحصول في أسلوب نفي الشأن؛ البيان استحالة حصوله وبعدة، مع نفي المعنى الوارد في سياقه، ويساق هذا الأسلوب لنفي أمر ذي بال، ولجد قضية يراد بيانها .

- بلاغة أسلوب نفي الشأن تكمن في حمله سببه وبرهانه بطيءه، ويقي تحقيقه أغراض بلاغية أخرى تختلف باختلاف سياقاتها منها: النهي والاستبعاد والاستحالة والتبرئة والتزيه والتحقير، وغيرها كثير .

- للجهود التفسيرية أثر واضح في الإشارة إلى أسلوب نفي الشأن أو تحليله؛ مما يسمى في تطور البلاغة القرآنية خاصة .

هذه بذرة لدراسة أسلوب نفي الشأن في القرآن الكريم، وتوصي الباحثة بحصر أساليب نفي الشأن في القرآن الكريم كله؛ لاستكمال بيان سياقاته ومقاماته وأغراضه البلاغية التي حققها؛ مما يتحققه هذا الأسلوب من أثر في فهم مقاصد القرآن الكريم .

هـوامـش الـبـحـث :

- (١) قال تعالى: (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَلْوِنُ إِذْنَهُ بَنْ قَرْبَانْ ...) يومن (٦١). وقال: (إِنَّ الْقُرْبَانَ ... فَلَا إِنْتَنَذِرْكَ لِيَقْسِمَ كَلَبِهِمْ فَلَذَّ إِنْ وَلَكَ مِنْهُمْ وَلَكَ وَلَكَ فَلَكَ) النور (٦٢). وقال: (يَكْتَلِمُ مِنِ الْقَزْنَى وَالْأَرْضَ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي خَلْقٍ) الرحمن (٢٩). وقال: (لَكُلُّ أَرْبَى وَمِنْهُمْ يُوَسِّعُ كُلَّ أَنْجِيدَهُ) عبس (٣٧).
- (٢) يـنـظـرـ الطـبـرـيـ. مـحمدـ بنـ جـرـيرـ بنـ يـزـيدـ بنـ خـالـدـ. جـامـعـ الـبـيـانـ عنـ تـأـوـيلـ آـيـ الـقـرـآنـ . بـيـرـوـتـ. دـارـ الـفـكـرـ. بـدـوـنـ طـ. ١٤٠٥ـ هـ / ١٢٨٠ـ ١٢٧٧ـ ١٢٧٦ـ ١٢٧٥ـ .
- (٣) الـبـخـارـيـ. مـحمدـ بنـ اـسـمـاعـيلـ أـبـوـ عـبـدـ اللهـ الـبـخـارـيـ الـجـعـفـيـ. صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ . الـيـمـامـةـ/ بـيـرـوـتـ. اـبـنـ كـثـيرـ. ١٤٠٧ـ هـ / ١٩٨٧ـ مـ. الـمـحدـثـ (أـبـوـ الدـرـدـاءـ) كـاتـبـ (التـفسـيرـ) . بـابـ (تـفسـيرـ سـوـرـةـ الرـحـمـنـ) ٤ / ١٨٤٧ـ رـقـمـ الـحـدـيـثـ: (٤٥٦٧ـ) . تـحـقـيقـ دـ. مـصـطـفىـ دـيبـ الـبـغاـ.
- (٤) الـبـخـارـيـ. صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ (مـرـجـعـ سـابـقـ) . الـمـحدـثـ (ابـنـ عـبـاسـ) . كـاتـبـ (التـفسـيرـ) . بـابـ قـولـهـ: () وـيـدـرـأـ عـنـهـ الـمـذـابـ أـنـ تـشـهـدـ أـرـبـعـ شـهـادـاتـ بـالـلـهـ إـنـهـ مـنـ الـكـاذـبـينـ (رـقـمـ الـحـدـيـثـ: ٤٤٧٠ـ) . ١٧٧٧ـ هـ / ٤ـ .
- (٥) الـعـسـقلـانـيـ. الـحـاـفـظـ اـبـنـ حـجـرـ أـحـمـدـ بـنـ عـلـيـ . فـتـحـ الـبـارـيـ بـشـرـ صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ . دـارـ الـعـرـفـ . بـيـرـوـتـ . لـبـانـ . بـدـوـنـ طـ. ٢٧٢ـ هـ / ١ـ . قـرـأـ أـصـلـهـ تـصـحـيـحاـ وـتـحـقـيـقاـ وـأـشـرـفـ عـلـىـ مـقـاـبـلـةـ نـسـخـةـ عـبـدـ الـعـزـيزـ بـنـ بـازـ . رـقـمـ كـتـبـهـ وـأـبـوـابـهـ وـأـحـادـيـثـهـ: مـحـمـدـ هـزـادـ عـبـدـ الـبـاقـيـ . قـامـ بـإـخـرـاجـهـ وـأـشـرـفـ عـلـىـ طـبـعـهـ: مـعـبـدـ الـدـينـ الـخـطـلـيـ .
- (٦) يـنـظـرـ الـقـرـاهـيـديـ. أـبـوـ عـبـدـ الرـحـمـنـ الـخـلـيلـ بـنـ أـحـمـدـ . كـاتـبـ الـعـيـنـ . دـارـ وـمـكـتبـةـ الـهـلـالـ . بـدـوـنـ طـ. بـدـوـنـ تـ. تـحـقـيقـ: مـهـدـيـ الـمـخـزـومـيـ وـإـبـراهـيمـ السـامـرـائـيـ . وـيـنـظـرـ الـأـزـهـريـ . أـبـوـ مـنـصـورـ مـحـمـدـ بـنـ أـحـمـدـ . تـهـذـيبـ الـلـغـةـ . دـارـ إـحـيـاءـ الـتـرـاثـ الـعـرـبـيـ . بـيـرـوـتـ . ٢٠٠١ـ هـ / ١٢٠٠ـ مـ . تـحـقـيقـ: مـحـمـدـ عـوـضـ مـرـعـبـ .
- (٧) الـجـوـهـريـ. إـسـمـاعـيلـ بـنـ حـمـادـ . تـاجـ الـلـغـةـ وـصـحـاحـ الـعـرـبـيـ . دـارـ الـعـلـمـ الـمـلـاـيـنـ . بـيـرـوـتـ . طـ. ١٩٩٠ـ .
- (٨) اـبـنـ هـارـسـ . أـبـوـ الـحـسـنـ أـحـمـدـ بـنـ هـارـسـ زـكـرـيـاـ . مـعـجمـ مـقـايـيسـ الـلـغـةـ . دـارـ الـفـكـرـ . بـدـوـنـ طـ. بـدـوـنـ تـ. تـحـقـيقـ وـضـيـعـلـ: عـبـدـ الـسـلـامـ هـارـونـ .
- (٩) الـزـركـشـيـ. بـدرـ الـدـينـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ اللهـ . الـبـرـهـانـ فـيـ عـلـومـ الـقـرـآنـ . دـارـ الـكـتـبـ الـعـلـمـيـةـ . بـيـرـوـتـ / لـبـانـ . بـدـوـنـ طـ. ١٤٢٢ـ هـ / ٢٠٠١ـ مـ . ٤٦٦ـ هـ / ٢ـ . خـرـجـ حـدـيـثـهـ وـقـدـمـ لـهـ وـعـلـقـ عـلـيـهـ: مـصـطـفىـ عـبـدـ الـقـادـرـ عـطـاـ .
- (١٠) الـطـبـرـيـ. جـامـعـ الـبـيـانـ عنـ تـأـوـيلـ آـيـ الـقـرـآنـ (مـرـجـعـ سـابـقـ) . ٣٢٥ـ هـ / ٢ـ . وـمـثـلـهـ عـنـ الـقـرـطـلـيـ . أـبـيـ عـبـدـ اللهـ مـحـمـدـ بـنـ أـحـمـدـ بـنـ أـبـيـ بـكـرـ بـنـ فـرـحـ الـأـنـصـارـيـ الـخـزـرجـيـ شـعـمـ الدـينـ . الـجـامـعـ لـأـحـكـامـ الـقـرـآنـ . دـارـ الـعـالـمـ الـكـتـبـ الـرـياـضـ / الـمـلـكـةـ الـعـرـبـيـةـ الـسـعـودـيـةـ . بـدـوـنـ طـ. ١٤٢٢ـ هـ / ٢٠٠٢ـ مـ . ٤ـ / ١٢١ـ . تـحـقـيقـ: هـشـامـ سـعـيـدـ الـبـخـارـيـ .
- (١١) اـبـنـ عـاشـورـ . مـحـمـدـ الـطـاهـرـ . تـقـسـيـرـ التـحـرـيرـ وـالـتـقـوـيـرـ . دـارـ سـجـنـونـ - تـونـسـ . بـدـوـنـ طـ. ٢٩٢ـ هـ / ٢ـ .
- (١٢) ” قـالـ أـبـوـ رـافـعـ الـقـرـظـيـ حـيـنـ اـجـتـمـعـ الـأـحـبـارـ مـنـ الـيـهـودـ وـالـنـصـارـيـ مـنـ أـهـلـ نـجـرـانـ عـنـ دـرـسـوـلـ اللـهـ - صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - وـدـعـاـهـمـ إـلـىـ إـلـاسـلـامـ : أـتـرـيدـ يـاـ مـحـمـدـ أـنـ تـعـبـدـكـ كـمـاـ تـعـبـدـ الـنـصـارـيـ عـيـسـىـ بـنـ مـرـيـمـ ؟ هـقـالـ رـجـلـ مـنـ أـهـلـ نـجـرـانـ نـصـرـانـ يـقـالـ لـهـ الرـئـيـسـ : أـوـ ذـاكـ أـتـرـيدـ مـنـ يـاـ مـحـمـدـ ، وـالـلـهـ تـدـعـونـاـ ؟ أـوـ كـمـاـ هـقـالـ . هـقـالـ رـسـوـلـ اللـهـ - صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ : مـعـاذـ اللـهـ أـنـ تـبـدـغـ غـيـرـ اللـهـ ، أـوـ أـنـ تـأـمـرـ بـعـيـادةـ غـيـرـهـ ، مـاـ بـذـلـكـ بـعـثـيـ . وـلـاـ بـذـلـكـ أـمـرـتـيـ . أـوـ كـمـاـ هـقـالـ - صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - هـأـنـزـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ يـفـيـ ذـلـكـ مـنـ قـوـلـهـماـ : مـاـ كـانـ لـبـشـرـ أـنـ يـؤـتـيـهـ اللـهـ الـكـتـابـ وـالـحـكـمـ وـالـنـبـوـةـ) إـلـىـ قـولـهـ (بـعـدـ إـذـ أـتـمـ مـسـلـمـونـ) (شـاـكـرـ .

- أحمد محمد . عمدة التفسير من تفسير ابن كثير. دار الوفاء .٢٦٢٦هـ . المحدث: عبد الله بن عباس . ٢٨٥/١ .
- (١٢) الطبرى . جامع البيان عن تأویل آي القرآن (مراجع سابق) . ٩٢/١٠ .
- (١٤) المراجع السابق . ٩٢/١٠ .
- (١٥) رضا . محمد رشيد بن علي . تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٩٠م . ١٨٨/١٠ .
- (١٦) القرطبي . الجامع لأحكام القرآن (مراجع سابق) . ٢٢٠/٨ .
- (١٧) عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت آبا طالب الوفاة دخل عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - وعندته أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال النبي - صلى الله عليه وسلم : آبي عم ، قل لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا آبا طالب ، أترغب من ملة عبد المطلب ؟ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لأنستقرون لكتل ماتم آله عقلك . فنزلت : (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستقرُوا للمشرِّكين...) البخاري . صحيح البخاري (مراجع سابق) . المحدث: سعيد بن المسيب . كتاب : (التفسير) باب قوله تعالى: (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستقرُوا للمشرِّكين...) . ٤/١٧١٧ .
- (١٨) ابن عاشور . التحرير والتتوير (مراجع سابق) . ٤٤/١١ .
- (١٩) ينظر الطبرى . جامع البيان عن تأویل آي القرآن . ١/٤٩٨ وما بعدها .
- (٢٠) ابن كثير . إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي أبو الفداء . تفسير القرآن العظيم . دار الفكر . بدون حد ١٤٠١هـ . ١/١٥٧ .
- (٢١) الطبرى . جامع البيان عن تأویل آي القرآن (مراجع سابق) . ٢٢/٦ .
- (٢٢) الطبرى . جامع البيان عن تأویل آي القرآن . ١٠/١٧٧ .

المصادر والمراجع

- ابن عاشور . محمد الملاhir . تفسير التحرير والتتوير . دار سخنون - تونس . بدون طبعة . بدون تاريخ .
- ابن فارس . أبو الحسن أحمد بن فارس ذكريا . معجم مقاييس اللغة . دار الفكر . بدون طبعة . بدون تاريخ . تحقيق وضبط عبد السلام هارون .
- ابن كثير . إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي أبو الفداء . تفسير القرآن العظيم . دار الفكر . بدون طبعة . ١٤٠١هـ .
- الأزهري . أبو منصور محمد بن أحمد . تهذيب اللغة . دار إحياء التراث العربي - بيروت . الطبعة الأولى . ٢٠٠١م . تحقيق محمد عوض مرعب .
- البخاري . محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي . صحيح البخاري . اليمامة / بيروت - ابن كثير . ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م . تحقيق د. مصطفى ديب البنا .
- الجوهري . إسماعيل بن حماد . تاج اللغة وصحاح العربية . دار العلم للملايين - بيروت . بدون طبعة . بدون تاريخ .
- رضا . محمد رشيد بن علي . تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . بدون طبعة . ١٩٩٠م .
- الزركشي . بدر الدين محمد بن عبد الله . البرهان في علوم القرآن . دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان . بدون طبعة . ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م . خرج حديثه وقدم له وعلق عليه: مصطفى عبد القادر عطا .

- شاكر، أحمد محمد . عمدة التفسير من تفسير ابن كثير. دار الوفاء. الطبعة الثانية . ١٤٢٦هـ .
- الطبرى . محمد بن جرير بن يزيد بن خالد . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . بيروت / دار الفكر، بدون طبعة . ١٤٠٥هـ .
- العسقلانى .الحافظ ابن حجر أحمد بن علي .فتح الباري بشرح صحيح البخارى . دار المعرفة. بيروت-لبنان . بدون تاريخ، بدون طبعة. قرأ أصله تصحيحاً وتحقيقاً وأشرف على مقابلة نسخه: عبد العزيز بن باز. رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد هزاد عبد الباقى . قام بإخراجه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب .
- الفراهيدى . أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد .كتاب العين. دار ومكتبة الهلال. المطبعة الرابعة .يناير ١٩٩٠ . تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي .
- القرطبي . أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين .الجامع لأحكام القرآن . دار عالم الكتب- الرياض/ المملكة العربية السعودية . بدون طبعة . ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٣م . تحقيق: هشام سمير البخاري .



جامعة المتنابع

من مظاهر الاتفاق والاختلاف بين بابي التصغير والنسب

د. مبروك حمود الشاعر الشمري

الأستاذ المشارك بجامعة حائل / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

الملخص :

يُعنى هذا البحث بتتبع مظاهر الاختلاف أو الاختلاف بين بابين مهمين من أبواب الصرف العربي، وهما باب التصغير وباب النسب، محاولاً أن يقسم تلك المظاهر اختلافاً أو اختلافاً ، ويضرب الأمثلة على ذلك، مع تدعيم ذلك بأقوال النحويين القدماء ، دون إهمال لما قاله بعض المحدثين، من أجل الوصول إلى فهم فلسفة هذين البابين اللذين هما نتاج الفكر العربي ، في ألفاظهما وقواعدهما.

capitulation

This research is interested in remembrance of the faces of compatibility and differences between the subject and the subject of miniaturizations

المقدمة :

يلحظ القارئ في التحو العربي أن باب التصغير وباب النسب يأتي أحدهما بعد الآخر في كثير من الكتب النحوية ، مما يدل على أن القدماء أدركوا أن هناك بعض الوشائج والصلات بين هذين البابين ، ولا يعني هذا التقارب بين البابين أنه لا اختلاف بينهما.

وذلك التوافقات والاختلافات هي ما يحاول البحث تحليله وبيان بعض مظاهره في القضايا العامة بعيداً عن التفصيات والجزئيات : إذ الهدف هو الموازنة بين فلسفة البابين في أمورهما العامة ، واستحضار ما ذكره القدماء حول ذلك ، مع التعرير على بعض ما قاله المحدثون وما ذكرته بعض المراجع الحديثة .

ورغم الدراسات الكثيرة حول موضوع التصغير أو موضوع النسب ، إلا أنني لم أجد دراسة اتفقت بذكر الاختلافات بين البابين أو الفروق بينهما ، مما يجعل هذا الموضوع حريا بالبحث والدراسة.

أولاً : أوجه الاختلاف بين البابين.**١- مجيء ياء زائدة على بنية الكلمة :**

تزاد ياء في آخر الاسم المنسوب إليه، وكذلك تزداد ياء بعد الحرف الثاني من الاسم المضمر ، إلا أنها في التصغير مخففة وفي النسب مشددة، وعن سبب زيادتها في التصغير قال ابن يعيش (ت: ٦٤٣هـ) : (فإن قيل : ولمْ كان المزيد ياء دون غيرها من الحروف ؟ فالجواب : كان الدليل يقتضي أن يكون المزيد أحد حروف المد واللين! لخفتها وكثرة زيادتها في الكلم ، فتكتبو عن الألف : لأن التكسير قد استبد بها ... فعدلوا إلى الياء ، لأنها أخف من الواو)^(١)

ويثير ابن يعيش هذا التساؤل مرة أخرى في باب النسب ، قائلاً (فإن قيل : ولمْ كانت الياء هي المزيدة دون غيرها ؟ فالجواب : أن القياس كان يقتضي أن تكون أحد حروف المد واللين ... إلا أنهم لم يزيدوا الألف : التلا يصير الاسم مقصوباً، فيمتنع من الإعراب ، وكانت الياء أخف من الواو فزييت) ^(٢).

مما تقدم يتضح أن علة زيادة الياء في التصغير والنسب واحدة وهي أن الياء من حروف العلة التي هي أم الزوائد وكانت الياء أولى من اختيارها الألف والواو لكونها أخف من الواو وأخص من الألف ، بيد أن أبي حيان (ت: ٧٤٥هـ) ذكر في الارتفاع ^(٣) أن بعض الكوفيين أجاز أن تكون

(١) شرح المفصل لابن يعيش : ٢/٢٩٧.

(٢) نفسك : ٢/٤٣٨.

(٣) الارتفاع : ١/٣٥٤.

علامة التصغير الألف بدلا عن الياء كتولهم : هـاـهـ وشـواـهـ دـوـاهـ في تصـيـفـيـرـ هـدـهـ وـشـابـهـ دـوـاهـ، إلا أن هذا خلاف قول الجمهور؛ لـذـاـ لم يـلـقـ عـلـيـهـ أـبـوـ حـيـانـ ، والـذـي يـظـهـرـ لـيـ أنهـ تـكـبـيرـ لـمـكـبـرـ وـلـيـسـ تصـيـفـيـراـ ؛ إـذـ ماـ يـزـالـ هـذـاـ اللـونـ مـوـجـودـ فيـ بـعـضـ الـلـهـجـاتـ الـعـامـيـةـ ، كـتـولـهـمـ : بـوـاتـ وـبـوـابـ فيـ تـكـبـيرـ بـيـتـ وـبـابـ .

ويرى علماء اللغة المحدثون أن الياء في النسب هي من اللواحق، بينما الياء في التصغير هي من الدواخل أي داخل بنية الكلمة، فـ(ـالـتصـيـفـيـرـ يـدـخـلـ عـلـىـ الصـيـفـةـ الـأـسـمـيـةـ ، أيـ أنهـ يـخـتـصـ بـالـدـوـاـخـلـ) ^(١) بينما النسب (ـعـمـادـ الـلـصـقـ ، إـذـ تـلـحـقـ بـآـخـرـ الـأـسـمـ يـاءـ مـشـدـدـةـ ، وـهـيـ الـتـيـ تـحـمـلـ دـلـالـةـ النـسـبـ) ^(٢) .

وهـذاـ الاـخـتـلـافـ بـيـنـ الـيـائـيـنـ (ـيـاءـ التـصـيـفـ وـيـاءـ النـسـبـ)ـ هوـ اـخـتـلـافـ مـوـضـعـيـ لـاـ غـيرـ ، فالـزـيـادـةـ عـلـىـ بـنـيـةـ الـكـلـمـةـ حـصـلـتـ فـيـهـماـ ، مـهـمـاـ اـخـتـلـفـ عـبـارـاتـ الـمـحـدـثـيـنـ فـيـ ذـلـكـ .

٢- الاختصاص بالأسماء :

للـاسـمـ عـلـامـاتـ تـفـرـقـهـ عـنـ الفـعـلـ وـالـحـرـفـ (ـوـمـنـهـ: التـصـيـفـ؛ نـحـوـ زـيـدـ وـعـمـيرـ فيـ تصـيـفـ زـيـدـ وـعـمـروـ ، وـمـنـهـ النـسـبـ؛ نـحـوـ زـيـديـ وـعـمـريـ فيـ النـسـبـ إـلـىـ زـيـدـ وـعـمـروـ) ^(٣) .
وـلـأـنـ التـصـيـفـ يـخـتـصـ بـالـاسـمـ حـكـمـ بـالـشـذـوذـ عـلـىـ مـجـيـئـهـ فيـ غـيرـ الـاسـمـ وـيـعـدـ قـيـاسـيـةـ ذـلـكـ ، وقد نـصـ سـيـبـوـيـهـ عـلـىـ ذـلـكـ بـقـوـلـهـ (ـوـسـأـلـتـ الـخـلـيلـ عـنـ قـوـلـ الـعـربـ: مـاـ أـمـيـلـهـ. فـقـالـ: لـمـ يـكـنـ يـنـبـغـيـ أـنـ يـكـوـنـ فـيـ الـقـيـاسـ؛ أـلـفـ الـفـعـلـ لـاـ يـحـقـرـ ، وـإـنـمـاـ تـحـقـرـ الـأـسـمـاءـ؛ لـأـنـهـاـ توـصـفـ بـمـاـ يـعـظـمـ وـيـهـوـنـ ، وـالـأـفـعـالـ لـاـ توـصـفـ ، فـكـرـهـوـاـ أـنـ تـكـوـنـ الـأـفـعـالـ كـالـأـسـمـاءـ لـخـالـقـتـهاـ إـيـاهـاـ فـيـ أـشـيـاءـ كـثـيرـةـ...ـ وـلـيـسـ شـيـءـ مـنـ لـفـعـلـ وـلـاـ شـيـءـ مـمـاـ سـمـيـ مـنـهـ بـهـ الـفـعـلـ يـحـقـرـ إـلـاـ هـذـاـ وـحـدـهـ وـمـاـ أـشـبـهـهـ مـنـ هـوـلـكـ: مـاـ أـفـعـلـهـ) ^(٤) .
فـالـعـلـةـ -ـ كـمـاـ أـشـارـ سـيـبـوـيـهـ -ـ هيـ أـنـ الـأـسـمـاءـ توـصـفـ بـيـنـمـاـ الـأـفـعـالـ لـاـ توـصـفـ، وـالـتـصـيـفـ ضـرـبـ مـنـ الـوـصـفـ -ـ كـمـاـ سـيـأـتـيـ -ـ فـقـاتـبـ الـأـسـمـاءـ دـوـنـ الـأـفـعـالـ .

أـمـاـ النـسـبـ فـهـوـ خـاصـ بـالـأـسـمـاءـ كـالـتـصـيـفـ؛ لـأـنـ الـفـرـضـ مـنـهـ هوـ (ـأـنـ تـجـعـلـ الـنـسـبـ مـنـ آلـ الـمـنـسـوبـ إـلـيـهـ أـوـ مـنـ أـهـلـ تـلـكـ الـبـلـدـةـ أـوـ الصـنـعـةـ) ^(٥) .ـ وـهـذـاـ أـمـرـ يـخـصـ الـاسـمـ دـوـنـ الـفـعـلـ، (ـوـكـانـ مـقـتـضـيـ الـقـيـاسـ أـنـ الـجـمـلةـ لـاـ يـنـسـبـ إـلـيـهـاـ كـمـاـ أـنـهـ لـاـ تـتـنـىـ وـلـاـ تـجـمـعـ وـلـاـ تـعـرـبـ وـلـاـ تـضـافـ وـلـاـ تـصـفـ

(١) علم الصرف الصوتي: ٣٩٩.

(٢) علم الصرف الصوتي: ٤٤٠.

(٣) أسرار العربية: ٣٦.

(٤) الكتاب: ٢/٤٧٨-٤٧٧.

(٥) التصریح على التوضیح: ٥٨٧/٢.

وإنما جاز النسب إلى الصدر منها تشبيها بالمركب تركيب مزج^(١).

٣- الاختصار والاستفنا عن الوصف:

التصغير والنسب ضربان من ضروب الاختصار في العربية؛ إذ أن قليم مثلا يعني عن أن يقال: قلم صغير، وكذلك يعني قوله: رجل مكي، عن أن تقول: رجل من أهل مكة، وهذا ما أشار إليه رضي الدين الأستريادي بقوله: (واعلم أنه قد صدوا بالتصغير والنسب الاختصار كما في الثنوية والجمع وغير ذلك، إذ قولهم: رُجَيل، أخف من رجل صغير، وكويفي أخص من منسوب إلى الكوفة، وفيهما معنى الصفة كما ترى)^(٢).

فالتصغير والنسب تضمنا أمرين: الوصف والاختصار، كما أن المثل أعني عن تكرار الاسم مرتين، والجمع أعني عن تكرار الاسم مرات عدة، إلا أن الاستفنا في الثنوية والجمع هو استفنا عن التكرار، وفي التصغير والنسب هو استفنا عن الوصف.

ويذكر الدكتور الحازمي^(٣) أن الجنوح إلى الاختصار والسهولة هو من طبيعة الإنسان اللغوية وأن اللئات تتجه إلى التيسير - كما يقول علماء اللغة المحدثون - ومن أمثلة ذلك التصغير الذي يعني عن الوصف

٤- حدوث اللبس في بعض الأحوال.

قد يحدث لبس في التصغير فيكون تصغير كلمتين أو أكثر واحدا، ويكون السياق هو الكفيل ببيان المراد؛ لأن التصغير له صيغ محددة هي (فُعيل، وفعيل، وفعييل) فالكلمات المتماثلة في حروفها تتزاحم على صيغة التصغير الخاصة بها، فـ(حمل وحمل وحمل) تصغيرها على حَيْل، وغَرَاب وغَرِيب تصغيرهما: غَرِيب، ولا يمكن التمييز في ذلك إلا من خلال السياق، وهذا ما أشار إليه ابن جني في حديثه عن اللبس في بعض الصيغ، وذلك قوله: (ولم يعيثوا بالالتباس؛ لأنهم قد يصلون إلى إبانته أغراضهم بما يصحبونه الكلام مما يقدم قبله أو يتاخر بعده، وبما تدل عليه الحال، ألا ترى أنك تقول في تحبير عمرو: عَبِير، وكذلك تقول في تحبير عمر، وكلاهما مصروف في التحبير، وهذا باب واسع، وإنما يعتمد في تحديد الفرض فيه بما يصحب الكلام من أوله، أو آخره، أو بدلالة الحال، فإن لها في إفادته المعنى تأثيرا كبيرا)^(٤).

والنسبة يحدث فيه شيء من هذا اللبس، وبيقى السياق هو الفيصل في تحديد المراد

(١) هم الهمامج ٢٩٥/٢، وانتظر الارتفاع ٦٠٠/٢.

(٢) شرح شافية ابن الحاجب للرضي ١٩٢/١.

(٣) التصغير في اللغة العربية، مجلة جامعة أم القرى، العدد ٢١، ٢٠٠١.

(٤) المنصف ٢٥٥/١.

ففي النسب إلى ما آخره ياء مشددة مثل: كرسي والشافي ، (تقول في النسب إليهما: كرسي، وشافي، فتحذف الياء المشددة منها، وتجعل مكانها ياء للنسبة، هيئحة لفظ المنسوب، ولنقط المنسوب إليه، ولكن يختلف التقدير)^(١).

وهذا التقدير تظهر خاتمته في صرف أو منع الصرف للاسم الذي على صيغة منتهى الجمع مثل: بخاتي وكراسى ، (إذا سُمي بهما مذكر، ثم نسب إليه، فإنه قبل النسبة معنون من الصرف، لوجود صيغة منتهى الجموع، نظرًا لما قبل التسمية، فإن الياء من بنية الكلمة، وبعد النسبة يصير مصروفًا لزوال صيغة الجمع بباء النسبة)^(٢).

وهذا اللبس الذي يحدث في بابي التصغير والنسب ، مرده في التصغير إلى التشارك في صيغة واحدة ، أما في النسب فمرده إلى التشارك في ياء مشددة بين الاسم المنسوب والاسم غير المنسوب .

فاللips حاصل فيما (التصغير والنسب) إلا أن السبب الذي أوقع في اللبس مختلف فيما.

٥- التوافق في التعامل مع جمع الكثرة :

يشترك التصغير والنسب في تعاملهما مع جمع الكثرة، فلا يصفر جمع الكثرة على لفظه ولا ينسب إليه ، فإذا ما أردت تصغير جمع الكثرة (رددته إلى جمع الكلمة إن كان له جمع قلة نحو: جمال، تقول في تصغيره: أحجيمال، فتردّه إلى أحجام، ثم تصغره وإنما كان كذلك لأن التصغير تقليل فلم يجتمع مع ما يدلّ على الكثرة ، فإن لم يكن له جمع قلة جمعته بالآلف والتاء نحو: دريمات ورجيلات)^(٣).

فالعلة في عدم تصغير جمع الكثرة أن ذلك يحدث تناقضًا ، وذلك أن من معاني التصغير الدلالة على القلة ، وجمع الكثرة ضد ذلك ، فلو صُفر لكان في ذلك جمع بين الشيء وضده ، وهذا من عيوبية العربية الفدنة التي لا ترضى بالجمع بين المتضادتين والمتناقضتين.

هذا، وقد استثنى الكوفيون جمع الكثرة الذي له نظير من الأحاد ، فأجازوا تصغيره ، مثل: رغفان ورغيفان كعثمان وعثمان^(٤).

وكما لا يصفر جمع الكثرة فإنه أيضًا لا يجوز النسب إليه على الرأي المشهور وهو رأي البصريين، وإنما ينسب إلى مفرده ، وهذا رأي البصريين، وخالفهم الكوفيون فأجازوا النسب إلى جمع الكثرة ، وارتضى مذهبهم مجمع اللغة بالقاهرة، مقرراً أن (أهل الكوفة يخالفون أهل

(١) التصریح على التوضیح : ٥٨٨/٢.

(٢) شذا المرف : ١٠٦.

(٣) اللباب في علل البقاء والإعراب : ١٧٧/٢.

(٤) ارتضاف الضرب : ٣٥٢/١.

البصرة في مسألة النسبة إلى الجمع بردّه إلى واحدة؛ فيجوز أن ينسب إلى جمع التكسير بلا رد إلى واحدة؛ فلا يغير الوضع. وهذا هو الأصل العام، وفيه إبداء لإرادة المتكلم؛ فتُميّز المنسوب إلى الجمع من المنسوب إلى واحدة؛ فيقال مثلاً في النسبة إلى الملوك: الملكي، وفي النسبة إلى الدول: الدولي، وفي النسبة إلى الكتاب: الكتابي، فلا تُستوي النسبة إلى الجمع والنسبة إلى واحدة^(١). والذى يظهر لي أن الأصل أنه لا يجوز النسب إلى جمع الكثرة كما هو رأى البصريين، إلا أن اشتهر ذلك ، وكان في السياق ما يدعمه ، كالجزائر والماليك ... وغيرها من الألفاظ التي اشتهرت النسبة إليها رغم أنها جمع كثرة؛ لأن الأمر لو كان جائزًا مطلقاً لارتكبته العرب ، ولجاءت عنهم نصوص متکاثرة؛ لأن النسب إلى الجمع مباشرةً أسهل بكثير من إرجاعه لمفردته ثم النسب إلى المفرد ثم جمعه جمع سلامة بعد ذلك ، فعندهما تكتبت العرب هذا الطريق على الرغم من سهوته ، دل ذلك على أن ذلك ليس من نهجهم القويم أو كلامهم الرصين .

٦- غلبة قلب الألف ووا في البابين.

تغلب الياء على الواو كثيراً^(٢) ، إلا أن الغلبة في هذين البابين - فيما يخص الألف - هي للواو ، ففي التصغير تتغلب الواو على الياء ، بدليل أن الألف مجهولة الأصل ، تغلب واوا في التصغير وهو ما نبه إليه ابن عيسى بقوله: ((إِنْ لَمْ يُرَفَّ لَهُ (الاسم الذي فيه ألف) أَصْلٌ فِي الْوَاوِ وَالْيَاءِ، فَلَبِتَ إِلَيْ الْوَاوِ؛ لَأَنَّ ذَوَاتَ الْوَاوِ فِي هَذَا الْبَابِ أَكْثَرُ مِنْ ذَوَاتِ الْيَاءِ)).

كما قرر أبو البقاء العكبي (ت: ١١٦هـ) في حديثه عن التصغير بأنه ((إِنْ كَانَتِ الْأَلْفُ مَجْهُوَّلَةً حَمَلَتْهَا عَلَى الْوَاوِ؛ لَأَنَّهُ الْأَكْثَرُ فِي هَذَا الْأَصْلِ، فَتَقْتُولُ فِي أَمْأَأِ - وَهِيَ شَجَرَةٌ - أُوْيَاء، وَيَهْضَابٌ - وَهُوَ شَجَرٌ مُرٌّ - صُوبٌ)).

وهذه الغلبة هي التي جعلت الكوفيين يجيزون تصغير ما ثانية ياء أو ألف أصلها ياء بالواو، فيجوز عندهم : شيخ وشويخ ، وناب ونوب ، وبيبة وبوبضة^(٣) ، وقد اتفق أثراً مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، فأجاز تصغير ما ثانية حرف علة بالواو، فيجوز في تصغير: عين، وشيخ، وليفة، وشيء ... أن يقال: عوبنة، وشويخ، ولوبيقة، وشويء أحداً بمذهب الكوفيين^(٤).

(١) ينظر: التحو والواي، ٧٤٣/٤.

(٢) وهذا مما أشار إليه ابن جني بقوله: ((ألا ترى إلى كثرة غلبة الياء على الواو في عام الحال، ثم مع هذا فقد ملأوا ذلك إلى أن قلبوا الياء واوا قلباً ساذجاً أو كالساذج لشيء أكثر من الانتقال من حال إلى حال)) الخصائص: ١/٨٨.

(٣) شرح المفصل لابن عيسى ٤١٠/٢.

(٤) الباب في عال الماء والإعراب: ١٦٥/٢.

(٥) همع الهوامع: ٣٨٠/٣.

(٦) شرح المفصل لابن عيسى ٤١٠/٣.

ويشترك النسب مع التصغير في هذا الجانب ، فيكثر فيه قلب الألف واوا حتى وإن كان أصل الألف الياء ، وهذا ما أشار إليه ابن يعيش بقوله: (ألا ترى أنك تقول في النسب إلى (فَتْ) و(رَحْ): فَتْوَيْ وَرَحْوَيْ، فقلبتَ الألف واواً، وإن كان أصلها الياء ضراراً من اجتماع الياءات)^(١). كما يجوز قلب الألف إذا كانت رابعة واوا، إذا كان الحرف الثاني من الكلمة ساكنا ، فيقال في: مَفْزِي مَفْزُوي وَيَةَ مَرْمَى مَرْمُوى، وفيه طنطا طنطوي^(٢).

(١) نفسه: ٤٤٩ / ٣.

(٢) انظر: الكتاب: ٢٤٥ / ٣، اللمع: ٢٠٥، شرح ابن يعيش للمقصى: ٣٥٠ / ٣.

المبحث الثاني : أوجه الاختلاف بين بابي التصغير والنسب.

هناك اختلافات بين البابين ، تظهر في أمور عدّة ، من أبرزها ما يأتي:

١- قلة ورود التصغير في الكلام عامّة وفي القرآن الكريم بخاصة بخلاف النسب :
ورد التصغير في القرآن الكريم على قلة (في لفظين : بني^(١) ، رويدا^(٢)) وأما سليمان وشعيّب ونحوهما ، فتلك أعلام والتصغير فيها ليس مراداً لها .

وهذه القلة في ورود التصغير في القرآن الكريم تبيّن بأن التصغير قليل في الكلام العربي^(٣) بشكل عام مقارنة بالنسب؛ لأن الاحتياج إليه أقل بكثير من النسب ، كما أن التصغير من معانية التحقيق ، وهو أمر تترفع عنه الأساليب البليغة .

أما النسب هذه ورود كثير في القرآن الكريم^(٤) ، كما أنه ورود في الكلام العربي بكثرة؛ لأن الحاجة إليه داعية بوانتهجته العرب العاربة .

٢- الاختلاف في التعامل مع الخماسي وما فوقه .

من مظاهر الاختلاف بين البابين أن النسب تضاف إلى آخر الاسم ياءً مشددة دون حذف ، إذا كان صحيح الآخر حتى وإن كانت عدة حروفه كثيرة ، فيقال مثلاً : استبدادي ، وسنافوري ، واستعماري ... رغم أن هذه الأسماء على سبعة أحرف ، وهذا بخلاف التصغير ، الذي تقضي قاعدته أن يحذف حرف أو أكثر من الخماسي^(٥) وما فوقه ، وهو تصغير مستكره (و إنما استكره تصغير الخماسي وتكسيره لأنك تحتاج فيما إلى حذف حرف أصلي منه ، ولا شك في كراحته ، فلا تصغره العرب ولا تكسره في سعة كلامهم ، لكن إذا سُئلوا : كيف قياس كلامكم لو صغرتموه أو كسرتموه ؟ قالوا : كذا وكذا^(٦)) .

وإذا كان تصغير الخماسي مستكرها (كفرزدق وفريزق أو فريزد) ، فمن باب أولى أن تكون الكراهة أكثر فيما هو أكثر من خمسة كمستخرج .

(١) ورد في السور : هود : ٤٢ ، يوسف : ٥ ، لقمان : ١٧ ، ١٩ ، ١٣ ، الصافات : ١٠٢ .

(٢) سورة الطارق : ١٧ . (ورويداً) تصغير رود أي مهل ، وكل تصغير ترجم لإرود (انظر البحر المحيط : ٤٤٩ / ١٠) .

(٣) ينظر في هذا : بحث الدكتور محمد أمين الروابدة عن (التصغير) فقد تبع مظاهره في المعلقات السبع ، وحصرها بموضع محدد ، في كثير منها جاء التصغير غير مراد ، أي أنه علم لشخص أو نحو ذلك .

(٤) من أمثلة الكلمات المنسوبة في القرآن الكريم : الحواريون ، الأمي ، الجودي ، ظهيرياً ، بنياً ، دري ، عربي ، أجمعى ، عبقري ، رهبانية

(٥) إلا إن كان خماسياً قبل آخره حرف علة ، مثل : عصفور ومقناح وقنديل فيصغر بقلب حرف العلة ياءً فيقال : عصيّفَر ، وْمُقْنَاح ، وْقَنْدِيل .

(٦) شرح الشاطية للرضي : ١٩٢ / ٢ .

٣- اختلاف التعامل مع جمع الكلمة في البابين :

من المفارقات بين البابين أن جمع الكلمة يجوز تصغيره، ولا يجوز النسب إليه ، فإذا أردت تصغيره (صغرته على لفظه)، فتقول في أكبَّ، وأكْبَّ: أكبَّ، وأكْبَّ، وفيه أجيزة، وأقِيرَةً أجيزةً، وأقِيرَةً، وفيه أجمَال، وأعْدَال: أجمَال، وأعْدَال، وفيه ولَدَةً، وغُلَمَةً: ولَدَةً، وغُلَمَةً^(١) .

بينما لا يجوز النسب إلى الجمع سواء أكان جمع قلة أم جمع كثرة ، وإنما ينسب لمفرد ذلك الجمع، ويعلل الأستريادي لذلك بـ(أن أصل المنسوب إليه والأغلب فيه أن يكون واحداً، وهو الوالد أو المؤبد أو الصنعة، فحمل على الأغلب، وقيل: إنما رد إلى الواحد ليعلم أن لفظ الجمع ليس علماً شيئاً)^(٢) .

وهذا على الرأي المشهور وهو قول البصريين الذين لا يجيزون النسب إلى الجمع مطلقاً، كما تقدم .

٤- الاختلاف في رد المحنوف من الثلاثي :

إذا صُغرت الكلمة الثلاثية التي حذف منها حرف ، فلا بد من رد المحنوف سواء أكان هاء الكلمة أم عينها أم لامها وسواء أُعوض عن المحنوف بالباء أم لم يُعوض بهـ (مثال القاء: عَدَة وزنة وشية وسعة ... وَخَدْ وَكُلْ وَمَرْ وَعَدْ مُسْمَى بِهَا، فإذا صُغرَتْ هَذِهِ التُّوْقُعَةِ ردَتْ المَحْنُوفُ في مَوْضِعِهِ فَتَقُولُ: وَعِيدْ وَأَخِيدْ وَأَعِيدْ وَكَدَا بِأَيْهِمَا، وَمَثَلُ الْعَيْنِ: ...مَدْ وَسْلْ وَقَمْ وَمَرْ وَعَدْ مُسْمَى بِهَا فَتَقُولُ ...مَنِيدْ وَسُوْلْ وَقُوْيْمْ وَبَيْعْ، وَمَثَلُ الْلَّامِ: يَدْ وَدَمْ وَشَفَةً ... فَتَقُولُ: يَدِيَهُ وَدَمِيَ وَشَفَيَهَهُ^(٣) .

وقد أشار إلى ذلك الحريري (ت: ٥٦١هـ) نظراً، فقال في ملحته^(٤) :

واردَدَ إلى المحنوف ما كان حُذِفَ من أصله حتَّى يعود مُنْتَصِفَ
كَوْلِيهِمْ فِي شَفَةِ شَفَيَهَهُ وَالشَّاءُ إِنْ صَفَرَتْهَا شَوَاهِهَ

أما النسب فالامر فيه مختلف: لأنه ينظر إلى المحنوف فإن كان المحنوف هاء الكلمة أو عينها وكانت اللام صحيحة فإنه لا يرد المحنوف، فيقال مثلاً : في عدَةٍ عدي، وفيه مَدْ مُسْمَى بِهَا مُدْنِي، وأما إن كانت اللام معتلة فلَا بد من رد المحنوف من هاء أو عين فيقال في شية : وشوي، وفيه (يرى) مُسْمَى بِهَا يرثي، وأما إن كان المحنوف اللام فإنها ترد إن كانت العين معتلة، كذلك يُعْنِي صاحبُ يُقال في النسب إليها: ذووي وفي النسب إلى: شاة (أصلها شوهة)، يقال: شاهي

(١) شرح ابن عيشر للمقصري: ٤٢٤/٢.

(٢) شرح الشافعية للرضي: ٨٠/٢.

(٣) معن التهامة: ٢/٢٨١.

(٤) ملحة الإعراب: ٦٦.

أو شوهي ، فإن كانت العين صحيحة ، فلا يخلو من أن ترد في التثنية أو الجمع أو لا ترد ، فإن ردت في أحدهما وجب ردها في النسب أيضاً كأب وأخ وفم يقال فيها : أبي وأخوي وفموي كما يقول أبوانٌ وأخوانٌ وفمونٌ ويفقة سنة (وجمعها سنوات أو سنين) يقال : سنوي أو سنين فإن لم تُردد اللام في التثنية أو الجمع ، جاز في النسب ردها وعدم ردها ، كما في شفة يُقال شفهي أو شفي^(١).

إن هذه التفصيات والاشتراطات فيما يخص المعنوف في باب النسب غير موجودة في باب التصغير الذي يعاد إليه المعنوف في موقع الكلمة المختلفة ، لذلك كان هذا الأمر من مواطن الاختلاف بين اليابين.

٥- الاختلاف في تغيير بنية الكلمة وزنها :

بما أن التصغير يدخل في أبناء الكلمة ، فإنه يحدث تغييراً في بنيتها واحتلافاً في وزنها الصرفي غالباً؛ إذ أن التصغير ((تغيير يدخل على الصيغة الاسمية ، أي أنه يختص بالداخل))^(٢) فليس من السوابق وليس من اللواحق (حسب تعبيرات علم اللغة الحديث) ، لذلك فهو يعمق في جذر الكلمة ويباعد بين أحرفها ، ويدمج ياء التصغير مع ياء بنية الكلمة ، بخلاف النسب الذي تبقى فيه - غالباً - بنية الكلمة على حالها دون تغيير ، وكل ما في الأمر فيه هو لحاق ياء مشددة لأخر الكلمة.

ومن أمثلة ذلك كلمة كتاب (على وزن فعال) ، تتصغر على كثيب، فيختلف وزنها التصريفي، ويكون على : (فَعِيل) كما تحدث تغييرات في بنيتها ، وذلك يجعل كسرة الكاف ضمة ، وقلب الآلف ياء ثم إدخال ياء التصغير فيها لتصبح ياء مشددة ، بينما لو نسب للكلمة لقيق : كتابي ، فلا تغير بنية الكلمة ولا يتغير وزنها.

وكذلك كلمة (خالد) تصغيرها : خوبلد ، والنسبة إليها : خالدي ، في تصغيرها قلت الآلف واوا وضم ما قبلها ، وخالف وزنها الصرفي ، بينما في النسب لم يحدث شيء من ذلك.

وهذا في الأعم الأغلب ، والذي تسير عليه القاعدة الصرافية ، إلا أنه قد يحدث ما يعرف بـ (تغييرات النسب) خاصة في الأعلام ، إلا أن تلك الظاهرة إذا ما قورنت بالقاعدة العامة للنسب فإنها تعد نزراً قليلاً ، وشذوذًا غير مطرد ولا يكاد يتبع قاعدة معينة ، وقد تتبه ابن جنبي في خصائصه لذلك وجعله قسمين : تغيير قياسي ، وتغيير غير قياسي ، وذلك قوله : (الأول: ما غيره النسب قياساً، وذلك قوله في الإضافة إلى ثُمَّ: ثُمَّي، وإلى شِقرة: شَقْرِي، وإلى قاض:

(١) انظر : الكتاب : ٣٦٩، الأصول : ٢، ٨٠، شرح الرضي للشافعية : ٢، ٨٠، همع الهوامع : ٤٠٢/٢.

(٢) الصرف الصوتي : ٢٩٩.

فاضئي، وإلى حنفيه: حنفي، وإلى عدي: عدوي، ونحو ذلك...
 الثاني ... على غير قياس، كقولهم في بنى الحبلى حبلى، وبلا بنى عبيدة وجذيمة: عبيري وجذيمي^(١).

وهذا التغيير الذي يحدثه النسب في أبنية بعض الأسماء وأوزانها هو قليل جداً إذا ما قوبل بما يحدثه التصغير من تغيير في الأسماء بشكل مطرد ووفق قاعدة ثابتة قياسية.

الخاتمة :

من خلال هذا البحث اتضح أن التصغير والنسب يتقان في أشياء عده ، وهذا الالتفاق هو الذي ربما حدا بكثير من الكتب الصرافية أن تجعل أحد البابين بعد الآخر مباشرة استشعاراً بهذا التوافق وتقريراً بين المتركتات في قضايا فلسفية واحدة ، ومن أبرز مظاهر ذلك التوافق :

- مجيء ياء زائدة على بنية الكلمة.
- الاختصاص بالأسماء.
- الاختصار والاستغناء عن الوصف.
- حدوث اللبس في بعض الأحوال.
- التوافق في التعامل مع جمع الكثرة.
- غلبة قلب الألف ووا في البابين.

إلا أن هذا التوافق بين هذين البابين لا يعني عدم وجود اختلاف بينهما في الأمور العامة، فهما يختلفان فيه ما يأتي :

- قلة ورود التصغير في القرآن الكريم بخلاف النسب.
- الاختلاف في التعامل مع الخماسي وما فوقه.
- الاختلاف في التعامل مع جمع القلة.
- الاختلاف في زرد المدحوف من الثلاثي .

الاختلاف في تغيير بنية الكلمة وزونها .
 وقد خلص البحث إلى نتائج من أبرزها :

أهمية الموازنة بين الموضوعات التي تشتترك في بعض الملامح العامة للخروج بتصور واضح عن فلسفة تلك الموضوعات.

- التصغير والنسب هيئماً الاختصار والاستغناء عن التطويل والتكرار، وللتقيان في أمور عده ، مما ينبع عن عبقرية العربي وانتظام لغته وفق أنساق هادبة محددة

(١) الخصائص: ٤٢٨ / ٢.

، مع براعة النحاة الأوائل في تتبع تلك المظاهر ورصد أمثلتها والتفريق بينها، وفي ذلك رد على من يزعم أن النحاة القدامى يهتمون بظواهر الألفاظ وسطحية الموضوعات، دون التعمق في فلسفة تلك الموضوعات.

- رغم التقارب بين التصفيير والنسب في قضائيا عمومية ، إلا أن بينهما تقارقا وتباینا في قضائيا أخرى، وكان من المتوقع أن يتفقا في كل شيء ، إلا أن قواعد الصرف العربية لا تسير وفق التوقع ، وإنما وفق الواقع اللغوي ، وهذا فيه رد أيضا على من أدعى أن قواعد العربية القديمة تهمل الواقع اللغوي، وتنسب إلى الفرضيات اللغوية.

المراجع :

- ارشاد الضرب، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م..
- أسرار العربية، لابن الأباري، دار الأرقام، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م..
- الأصول في النحو، لابن السراج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- التصريح على التوضيح، خالد الأزهري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م..
- التصغير في اللغة العربية، د. علیان محمد الحازمي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية، العدد: ٢١، التصغير في اللغة العربية (نظرة في الدلالة والتحليل الصوتي) د. محمد أمين الروابدة، مجلة مجتمع اللغة العربية الأردني ، العدد ٦٧.
- الخصائص لابن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- شذا العرف للحملاوي ، تحقيق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى .
- شرح شافية ابن الحاجب ، لرضي الدين الأسترابادي، تحقيق وتعليق: محمد نور الحسن، محمد الزهزاف ، محمد محبي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م..
- شرح المفصل لابن يعيش ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م..
- علم الصرف الصوتي، د. عبد القادر عبد الجليل، دار أرمنة ، الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م..
- الكتاب لمسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م..
- الباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكيري، تحقيق: د. عبد الإله النبهان ، دار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م..
- اللمع في العربية لابن جني، تحقيق: فائز هارون، دار الكتب الثقافية - الكويت.
- ملحة الإعراب للحريري، دار السلام - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م..
- المنصف لابن جني، دار إحياء التراث ، الطبعة الأولى، ١٤٧٢هـ - ١٩٥٤م..
- النحو الولي في النحو الولي، عباس حسن ، دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة عشرة.
- همع الووامع للسيوطى، تحقيق: عبد الحميد هشادوى، المكتبة التوفيقية - مصر.



جامعة المتناب

”أثر ألف ليلة وليلة في
الأدب الأوروبي“
دراسة نقدية تحليلية..

د. محتوقة سالم المعطاني

أستاذ الأدب المساعد بقسم اللغة العربية

جامعة أم القرى

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الذي تحدي العرب بمعجزة القرآن..

أما بعد:

فالعرب أمة لها حضارتها وثقافتها، وقد كان لاتصال العرب بغيرهم أكبر الأثر في نقل ثقافات الأمم الأخرى إلى العربية، عن طريق الترجمة.

فكان لتأثير العرب بالفرس وبآدابهم أكبر الأثر في نقل كثير من ثقافة الفرس إلى العربية، ومن بين تلك الآثار التي نقلت، كتاب (ألف ليلة وليلة)، وقد تعددت الآراء والاختلافات حول أصل هذا الكتاب، هل هو فارسي، أم هندي، أم بوناني؟ أم هو خليط من تلك الثقافات؟ وقد حظيت حكايات «ألف ليلة وليلة» بشهرة عالمية، قلما توفرت لكتب عربية مثيلها، فقد ترجمت إلى جميع لغات العالم، مما كان له أكبر الأثر على الأدب الأوروبي.

وفي هذا البحث سوف اتطرق إلى «أثر ألف ليلة وليلة في الأدب الأوروبي».

لما لهذا الموضوع من أهمية كبيرة جداً في دراسة أثر هذه الحكايات على الأدب الأوروبي، على الرغم من أنني عالجت موضوع «أثر ألف ليلة وليلة في الأدب الأوروبي» من الناحية المنهجية والعلمية الصرفة، إلا أنني لا أذكر أن في هذا الكتاب بعض المسلبيات التي تتصل بالأدب المكشوف، وهي ناحية تشكل معضلة طرقها النقاد منذ العصور الأولى، لتكون النقد الأدبي حينما نظروا إلى شعر أبي فواض وبعض الخُلَماء، فحاولوا أن يفرقوا بين الناحية الفنية، والأخلاقية، وكانت لهذا السبب أن أضرب عن الموضوع صفحًا، ولكنني وجدت أن كتاب «ألف ليلة وليلة» من أكثر الكتب العربية ترجمة، ولهذا أقدمت على معالجة الموضوع من الناحية المنهجية العلمية مبتعدة عن الخوض في الفواعي الأخرى.

وبالله التوفيق .

وقد قسمت البحث إلى:

أولاً- تمهيد : وتعرضت فيه إلى :

- ١- أقسام التراث القصصي عند العرب .
- ٢- التعريف بألف ليلة وليلة، وأول من ذكرها .
- ٣- مميزات الكتاب .

ثانياً- ثم تناولت "أثر ألف ليلة وليلة في الأدب الأوروبي" من حيث :

١- الآراء حول أصل الكتاب .

٢- أول من نقل الكتاب إلى أوروبا .

٣- دراسة بعض المستشرقين لجذور قصص ألف ليلة وليلة .

٤- أثر هذا الكتاب في الأدب الأوروبي من حيث الترجمة والتأليف .

٥- العيوب التي أخذت على ألف ليلة وليلة في الأدب الأوروبي .

٦- المواقف التي دخلت في أدب الغرب .

٧- إطار ألف ليلة وليلة وأثره في أدب الغرب .

٨- أثر الكتاب في أدباء إنجلترا .

٩- أثر الكتاب في :

أ)- المسرح . ب)- الموسيقى . ج)- الرقص . د)- الرسم والنحت .

١٠- الموضوعات العامة التي أثرت في الأدب الغربي .

١١- القضايا التي حملتها ألف ليلة وليلة، وأثرها على الأدب الأوروبي .

ثالثاً- ثم ختمت البحث بالتعرف للخاتمة ، والفهرس ، والهوامش ، والمراجع .

وبالله التوفيق .

تمهيد:

إن لكل شعب من الشعوب تراث قصصي تفخر به، وتعتز، ولقد كان للعرب تراث هو ثمرة الإبداع.

وينقسم هذا التراث القصصي إلى قسمين :

أ/- القصص الموضوع .

ب/- القصص الدخيل، أو المنقول .

أ)- القصص الموضوع: هو قصص عربي الصميم من وضع العرب، مثل «قصة عنترة، قصة بكر وتغلب، وغيرهما ...»

وقد قسمها صاحب كتاب «الأدب القصصي عند العرب»^(١) إلى خمسة أقسام رئيسية :.

١- القصص الإخباري .

٢- القصص البطولي .

٣- القصص الديني .

٤- القصص اللفوي أو المقامات .

٥- القصص الفلسفية .

ب)-القصص الدخيل أو المنقول : وهي التي اقتبسها العرب عن غيرهم اقتباساً نتيجة لتأثير والتأثر .

والمصادر التي اعتمد عليها هذا النوع من القصص : القصص الفارسي والهندي ، وأما اليوناني فلم يترجم منه شيء يستحق الذكر، ومن أشهر القصص المنقولـة، ألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة ،

وحديثنا هنا عن القصص المنقول المتمثل في «ألف ليلة وليلة» نمهـد بها للبحث عن «أثر هذه القصص في الأدب الأوروبي» وهذا يتـبادر في أذهانـنا عدة أسئـلة لا بد لها من إجـابة .

ما هي ألف ليلة وليلة ؟

من أول من ذكر هذه التسمية ؟

وما هي مميزات الكتاب ؟ وما أهميته ؟

ألف ليلة وليلة :

هي ثمرة الإبداع الشعبي على الرغم من تنوع أصولها إلا أنها تكاملت، ثم عاشت وصيفـت باللغة العربية ، وأصبحـت جزءـ من التراث العربي ، وقد نالت من الشهرة والذـيـوع ما لم يحظـ به أي عمل أدبي آخر .

وهي عبارة عن مجموعة من القصص، لم تؤلف لتقرأ ولتحفظ في دور الكتب ، وإنما هي مجموعة من القصص المترفة، كانقصد من كتابتها تسليمة العامة شفاهًا وتسميمًا . ولقد عاشت هذه المجموعة من القصص تؤدي غرضها الأول قروناً متالية يتحكم فيها ذوق السامعين ، فلا يجد هذا التحكم من القاصص أقل تحرج من التلاعيب بالأصل .

أول من ذكر هذه التسمية :

إن أول من ذكر اسم ألف ليلة وليلة من المؤرخين العرب هو المسعودي في كتابه « مروج الذهب » وقد ذكر ذلك صاحب كتاب « الأدب التصصي عند العرب ^(١) » وأنا أميل معه في هذا الرأي .

إن أول من ذكر ألف ليلة وليلة من المؤرخين العرب هو المسعودي في كتابه « مروج الذهب » وهو من المؤرخين القرن الرابع الهجري سنة ٣٤٦هـ قال : « ... ويقال له (أي لكتاب ألف ليلة وليلة) إفسانة وتقسيرها خرافات بالفارسية، والناس يسمون هذا الكتاب: ألف ليلة وليلة وهو خبر الملك، والوزير، وابنته، وجاريتها شهرزاد، ودينما زاد، ثم يذكر المؤلف موسى سليمان ^(٢) إن الذي بحث في أصل هزار إفسانة وفند أصله « ابن النديم » صاحب الفهرست حيث قال: (إن ملكاً من ملوكهم كان إذا تزوج امرأة وبات معها ليلة، قتلها من الغد، فتزوج بجارية من أولاد الملك لها عقل ودراءة، يقال لها شهرزاد، ظلمها حصلت معه ابتدأت تُخْرِفَه وتصل الحديث عند انتقامه الليل بما يحمل الملك على استيقائها، ويسألهما في الليلة الثانية عن تمام الحديث إلى أن أتى عليها ألف ليلة... ورزقت في أداثتها منه ولداً، أظهرته وأوقفت الملك على حيلتها عليه، فاستعقلها، ومال إليها واستيقاها) .

وراج اعتقاد أن العرب في القرنين الرابع والخامس عشر، كانت لهم آراء خرافية كثيرة في كتاب ألف ليلة وليلة، منها أن كل من يقرأه يموت أو يصاب بضرر شخصي كبير .

وصاحب اسم ألف ليلة وليلة الشوم عن بعض المشائمين ... التي لم يكن يقتنيها المقتلون كاملة، وإنما ينقص البعض منهم الجزء الأخير أو يخرجه من مجموعته ويضمه إلى مجموعة أخرى من الكتب في نفس المكتبة أو في غرفة أخرى تقادياً من حدوث الشر ^(٣)

وما اجتمعت ألف ليلة وليلة كاملة في بيت حتى حل الفراق بين الأحباب وتشتت الجمع....^(٤) أما بعض المستشرقين فيزيدون على هذا بعض الآراء المضحكة في سبب تسميتها ألف ليلة وليلة .. هنقول أحدهم مثلاً « إن ألف ليلة وليلة سميت بهذا الاسم لأن العادة حرمت على المسلمين أن يقصوا حكاياتهم الخرافية في النهار، وقد سرى اعتقاد بين أوساط الشعب، وخاصة بين أولاد القصاصين أن من يخالف هذه القاعدة يُصاب بشر كبير ^(٥) »

واعتقد أن ما قاله المسعودي في تسميته «ألف ليلة وليلة» هو القول الراجح، وذلك لأن اسمها «إفسانه» وتقسيرها «خرافة» بالفارسية، وأن تقسيط ابن النديم لذلك إنما هو توضيح لما قاله المسعودي في كتابه «مروج الذهب».
وأما ما قاله المستشرقون، فإنه كلام لا أساس له من الصحة وإنما يدل على ناحية من الجهل في فهم الحقائق ومدلولاتها.

مميزات الكتاب، وأهميته :

يمتاز الكتاب بـ:

- ١) التدخل القصصي في كل الكتاب وبخاصة في مقدمتها، فيها كثير من قصص الحيوان.
وقد تطرق إلى ذلك الدكتور محمد غنيمي هلال^(١) عندما قال: «إذ أن كل قصة رئيسة تحتوي على قصص، أو أكثر متفرعة منها، كذلك ويتبع ذلك دخول شخصيات جديدة إذا كانت القصة لشخص من الناس، أو دخول حيوانات بدون انقطاع ولا أدنى مناسبة».
- ٢) إنه ليس له غاية خلقية، إنما هو زاخر بالخيال، والمخاطر، وعالم السحر، والمجائب.
- ٣) الرابطة بين حوادثها مصطنعة، تمتد في الزمن الذي يحكى فيه القاص حكاياته متتابعة كما يشاء.
- ٤) «لهذه الليالي تمهد يقدم لها، ويكون بمثابة همسة الوصل بين وحداتها، وهو تمهد يشبه الحافظ الجامع بحكايات كليلة ودمنة، أو الأسفار الخمسة»^(٤).
- ٥) تزخر هذه المجموعة بالجن، والعفاريت، والخوارق، والسحر، والأدوات التي تعين على تحقيق الرغبات مثل: خاتم سليمان.
- ٦) «تؤدي المرأة دوراً خطيراً في الليالي، قد تكون ملكة أو جارية؛ ولكنها دائمًا شابة هاتنة يخلب جمالها الآلياب، ويقتنن الرواوى عادة في وصف محاسن البطلة وصفاً يلهب خيال المسامعين»^(٨).

وعند النظر إلى الكتاب نجد ذلك التداخل القصصي الذي يحدث نوعاً من التشتيت الذهني، أي الدخول من قصة إلى قصة أخرى ثم الرجوع إلى القصة الأصلية أو الأساسية، مما يحدث هذا التشتيت الذهني، كما أن كثرة السحر، والشعودة ، والإيمان بعالم الجن، والسحر، والخرافة يدل على ضعف الوازع الديني في هذه الشخص والإيمان بالجن، والمعجزات السحرية، بالإضافة إلى البعد عن الأخلاق الفاضلة، والميل إلى الخلاعة، واللوعة الحسية، والاعتماد عليها كمقاييس للحب، والفتنة، والخروج عن القيم، والأدب الفاضلة.

أثر ألف ليلة وليلة :

لقد اهتم بهذه الليالي الباحثون في الشرق والغرب، وتناولوها الناس في كل مكان، واقتبسوا منها قصصاً وروايات، ومسرحيات، وأويرات، واستلهموا منها قطعاً موسيقية رائعة. وقد استهويت الليالي شعوب أوروبا، فنقلتها إلى لغاتها المختلفة، ولاقت هذه الترجم بدورها نجاحاً عظيماً مما يدل على أن إبداع ألف ليلة وليلة ليس شعبياً فحسب؛ ولكن إبداع آخر في جميع التفاصيل العربية والغربية، وقد كان له تأثير كبير على الأدب الأوروبي حتى أصبح عنوانها في اللغات الأوروبية «الليالي العربية».

ونريد هنا أن نتحدث عن أثر ألف ليلة وليلة في الأدب الأوروبي من حيث:

- ١- آراء حول أصل هذا الكتاب.
- ٢- أول من نقل الكتاب إلى أوروبا.
- ٣- دراسة بعض المستشرقين لجذور قصص ألف ليلة وليلة.
- ٤- أثر كتاب ألف ليلة وليلة في الأدب الأوروبي.
- ٥- القضايا التي حملتها ألف ليلة وليلة، وكان لها تأثير على الأدب الأوروبي.

١- آراء حول أصل هذا الكتاب:

اختارت الآراء حول أصل هذا الكتاب هل هو فارسي؟ أم هندي؟ أم عربي؟ أم يوناني؟ أو هو خليط من هذه الثقافات.

رأي الدكتور محمد غنيمي هلال^(٤) :

يرى الدكتور محمد غنيمي هلال، أن أصل الكتاب مترجم من الفارسية، ولا ينكر أن فيه أضافات وزيادات، وأن الأدب الشعبي «الفولكلوري» قد لعب دوراً كبيراً فيه، وإن كان هذا الكتاب لم ينشأ في أصله شعبياً؛ وإنما تأثر بالأدب الأخرى.

«أما ألف ليلة وليلة فهي مدونة في عصور مختلفة، ومن المقطع به أن الكتاب في أصله كان معروفاً لدى المسلمين قبل منتصف القرن العاشر الميلادي، ويشهد المسعودي وابن النديم أن الكتاب في أصله مترجم عن الفارسية؛ ولكن المسعودي يقرر أن الأدباء في عهده تناولوا هذه الحكايات بالتمثيل، والتهذيب، وصنفوها في معناها ما يشبهها، فأصل الكتاب كان مدوناً، ثم نزل الأدب الشعبي «الفولكلوري» فغير منه، وزيد فيه، فلا ينفي إذن إنكار تأثير الأدب الأخرى في نشأته ونموه بحججه أنه من الأدب الشعبي الذي تمحى منه الحدود، وتتشابه الأدب دون حاجة إلى تلاق تاريخي، ذلك أن هذا الكتاب لم ينشأ في أصله شعبياً كما رأينا».

ويقر الدكتور محمد غنيمي هلال أن قصص ألف ليلة وليلة مدينة في نشأتها إلى أصول

هندية هارسية.

أما العناصر الهندية في الكتاب فتتمثل :

أ) - في التداخل القصصي.

ب-) - في طريقة التساؤل.

ج-) - في الإطار العام الذي تبدأ به ألف ليلة وليلة، من خيانة زوجة الملك، شاه زمان، وزوجة أخيه «شهريار» وعزم «شهريار» على أن يقتربن كل ليلة بفتاة يقتلها حين يصبح، ثم في زواج شهريار بشهرزاد، وحيلة شهرزاد حين ألهت الملك حتى لا يقتلها.

د-) - في قصص الحيوان الهندي.

الآثار اليونانية بالكتاب :

يدرك الدكتور محمد غنيمي هلال^(١٠)، إن بالكتاب آثار يونانية من ملحمة «أوديسيا» هوميروس حيث قال: على أن بالكتاب آثارات يونانية، فقصة «الستنباد البحري» تقابل بما تحتوي عليه من مقامرات ملحمة «أوديسيا» هوميروس، وبخاصة في وصف الكهف الذي يقذى فيه الوحش بالناس، وهذا الوحش في صورة رجل طويل القامة، وطويل اللحية، له عينان كأنهما مشعلان، يعمي ضحاياه من البشر قبل أن يفترسهم».

الطابع المصري في كتاب ألف ليلة وليلة .

يقرر الدكتور محمد غنيمي هلال على أن بالكتاب تأثر بالطابع المصري في نظم هذه القصص، وذلك نتيجة لتدوينه في مصر، «إن الجزء الأكبر من القصص مصرى، أو ذو طابع مصرى؛ لأن الكتاب... مدون في مصر^(١١).

رأى موسى سليمان: صاحب كتاب «الأدب القصصي عند العرب».

لقد ذكر صاحب الكتاب أن العلماء اختلفوا في أصل ألف ليلة وليلة، ويعتقد المؤلف بأن كتاب ألف ليلة وليلة قد قام بكتابته أكثر من شخص واحد في مختلف البلدان، وأن المتخصصين في دراسة هذا الأثر الفني الأدبي، يرجعون كل حكاية إلى أصلها وعلى حسب طابعها، وأنها ليست عربية بحته على الرغم من أن اللون العربي فيها من أبرز ألوانها :

«إنما باستطاعتي أن أقرر مطمئناً أن كاتب ألف ليلة وليلة هو أكثر من شخص واحد بل إن كتابها كثيرون مختلفون في بلدانهم وتقديرهم وجنسياتهم، فالذين فرضوا أن ألف ليلة وليلة هي عربية الأصل، أو من إبداع العرب فقط، قد أخطأوا، ولو أن اللون العربي فيها هو أبرز ألوانها، إلا أن حكاياتها التي تحمل الطابع العربي ليست عربية في أساسها رغم أنها معروضة بأسلوب عربي»^(١٢)

ثم نجد أن الأستاذ / موسى سليمان يؤكد بأن ألف ليلة وليلة ما هي إلا مزيج من أداب مختلفة.

وثقافات هضمها العرب هضمًا كلياً وصيغوها بلون عربي بارز، ثم ذكر أن العلماء اختنعوا في أصلها ..

١- فريق يذهب إلى أن إطار ألف ليلة وليلة يرجع إلى الهند لا إلى فارس .

٢- فريق يذهب إلى أن بعض حكاياتها من أصل يوناني، وخاصة حكاية «الستدباد البحري» التي يعتقد في تأثيرها بالأدب اليوناني ، لأن العربي ليس له تذوق صحيح للحياة البحرية، وإن بعض شخصياتها تتجانس مع أخلاق الشخصيات القصصية اليونانية، وعصرية اليونان الأدبية.

٣- فريق آخر يقول: إن بعض حكايات ألف ليلة وليلة كتب في بغداد، وإن البعض الآخر كتب في القاهرة مقتبسة عن حكاية مصرية قديمة.

٤- وينذهب فريق آخر أن بعض الحكايات من أصل يهودي، وفي نهاية المطاف يؤكد المؤلف موسى سليمان «أن ألف ليلة وليلة هي مزيج من أداب مختلفة، وثقافات مختلفة هضمها العرب هضمًا كلياً وصيغوها بلون عربي بارز، فهي وإن كانت في بعض حكاياتها فارسية الأصل، أو هندية الأصل، أو يونانية الأصل، فإنها العربي يبقى مسيطرًا سيطرة بارزة، وهو ركن من أركانها الأساسية»^(١٢) ،

رأي الدكتور عبد الحميد يوسف: صاحب مقالة «الإبداع الشعبي»^(١٣)

يرى أن مجموعة ألف ليلة وليلة هي ثمرة الإبداع الشعبي على الرغم من تنوع أصولها إلا أنها تكاملت، ثم عاشت باللغة العربية، كما يرى أن هذه الليالي مجموعة من الحكايات الشعبية العربية لا يُعرف تاريخها، أو مصدرها على وجه التحقيق، ثم ذكر الدكتور عبد الحميد يوسف أن بعض العلماء رجع أن هذه الليالي يمكن أن تكون من أصول محددة وهي: الهندية، والفارسية، والبغدادية، والمصرية، كما ذكر أن أحد الدارسين رأى أن بعض هذه الليالي من أصل يوناني، وقد بنى رأيه على الموازنة بين بعض الحكايات الواردة في ألف ليلة وليلة وبين ما يشبهها، أو يقاريها في الأدب اليوناني المتأخر.

... وهي ثمرة الإبداع الشعبي، وعلى الرغم من تنوع أصولها إلا أنها تكاملت، ثم عاشت باللغة العربية، وهذه الليالي مجموعة من الحكايات الشعبية العربية لا يُعرف تاريخها، أو مصدرها على وجه التحقيق،... ورجح بعض العلماء أن هذه الليالي يمكن أن تكون من أصول محددة وهي: الهندية، والفارسية، والبغدادية، والمصرية.

ورأى أحد الدارسين أن بعض هذه الليالي من أصل يوناني وبنى رأيه على الموازنة بين بعض الحكايات الواردة في (ألف ليلة وليلة) وبين ما يشبهها، أو يقاريها في الأحوال على الترجيح، ولا يستطيع الباحث أن يقطع بها، وذلك باعتراف الدارسين المتخصصين^(١٥).

رأى الدكتورة سهير القلماوي:

ترى الدكتورة أنه ليس هناك ملامح واضحة عن الأصل؛ لأنه ليس هناك دراسة خاصة لليالي نفسها، والاعتماد على نتائج هذه الدراسة في تحديد تاريخها وأصلها.
إن دراسة القصص نفسها قد تعين على تحديد عصرها تحديداً أدق، وأصدق من الاعتماد على ذكر تاريخ بها أو علم^(١٦).

وقد تطرقت الدكتورة إلى العديد من الباحثين الذين اجتهدوا في البحث عن أصل ألف ليلة وليلة، وقد قامت الدكتورة بنقل تلك الأقوال والتعليق عليها، ومن ذلك ما ذكره الأب الصالحاني^(١٧) عندما زعم أن أصل ألف ليلة وليلة عربي لأسباب يسردها، ولا يمكن أن نسميهها أسباب تستند إلى درس أو علم فهو يقرر أنها:

أ) تأليف عربي مستدلاً بقصص ابن النديم في الفهرست، وبالرور الإسلامي في الكتاب، وبذكر هارون الرشيد الذي لا بد أن يكون ذكره، قد أتى بعد زمن حياته بكثير ولا ما رضي خلافه أن ينزل هذا الملك العظيم منزلة السفال، والفوغاء.

ب) استدل الأب الصالحاني، بأن اختيار الأمثلة وقع على بغداد، ودمشق، ومصر.
وتستكمل الدكتورة على الأب الصالحاني غفلته عن أن لهذه المجموعة تاريخاً طويلاً مرت فيه بتطورات مختلفة، ودلائلها على صور مختلفة للكتاب نفسه، بل وأن أهم شيء هو أن هذا الأثر لم يكن مؤلفاً أدبياً، وإنما هو مؤلف شعبي، والفرق بينهما شاسع في التأليف.

« وأما الاستدلال بلغة الكتاب، فمن يدرينا ما حال اللغة الشعبية أيام العباسيين يوم كانت اللغة في رونقها، وكمال شبابها كما يقول، حتى نؤكد أن الكتاب لم يكتب شيء منه في أيامهم^(١٨) ». وقد ذكرت الدكتورة أن المستشرق الألماني ليتمان قد قام بتعين مواطنن أصل بعض المواقع وبعض القصص في ألف ليلة وليلة^(١٩):

١- أن قصص الزهد أكثرها هندي.

٢- قصص الغرافات التي تتصل بالجن والشياطين؛ فإن أصلها فارسي.

٣- القصص التي تتم عن أصل بابلي قديم أمثال: قصة بلوقيا، وقصة مدينة النحاس، وقصة عبدالله بن فاضل، وإخوله التي يذكر (الحضر) فيها جميماً، وهذه قصص قديمة حفظت في بغداد التي تقع جغرافياً مكان بابل، ودخلت العربية عن طريق قصص

- الاسكندر، والقحصن اليهودي منذ زمن أقدم من وجود ألف ليلة وليلة بكثير^(٢٠)».
- ٤- القحصن التي تدور حول الخلفاء وبلا طهم، وحول الشراء، والفنى يرجع أصلها إلى تاريخ المجموعة البغدادية.
- ٥- قحصن اللصوص^(٢١) والشطار، وقحصن الفكاهة، وقحصن المحرر التي يخضع فيها الجن للإنسان بواسطة التعاوين، وقحصن حديثي الفنى، فكلها ترجع إلى أصل مصرى، وقد يكون لكل هذه القحصن أصول في الأدب الفرعونى».
- ٦- القحصن التي يكثر فيها السجع، والشعر، فيرجع أصلها إلى العرب، كما تذكر الدكتورة سهير القلماوى أن أول من أدى بشيء له قيمة في البحث عن أصل ألف ليلة وليلة كان المستشرق النمساوي «فون هامر» فقد كان له الفضل في ترجمتها عن الأصل العربى إلى الألمانية، وهو الذي كتب مقدمتها، وفي المقدمة يتعرض للكلام عن الأصل مؤيد وجهة نظره التي ذكرها، بياناً كتاباً مترجمًا عن الفارسية، اسمه ألف ليلة فقط كان معروفاً أيام المسعودى، وأنه ترجم منذ أيام المأمون أو المنصور فيما ترجم من آثار غير عربية، وقد قام (فون هامر) بقسم الكتاب :

- ١- جزء أصله قيم جداً نقل إما عن الهند أو هارس، وهذا نوعان:
- أ) نوع فيه الخيال، والمبالغات، والقصد منه التسلية ليس غير مثل: قصة ملكة الثوابين.
- ب) والنوع الذي سبق للموعضة، والعبرة، وهذا كثير، وأصله الهندي أوضح من أن يحتاج إلى بحث.
- ٢- أما القسم الثاني: فهو القسم العربي الذي يرجع زمه إلى الخلفاء، وأولهم هارون الرشيد.
- ٣- القسم الثالث: وهو الأحداث، ويرجع إلى أصل مصرى يصور الحياة الاجتماعية فيها، وتذكر الدكتورة أن «فون هامر» يرجع أن الكتاب ترجم أيام المنصور جد الرشيد، الذي لعب هذا الدور الهام في قصصه.
- رأى الأستاذ أنور الجندي^(٢٢):
- يرجع الأستاذ أنور الجندي أصل «ألف ليلة وليلة» إلى أنها أساطير ذات أصل فارسي وعليها إضافات من الأساطير اليونانية، والهندية، والفرعونية القديمة، وأنها لا تمثل الذاتية العربية ولا تحصل بها، إلا أنها مكتوبة باللغة العربية^(٢٣)».
- ثم يبدأ المؤلف بمحاجمة قحصن ألف ليلة وليلة مهاجمة عنيفة، وشديدة، ويرجع إحياء هذه الأساطير الفارسية في الأدب العربي إلى سيطرة الشعوبية «وسعيهم لإفسادخلق العربي

بالتهتك والخلاعة لإنزاله عن مناعته، وهم حين عجزوا عن محو الدولة العربية الإسلامية بالسيف عمدوا إلى تصفيفها بتشويه صفاء الطبع منها ورموها بأساطير الفرس، والهند، فانسابت في بلدان المغرب كافة تستبيح كل خدر وحجاج^(٢)

ثم يذكر المؤلف أن قصص ألف ليلة وليلة ليس لها مؤلف معروف؛ وإنما هو مجهول، وهي جماع لحكايات الرواية والقصاصين الذين تناثروا في العالم العربي في العصور المتأخرة.

ثم يقول عن قصص ألف ليلة وليلة أنها:

١- قصص سلبية فيها صور الانحلال والتوكيل والقدرة.

٢- إنها تعنى بتصوير حياة الجواري، واللذات، وإسراف القصور، وتمتع المترفرين من القصور، ونساء، وموسيقى.

٣- تقوم أكثر قصص ألف ليلة وليلة على الخيانة الزوجية، وحيل المجائز، وهي تجمع بين خيانة المرأة وغدر الرجل.

٤- فيها تصوير للصوفية، والأضرحة المزينة بالذهب، والمضاة بالشمع، والمفروشة بالبسط، وهي في مجموعها صور غريبة عن الذاتية العربية، وعن النفس العربية الأصلية.

رأي الباحثة:

نتيجة لهذه الأقوال والأراء نستنتج: إن ألف ليلة وليلة هي أصلها فارسية؛ ولكن قد أضيفت لها إضافات، وزيدات من آداب مختلفة، هندية، ويونانية، وعربية، « بغدادية، ومصرية »، وإن ما يقوله الأستاذ أنور الجندي من أنها أساساً هندية، وفارسية، ويونانية، وهندية، وفرعونية قديمة، وأنها لا تمثل الذاتية العربية، ولا تتصل بها إلا أنها مكتوبة باللغة العربية، وأنه ليس هناك أثر للذات العربية، فهو قول مردود عليه، لماذا؟

لأن الإنسان بطبيعته عندما يستقبل ثقافة جديدة عليه لا بد أن يتاثر بها، وينقل شيء منها، ولكن لا ينقلها كلها بحدايرها فقط دون أن يضيف عليها، بل ينقلها ويصبغها بثقافته، وشخصيته الشيء الكثير، فالأصل هندي، ولكن الروح العربية هي سرد هذه القصص، وغزاره الخيال العربي؛ لأن العرب هم أهل البيان، وأكثر الشعوب براعة في الوصف.

والذي أره أن هذه القصص ما هي إلا إنتاج لمزيج من هذه الأداب المختلفة، وأنه ليس لها أصل محدد؛ وإنما هي عبارة عن ثقافات متعددة نتيجة لروح العصر، ونتيجة لاحتلال العرب بغيرهم، مما كان له أكبر الأثر في إنتاج هذه الليالي، فهي ممزوجة من الأدب، والثقافات المختلفة، هضمتها العرب وطبعوها بطبعهم، ولو نهم العربي الإسلامي.

فبقي أصلها العربي مسيطرًا سينطراً بارزة، فهي أدب عربي بحت في صبغته، وطريقته، وفيه وصف روح العصر الذي قيلت فيه.

أثر كتاب ألف ليلة وليلة في الأدب الأوروبي :

أول من نقل الكتاب إلى أوروبا :-

أول من نقل الكتاب إلى أوروبا هو «أنطوان جالان» وقد ذكر ذلك الدكتور محمد غنيمي هلال في كتابه^(٢٠) :

«وقد ترجمت ألف ليلة وليلة إلى الفرنسية أولاً، ترجمها أنطوان جالان من عام ١٧٠٢ م حتى عام ١٧١٧ ميلادي - ترجمة حرة، ثم ترجمت إلى اللغات الأوروبية كلها ترجمات عديدة ، وقد أثرت تأثيرات متعددة كثيرة في المسرحيات، والقصص، والشعر الغنائي، والمسرحيات الفنائية، وقد ذكرت ذلك الدكتورة سهير القلماوي في كتابها^(٢١) :

عندما قالت: «أول ما لفت نظر الغربيين إلى ألف ليلة وليلة هي الترجمة التي قام بها أنطوان جالان ، وهو أستاذ فرنسي كان قد تخصص في العلوم الشرقية في فرنسا ، وله ترجمة للقرآن الكريم محفوظة في المكتبة الأهلية في باريس... وأسعده الحظ بأن أرسلت إليه من حلب أربعة مجلدات من هذا المؤلف الضخم، فبدأ في الترجمة سنة ١٧٠٤ م، وانتهى منها سنة ١٧١٧ ... ولم تكن هذه الترجمة أمينة للأصل».

وقد ذكرت الدكتورة أن جالان تصرف في ترجمته كثيراً، فأضاف وحذف وغيره حتى يلائم الذوق الأوروبي، وقد ظلت ترجمة جالان تلك طوال القرن الثامن عشر، وأوائل القرن التاسع عشر تمثل للأوروبيين المعنى المفهوم من ألف ليلة وليلة.

وقد قامت الشعوب غير الفرنسية بنقل هذا الأثر إلى لغاتها، فترجمت الترجمة الفرنسية حتى إنه لم يبق شعب في أوروبا لم يترجم هذه الترجمة.

دراسة بعض المستشرقين لجذور قصص ألف ليلة وليلة :

١)- رأي «فون هامر، المستشرق النمساوي :

إن أول من أدى بشيء له قيمة في باب البحث عن أصل ألف ليلة وليلة كان المستشرق النمساوي (فون هامر) ، كما ذكرت ذلك الدكتورة سهير القلماوي في كتابها^(٢٢) أن أنطوان جالان قد أشار في ترجمته منذ أوائل القرن الثامن عشر إلى أن أصل هذه القصص هندي، وهو قول لا يستند إلى دليل، ولكن «فون هامر» كان أول من أشار إلى أن نصاً في كتاب «مروج الذهب» للمسعودي يشير إلى وجود كتاب بهذا الاسم، وقد نشر هذا النص في المجلة الآسية في أبريل عام ١٨٢٧ م. وقد ورد في هذا النص أن كتاباً مترجماً عن الفارسية اسمه ألف ليلة وليلة، أو ألف ليلة فقط،

كان معروفاً أيام المسعودي في منتصف القرن الرابع الهجري، وأنه تُرجم منذ أيام المأمون أو المنصور فيما تُرجم من آثار غير عربية.

* وفي آخر المقال يُرجع (فون هامر) مستنداً إلى هذا النص أن الكتاب تُرجم أيام المنصور جد الرشيد الذي يلعب هذا الدور إلهاماً في قصصه^(٢٨)

وكان (فون هامر) صاحب الفضل في ترجمتها عن الأصل العربي إلى الألمانية.

* وفي سنة ١٨٣٩م نشر (فون هامر) نصاً آخرًا يؤكد به وجهة نظره الأولى، وهو النص الذي يشير إلى أن ألف ليلة وليلة في كتاب الفهرست لمحمد بن إسحاق بن التديم عند الكلام عن الخرافات في المقالة الثامنة من الجزء الثامن، وأهم ما في هذا النص هو أن كتاباً فارسياً اسمه هزار أفسانه هو أول ما عمل في باب كتابة «الخرافات»^(٢٩)

٤- رأي المستشرق الانجليزي لين^(٣٠):

«يسْتَعْرِضُ «لين» في مقدمته ما كتب قبله حول أصل هذه الليالي، ويرى أن كتاباً عُرف باسم ألف ليلة وُجد زمن المسعودي، وأن الكتاب الذي بين أيدينا ألف ليلة وليلة هو ليس كتاب المسعودي بعينه، وإن يكن قد اعتمد عليه؛ لأن نسخة الكتاب الذي بين أيدينا ليست فارسية ككتاب المسعودي الذي نص على أنه ترجمة لأصل فارسي؛ وإنما نسخته عربية إسلامية صرفة».

ويعتقد لين أن مؤلف الكتاب واحد، وذلك لأسباب وهي:-

١- لأنها تصف حالة اجتماعية بعينها ذات طبيعة متوافقة.

٢- لأننا لا نجد مثل هذه القصص في كتب عربية أقدم من هذه المجموعة.

٣- لأنه ليس هناك فروق بين النسخ المعروفة.

وقد اجتهد لين في تعين عصر إخراج الصورة الأخيرة للكتاب فيمده بأنه أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، وأوائل القرن السادس عشر^(٣١).

وكذلك حدد لين وطن المؤلف بأنه مصر، لأن الحال الاجتماعية في القصص هي حال مصر.

٤- رأي المستشرق الانجليزي برتن:

اعتمد في رأيه على نص من كتاب «فتح الطيب» للمقري ... ويقول فيه «أن ابن سعيد بن موسى الفرنطاني المولود سنة ٦١٥هـ المتوفى سنة ٦٨٥هـ يذكر في كتابه المحلي بالأشعار عن القرطبي في صدر الكلام عن بناء الهدوج في بستان القاهرة، والبدوية التي بناء لها الآخر بأحكام الله، وأن القصص الشعبية حول هذه البدوية، وحول ابن مية من أبناء عمومتها، ثم أصبحت مثل قصص البطل، وألف ليلة وليلة، وما شابهها»^(٣٢).

ومن هذا النص استدل كاتب المقال أنه كان لألف ليلة وليلة صورة معروفة شائعة في القرن

الثامن عشر الميلادي.

وقد انتهى برتن إلى نتائج تلخصها :

- ١- إن الأصل لهذا المؤلف مأخوذ عن « الهزار أفسانه ».
 - ٢- أقدم القصص مثل : السنديباد، والسبع وزراء، وجلمعاد يمكن إرجاعها إلى عصر المنصور في القرن الثامن الميلادي.
 - ٣- إن بعض القصص المشتركة في كل النسخ ترجع إلى القرن العاشر.
 - ٤- وإن هناك بعض القصص الحديثة أضيفت فيما بعد، ويرجع عهدها إلى القرن السادس عشر.
 - ٥- وإن المؤلف غير معروف؛ لأنه لم يكن هناك مؤلف واحد؛ وإنما هناك ناشرون وتُساخ.
 - ٦- رأي المستشرق الألماني ليتمان في مقدمته^(٢٢) يقرر فيها مستنداً إلى نص القرطبي، أو الكرتبي في أن صورة من هذا الكتاب عرفت في مصر، وشهرت حول منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، وقد ظلت في مصر وأخذت تنمو، وتزداد على مرّ الزمن، ويقرر فيها أنه ما دمنا لا نملك نسخة^٧ من هذه المجموعة العربية قديمة، ولا نسخة من الأصل الفارسي المشار إليه، فإن الميدان سيظل مفتوحاً أمام كل الفروض^(٢٤).
- وقد أشار ليتمان إلى فقرات من بعض القصص تتم عن أصل قديم :
- ١- إن قصص الزهد أكثرها هندي.
 - ٢- إن قصص الخرافات التي تحصل بالجن، والشياطين، وكيفية تدخلهم في الحياة فإن أصلها فارسي.
 - ٣- وإن القصص التي تتم عن أصل بابلي قديم أمثال: قصة بلوقيا، وقصة مدينة النحاس، وقصة عبد الله بن ضاضل وإخوانه التي يذكر (الحضر) فيها جميماً، وهذه قصص قديمة حفظت في بغداد التي تقع جغرافياً مكان بابل، ودخلت العربية عن طريق قصص الاسكندر، وقصص اليهودي منذ زمن أقدم من وجود ألف ليلة وليلة بكثير.
 - ٤- وإن القصص التي تدور حول الخلفاء، وبلاطهم، وحول الثراء، والفنى يرجع أصلها إلى تاريخ المجموعة البغدادية.
 - ٥- وإن قصص الشخصوص، والشطار، وقصص الفكاهة، وقصص السحر التي يخضع فيها الجن للإنسان بواسطة التماويذ، وقصص حديثي الغنى هكلاها ترجع إلى أصل مصري، وربما يكون لها أصول في الأدب الفرعوني.
 - ٦- وإن القصص التي فيها سجع، وشعر أصلها عربي.

ويشك الأستاذ ليتمان^(٣١) أن يكون هناك ترجمة كاملة للهزار أفسان، ويرجح أن الترجمة كانت المقدمة العربية فيها ليس غير، وأن ما أضيف بعد هذه المقدمة وإن لم يكن من أصول عربية، فإن القصص عربي له صبغته الإسلامية، وبهذا لا يكون الشبه بين ألف ليلة وليلة، والهزار أفسانه إلا المقدمة ولنفذه ألف.

ويؤكد ليتمان أن الليالي التي بين أيدينا قسمان منفصلان:

أ) قسم بغدادي: يدخل فيه كل القصص الهندي، والفارسي الذي دخل العربية زمن الباسين.

ب) قسم مصري: ما كتب من هذه القصص في مصر أو سوريا لاتصال البلدان صلة وثيقة أيام المالكية، وتحت حكم الأتراك.

ويشير الأستاذ ليتمان أن هذه القصص لها طابع هندي إسلامي، وأن هذا الطابع هو العامل المشترك بين كل القصص التي أصلها هندي، أو فارسي، وأنه يتجلّ في السجع الذي يمثل الروح العربي الذي شاع في القرن العاشر ويكثر في مواقف معينة كوصف الحرب، والطبيعة، والجمال، أو في الخطاب، والصلة، والوعظ، والأمثال.

وفي نهاية المطاف يقرر الأستاذ ليتمان بأنه ليس من السهل تقسيم ألف ليلة وليلة إلى مجاميع، لأن التاريخ غير محقق.

كما أشارت ألف ليلة وليلة بعد أن تُقلّت إلى لغات الغرب شفّافاً في نقوش الفreibin بجمع الأدب الشعبي، ودراسته، والتطلع إلى معرفة هذه الشعوب التي انتشت هذا الأثر، والتي دارت حوادث الكتاب حولهم.

وقد كانت ألف ليلة وليلة الحافظ الأهم لعنابة الغرب بالشرق عنابة تتدنى التواحي الاستعمارية التجارية، والسياسية، وتراجع قوة حركة الاستشراق وانتشارها إلى ما ترك هذا الأثر في نقوش الفreibin، فقد جعلت الفreibin يحاولون هم أنفسهم أن يزوروا هذه البلاد العربية خاصة، والشرقية عامة، ويتعرّفوا على لغاتهم، وعاداتهم.

«ولعل أبرز من اتصل بألف ليلة وليلة^(٣٢)، وعمل في هذا الميدان عملاً يظهر اتصاله القوي بموضوع الليالي، هو المستشرق الانجليزي المعروف» إدوارد لين، فقد زار الشرق، ومصر خاصة، وأقام فيها، ولذلك عندما ترجم ألف ليلة وليلة علق على كل ما هو شرقي خاص فيها، بكلام يفسره ويقربه إلى الفreibin.

ونتيجة للاتصال الفرنسي بالأتراك كانت ترجمة ألف ليلة وليلة أثر من آثار هذا الاتصال (فجالان) كان مرسلًا من قبل حكومته في سفارة فرنسا في اسطنبول، بل إن جالان كان مووفداً

من الوزير الفرنسي المشهور كولبيير الذي عُرف بميله، بل ويتشجع عليه القوى لحركة الاستعمار عن طريق الشركات التجارية في الشرق، ليجمع له تحفًا شرقية من تركيا، وغيرها من بلاد الشرق.

وترجم (جالان) أول جزء من *ألف ليلة وليلة*. وهو يظن أنه لا يضيف إلى الأدب الفرنسي إلا نوعاً جديداً وقد يكون طرífاً من تأليف الرحالة في الشرق^(٣٢).

أثرت *ألف ليلة وليلة* في أغذاء الأدب الغربية عن طريقين هما :

- أ)- الترجمة.
- ب)- التأليف.
- ج)- الترجمة :

غيرت الترجمة التي قام بها (أنطوان جالان) اتجاه النظر إلى الشرق، وأثرت في الغرب آثار أقوى من ذلك فقد :

- ١- دخلت حياتهم عن طريق الأدب، وكل ما يتعلق بالأدب من مسرح، وفن.
- ٢- الخيال الرائع الذي اشتغلت عليه *ألف ليلة وليلة*، كان معيناً غنياً، ويدلاً جميلاً عن هذه اليهودية التقليدية التي كان الغرب قد بدأ يملها.
- ٣- لاقت الترجمة التي قام بها (جالان) لليلي نجاحاً أدبياً كبيراً، وأصبحت بفضل ترجمتها المديدة جزء من الأدب العالمي.
- ٤- اتجه بعض من الأدباء إلى تقليد الكتاب تقليداً مباشراً فهذا (جازوت) ينشر ما يسميه « تكميله لألف ليلة وليلة » وكذلك (برتن) مترجم اليلي ينشر سبعة أجزاء أخرى بعد الترجمة يسميهما « ليلي ملحقة بألف ليلة وليلة ».

لم يجمع قصصها من نسخة خاصة لألف ليلة؛ وإنما جمعها من نسخ مختلفة من اليلي ومن كتب، أو مصادر أخرى^(٣٣).

٥- تناقض المهيمنون بإذاعة *ألف ليلة وليلة* في نشر قصص لا توجد في نسخة من اليلي زاعمين أنها منها، وأنها لم تنشر.

ب)- التأليف :

تضفت *ألف ليلة وليلة* في البيئات الأدبية، وخاصة عند عامة القراء، فأصبح الشرق عند كثير من هؤلاء يساوي *ألف ليلة وليلة*، وفي نشر قصص لا توجد في نسخة من اليلي، وقد عكست موجة التقليد آثار لأعلى المؤلف الجديد فحسب؛ وإنما على القديم، فأخرجته إخراجاً جديداً، حتى يصبح *ألف ليلة وليلة*.

فتجد القصص «الغالية» القديمة التي أخرجتها الملكة نافارو التي نشرها «Monhy» سنة 1764 م تحت اسم «Heptamero» أصبحت «Lesmilleetum Faveurs»^(٢٤).

وقد تدفق نحو الشرق في أواخر القرن السابع عشر إلى أيامنا هذه أعمال الكتاب، وخاصة الكتاب الفرنسيين، فقد بدأت رحلات الأدباء ليروا بلاد السحر، والجن، والحرير، والرقيق، والبذخ.

ولقد ألف الأستاذ (جان ماري كاريه) كتاباً فهماً عن رحلات الكتاب الفرنسيين إلى الشرق الأدنى، وفي هذا الكتاب تجد نص صريح في مذكرات بعض الكتاب أمثال «يتوفيل جوتيه» و«جرار دونرنال» و«مكسيم دوكان» إن مدينة ألف ليلة وليلة كانت من أهم ما داعب أحلامهم، ودوافعهم إلى القيام برحلتهم في الشرق، وإن عجزوا عن تفاصاتها أحياناً^(٢٥).

وقد استغل كتاب ألف ليلة وليلة في القصص استغلاً كبيراً بأمد الأدباء بعالم واذر من الشخصيات، والحوادث، والمناظر، مما كان له أكبر الأثر على أدب الأطفال الذي لا يزال ناشئاً في الأمم الغربية، فقد استعان مؤلفي قصص الأطفال بما في الكتاب من أدب قريب المثال متوجه إلى السذاجة، والبساطة التي هي من أخص مميزات قصص الأطفال، ومن أبرز القصص التي استقيت من ألف ليلة وليلة مباشرة «قصة علاء الدين، وقصة علي بابا، وقصة سندباد، وقصة الأميرة الصغيرة».

كل هذه أصبحت جزءاً من ثقافة الأطفال في أوروبا، لقد تأثر الكتاب الغربيين في كثير بالناحية الخيالية، والشعرية الغامضة السحرية التي تكشف عن الشرق بفضل هذا الأثر كما اهتم أصحاب المذهب الإبداعي (الرمانتيكيين) في الغرب بحياة السوق، والدهماء، وعنائهم بحياة الملوك، والنبلاء، وهب رواد الاستعمار، وعشاق الآثار ينقبون عن (هولكلور) الشرق.

قال فولتير^(٢٦): إنه لم يزاول هن القصص إلا بعد أن قرأ ألف ليلة وليلة أربع عشرة مرة، وتمتى القصصي الفرنسي (استندا) أن يمحو الله من ذاكرته ألف ليلة وليلة حتى يعيد قراءته فيستعيد ذاته.

اهتمام المستشرقين به: أخذت أقلام المستشرقين تجادل منذ أوائل القرن التاسع عشر في أصله، وتكتشف عن مناهي جماله، وفضله؛ وأن دوائر المعارف الكبرى سجلته في حقولها، وخصصته بالطريف الممتع من فصولها؛ وأن الأستاذ (دكتور شوفان) أفرد له في كتابه، تاريخ المؤلفات العربية، جزءين سرد فيها مخطوطاته، وطبعوعاته، وترجماته، وجزءين آخرين لشخص فيها طائفة كبيرة من حكاياته، وأن الكتاب الروائيين قد استقلوا للسينما، والمسرح، فاستخرجوا للأول رواية (لص بفداد)، وللثاني (قسمت) أو القضاء والقدر، وأن رجال التربية والتعليم في

فرنسا، وألمانيا، وإنكلترا قد اقتبسا منه أدباً للأطفال ظاخصروه، وصوروه^(١٧). كما قد تأثروا بهذه الصور العديدة التي كشفت عنها الليالي من حياة الشرق "صور السراري، والحرير، وخان التجار، وسوق الرهيف، وحمام النساء، والسحرة" مما أغنى الأدب في ناحيتين: هما:

أ) - في ناحية الوصف:

فقد استفادت القصة الغريبة آفاقاً، وميادين جديدة لحوادثها، وعواطفها من تلك الأوصاف الموجودة في ألف ليلة وليلة.

ب) - في ناحية المناظر المسرحية:

«فتنى المسرح بفضل ذلك غنى هائلأ، وأصبحت صناعة المناظر المسرحية تعتمد اعتماداً قوياً في إبراز الأدب المسرحي الشرقي على هذه الصور التي أوحت بها الليالي، وغنى بالطبع فن الرسم، والموسيقى بفضل ما مثل المسرح أمام الجمهور من مناظر حية قوية كانت مادة للخيال، والإنتاج الجديد^(١٨)».

أدب الهجاء :

لقد أثرت ألف ليلة وليلة على نماء نوع أدبي ناشئ هو «أدب الهجاء» فقد اتجه هذا النوع اتجاهًا جديداً منذ اتصال الفربين عامة بالترك إذا اتخذوا الترك ولباسهم ستاراً يسدلونه على شخصياتهم، ومناظرهم، وعلى تقدمهم للملك، أو الكنيسة، أو الحكومة، فقد فعل ذلك الكاتب الفرنسي المشهور (مونتسكيو) في كتابه «رسائل فارسية» التي لاقت نجاحاً هائلاً عظيم الآخر في الأدب الفرنسي، فقد فجرت الرسائل الفارسية وهي الكتاب في أن يقلدوا هذا النوع من الأدب، وقد ألف نحو عشرين كتاباً تقليداً لهذه الرسائل، حتى أن «فولتير» نفسه قلدتها في كتابه «Lettres d'Amabed».

العيوب التي أخذت على ألف ليلة وليلة :

نتيجة لهذه الكثرة المفرطة من التأليف لألف ليلة وليلة، وأثرها في الأدب الفرنسي، اغتنلت طائفة من أدباء فرنسا من هذا اللون الجديد الذي صبغ أدبهم فملوء في سرعة، وحاولوا أن يسخروا منه ليختضوا من وطأته بعد أن صدم ذوقهم لهذه الكثرة المملة التي ظهرت في كل ناحية من نواحي الأدب عن هذا الشرق المتمثل في ألف ليلة وليلة، فعمدوا إلى أهم ما يعاب على هذه الآثار ليها جمود وهي:

أ) - الاستطراد الكبير.

ب) - تقاهة الحوادث التي تقصصها أحياناً

مما كان سبباً في أن غيبت الكوميدي بفضل (فولتير)، وغيره، من هذا النوع من المناظر المضحكة، والشخصيات الطريفة بملابسها، وكلامها، وتصرفاها.

المواضيع التي دخلت في أدب الغرب:

لقد أثرت ألف ليلة وليلة بأن دخلت مواضيع بعضها في أدب الغرب كقصص الحيوان، والجن، ودخلت في الفنون كالموسيقى، والرقص، والرسم، وفي الشعر، والتمثيل.

إطار ألف ليلة وليلة، وأثره في أدب الغرب:

كان لإطار ألف ليلة وليلة أكبر الأثر في أدب الغرب، فشخصية شهرزاد أصبحت شخصية عالمية، وكل ما أحيط بها في الإطار من حوادث أصبح ينبعوا لتجدر الأدب الكبير الجديد «هذا جوبيه يكتب عن الليلة الثانية بعد الليلة الأولى حيث تأتي شهرزاد لزيارة الكاتب طالية منه إنقاذهما بقصة جديدة؛ لأن الملك لم يعف عنها»^(١).

وهذا (بو) الأمريكي يتأثر بالسخرية التي أثارها كتاب فرنسا من تعميم هذا الأثر، وكثرة، فيولف قصة قصيرة على طريقه عن الليلة الثانية بعد ألف حيث يقتل الملك شهريار شهرزاد في تلك الليلة؛ لأنها استمرت تقصر عليه، وقد اشتاق بعد كل هذه الليالي إلى أن ينام مطمئناً بعد أن سُئم، ومل.

ويأتي في العصر الحديث، الكاتب الفرنسي المعروف «دور دينيه» فيولف قصة حول شهرزاد بعد ألف ليلة، فيصور لنا مقتل شهريار وتفرد شهرزاد بالحكم بعده، وسامها من القصر والبستان، والبذخ الذي تعيش فيه، فتحاول هي بدورها فاصاً يسليها، وعقاب من لا يسليها قطع أذنيه، فيتصدى لها الكثيرون، وتظفر آخر الأمر بجميل يأتيها في قائلة غريبة هتبه، ويُظهر الكاتب بعد ذلك في نفس مجموعة الشخص، وقد خانها حبيبها، وأنت إليها فرضية خانها حبيبها هي أيضاً على متن طائرة من باريس إلى بغداد، فتشاكيان، وتحابان، وتستعيض كل منها بالأخرى ومن فقدت^(٢).

أثر الكتاب في أدباء إنجلترا:-

لقد تركت موضوعات الكتاب آثاراً عامة في كل أدب غربي تقريباً تتعدد.

أ) - كتاب «Vathek» الانجليزي الذي ألفه «بيكفورد» الذي صيغ إنتاج الكتاب الانجليزي نحو نصف قرن تقريباً بصفته متاثراً إلى جانب تأثره بالأدب القوطي الرومانتيكي بألف ليلة وليلة بالذات أقوى أثر.

ب) - لقد أثر الكتاب في الشاعر تينيсон (Tennyson) (١٨٠٩-١٨٩٢) ونظم قصيدة في «ألف ليلة وليلات» (Dickens) (١٨٧٠-١٨٧٢)، وهو كما يظهر لنا من كتابه «دافيد كوبير فيلد»، قد فرّأ «ألف ليلة وليلة» في حداثته، وتتأثر بها. وفيه «دووكو نيسبي» و«ستووي»، وهم من أدباء إنجلترا، وهناك أدباء كثيرون من فرنسيين، وأيطاليين، ودنماركيين تأثروا بألف ليلة وليلة، حتى قال جب: «أن قصة شوسر (سنة ١٤٠٠م) المسماة حكاية الفارس الغلام (Squiretale) ليست غير واحدة من قصص ألف ليلة وليلة»^(١٧). وشوسر هو أبو الشعر الانجليزي.

ولم يقف إعجاب الأوروبيين بألف ليلة وليلة عند هذا الحد، بل قام رجال التربية منهم بعملون على جمع الحكايات الطريفة في حوادثها، والشيقة في مفاجأتها المليئة بأنواع الشرق، تلك الحكايات الخصبة الخيال التي توافق روح الأحداث، فطبعوها على حدة طبعات جميلة، ووضعوها بين أيدي أحداثهم، وطلاب مدارسهم، فكان لهم كتاب «علا» الدين والقديل المسحور، وحكاية «أنيس الجليس»، وحكاية «أبي قاسم أحمد البغدادي»، وحكاية «الستندياد البحري»، وعشرات الحكايات غيرها. وكلها مهذب لفظه، متقن طبعه، محلّي بأجمل الرسوم مما يشوق الصغير، والكبير إلى القراءة، والمطالعة.

وكان أسرع الأمم إلى اقتباس هذه الحكايات، وعرضها للشعبية، والتأثر بها الألمان، والفرنسيون، والإنجليز.

«وكان لألف ليلة وليلة أثر كبير في عالم الفن، والتمثيل، فاستقلّ موضوعاتها الشيقة شركات السينما في العالم المتقدم، فاستطعنا أن نشاهد أفلاماً سينمائية رائعة، هي طرفة هريرة في عالم الفن، يذكر منها «لص بغداد» الذي لا يستطيع العقل البشري مهما سما، وحاول أن يبتعد عن الأساطير الخيالية، والحكايات الخرافية إلا أن يعجب بخياله الساحر، وموضوعه الطريف»^(١٨). وقد أشار الدكتور داود سلوم في «آفاق الأدب المقارن»^(١٩) عن الآثار الأوروبية التي تأثرت بهذه الحكايات التي في ألف ليلة وليلة، فإننا نقدم بعض النماذج من إشارات الباحثين إلى ذلك. «فإن ملحمة الدوق ارنسن المكتوبة في القرن الحادي عشر الميلادي قد تأثرت بحكاية أمير خوارزم في ألف ليلة وليلة، وإن ملحمة هرفيزدي متز المكتوبة في نهاية القرن الثاني عشر متأثرة بحكاية نور الدين في ألف ليلة وليلة. وإن كتاب حكماء روما السابعة تأليف الراهب الإسباني (خوان دي ألتا سلفا) متأثر بكتاب

السندباد، أو حكاية مكر النساء، وقيل إنما هو ترجمة لحكايات السندباد غير البحري، وإن بطرس أفنوسو في كتابه تعليم الكتاب قد اقتبس حكاياتي الكلبة الباكية، والأعمى وزوجته، ومنافسيه من ألف ليلة وليلة.

وإن جوسري في حكايات كتربرى أفاد من ألف ليلة وليلة في حكاية (سكواير)، ونرى أنه أفاد كذلك من ألف ليلة وليلة في حكاية حامل الصكوك.

وان يوكاشيو في الديكاميرون قد أفاد في إحدى قصصه من حكايات ألف ليلة وليلة الواردة في حكايات السندباد البري، وأن مؤلف الليالي الممتعة أستربرولا قد أفاد من حكايات ألف ليلة وليلة كذلك.

ويرى البروفسور (ركب) أن ديفو في كتابه روينسن كروزو قد أفاد من كتاب ألف ليلة وليلة، وينذهب إلى أبعد من ذلك بحث يشير إلى قصة غوليفر، وقد تأثرت هي أيضاً بهذا الكتاب. إن كل هذه الإشارات لا تجعلنا نغفل عن أثر هذا الكتاب، ولا أن نغفل وجوده في القرون الوسطى».

وقد أثرت ألف ليلة وليلة في القصة الأمريكية أيضاً، ففي عام ١٩٩١م نشر الروائي الأمريكي «جون بارث»، وهو أبرز الروائيين الأمريكيين المعاصرین -رواية عنوانها «الإبعار الأخير لشخص ما بالحار».

«ولن يحتاج القارئ للمضي إلى أبعد من صفحة المحتويات ليتبين المرجعية الدلالية للعنوان، وللنسيج الروائي نفسه: فشهرزاد، وسندباد، وهارون الرشيد، وبغداد كلهم هنا يعلون عن ألف ليلة وليلة كحضور أساسى في عمل روائي طالع للتو من خضم الحياة الثقافية الأمريكية^(٤٠)». فالروائي الأمريكي جون بارث، قد اعتمد في أعماله على تلك الشخصيات الشرقية منذ فترة مبكرة كمصدر رئيس لتقنية القصص وفلسفته.

يضاف إلى ذلك شيوع استعمال ألف ليلة أو الليالي العربية - كما تسمى أحياناً - في الأدب الغربي عموماً منذ احتضنتها أوروبا في مطلع القرن الثامن عشر، وتعهدتها بالرعاية والانتشار. ونجد أثر ألف ليلة وليلة في الموروث الشعبي الغربي، وتمثل ذلك في ١٩٩١م ظهور قليم من الرسوم المتحركة بعنوان «علا الدين»، من إنتاج شركة « والت ديزني » الأمريكية، ولاشك أن اختيار هذه الشركة لحكاية علاء الدين دليل واضح على مدى شعبية هذه الحكايات في الغرب، وتجذرها في الموروث الشعبي الغربي^(٤١).

أثر الكتاب في المسرح:

لقد امتد أثر ألف ليلة وليلة إلى المسرح، فقد مدّ المؤلفين المسرحيين بكثير من

الموضوعات فنجد: «لينسنج» الكاتب الانجليزي يؤلف مسرحية اسمها «علاه الدين» والكاتب الفرنسي، Beaimarchais، يؤلف مسرحية «حلاق إشبيلية».

وقد ذكر صاحب مقالة «الإبداع الشعبي»^(٥٧) (إن كثيراً من موضوعات مسرح العرائس في تشيكوسلوفاكيا، وألمانيا، والاتحاد السوفيتي تقوم على حكايات مشهورة من ألف ليلة وليلة.

أثراها في الموسيقى:

لقد أوحى هذا الأدب إلى الموسيقيين، فيلوفون قطعاً كثيرة منها، ونجد أشهرها ما تجمعه «أوبر حلاق إشبيلية»، وأوبرت «المعروف الإسكاليف»، و«متتابعة شهرزاده لرمسيكي كورساكوف»^(٥٨).

أثراها في الرقص:

لقد دخل أثراها في الرقص، الباليه، فنجد:

١) - باليه اسمه Leperi، ألف موضوعه «جوبيه»

٢) - ونجد الباليه المشهور، شهرزاد، وهو من أنواع الباليه التي يُقصّ عن طريق الرقص قصة لها موضوع وفيها حركة.

وقد ألف هذا الباليه (جول سمفوني كرزاكوف)، ولا يزال هذا الباليه إلى اليوم يلعب على أشهر المسارح بفضل من جددوه، وبفضل ما فيه من حيوية الموضوع^(٥٩).

أثراها في الرسم، والتحت:

أ) - لقد كان لصور الحرير، والرقيق، وبالاط الرشيد من أهم ما أبرز من آثار ألف ليلة وليلة في الرسم والتحت، فهناك مثلاً: «لوحة جيروم المشهور عن (سوق الرقيق)^(٦٠).

ب) - كما في أعمال (ديلا كروا) الذي استلهم الليالي في كثير من اللوحات المشهورة، ولقد تأثر الفنان العالمي الإسباني (بابلو بيكاسو) بإحدى هذه اللوحات، فقد عنده أربع عشرة دراسة تكيبية^(٦١).

الموضوعات العامة التي أثرت في الأدب الغربي:

لقد كان للموضوعات العامة في ألف ليلة وليلة أكبر الأثر في الأدب الغربي.

أ) - موضوع الرحلات..

أوحت شخص «الستدياد» إلى كثير من كتاب الرحلات في الغرب أن يؤلفوا عن رحلاتهم، أو عما يتخيّلون من رحلات، ونجد أنه في الأدب الانجليزي كتابان انجلزيان رفما هذا الموضوع إلى مستوى المواضيع الأدبية العامة وذلك بفضل كتابيهما اللذين يعدان أكثر كتب الأدب الانجليزي ذيوعاً، وهما كتاب «روينسون كروسون» و«رحلات جالفيرز»^(٦٢).

وقد استمد الكاتب الفرنسي «جول فرن» الوحي من ألف ليلة وليلة في أن يؤلف سلسلة كتب صغيرة للصبية عن الرحلات.

ب) - موضوع أدب الحيوان.

ج) - موضوع الأدب الوعظي، أو الأدب الحكيم.

د) - موضوع الجن، والسحر، وقد بُرِزَ في أدب القرنين الثامن عشر، والتاسع عشر.

القضايا التي حملتها ألف ليلة وليلة، وكان لها تأثير على الأدب الأوروبي،

كان لهذه القصص تأثير عظيم في الآداب الأوروبية منذ عرفتها في أواخر القرن الثامن عشر، فقد حملت ألف ليلة وليلة كثيراً من قضايا الرومانسية ومنها:

١- الهرب من الواقع الحياة إلى عالم خيالي، طيب، سحري.

٢- السخرية بالملوك.

٣- ترجيح العاطفة على العقل في الاهتمام إلى الحقائق الكبرى.

كما إن في ألف ليلة وليلة عناصر عديدة دفعت الأدباء العالميين في الغرب للاهتمام بها، وفي مقدمة هذه العناصر لونها الشرقي الجذاب، وخيالها التظريف الساحر...».

«تم بحمد الله»

الخاتمة :

الحمد لله الذي أعانتي على إنجاز هذا البحث عن «أثر ألف ليلة وليلة في الأدب الأوروبي»..
وأتمنى من الله العلي القدير أن أكون قد وقفتُ في إعطاء هذا الموضوع حقه من البحث،
والتحليل، والنقد..

وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت، واليه أُنِيب...»

د / معتوقه المعطاني ..

الهوامش :-

- (١) الأدب القصصي عند العرب "موسى سليمان" ص-٢٠٣ فتحة.
- (٢) المراجع نفسه ص-١٨٦-١٩٥ فتحة.
- (٣) المراجع نفسه ص-١٨٧ فتحة.
- (٤) قصة ألف ليلة وليلة ، جعفر الخليلي، العدد الثاني ١٩٦٢ ، ص-٥٤ فتحة.
- (٥) الأدب القصصي عند العرب "موسى سليمان" ص-١٩٦ فتحة.
- (٦) النقد الأدبي الحديث "د/ محمد غنيمي هلال" ص-٥٢٨ فتحة.
- (٧) المراجع نفسه ص-٥٢٨ فتحة.
- (٨) مجلة المؤشرات الشعبية- مقال: (الإبداع الشعبي) لـ/ عبد الحميد يونس، ص-٢١٣ فتحة.
- (٩) الأدب المقارن، د/ محمد غنيمي، ص-٢١٥-٢١٦ فتحة.
- (١٠) المراجع السابق ص-٢١٦ فتحة.
- (١١) المراجع السابق ص-٢١٦ فتحة.
- (١٢) الأدب القصصي عند العرب، موسى سليمان، ص-١٩٦ فتحة.
- (١٣) المراجع السابق ص-٢١٦ فتحة.
- (١٤) مجلة المؤشرات الشعبية- مقال «الإبداع الشعبي» لـ/ عبد الحميد يونس، ص-٣٢-٣٣ فتحة.
- (١٥) المراجع السابق ص-٣٢-٣٣ فتحة.
- (١٦) ألف ليلة وليلة سهير القلماوي، ص-٢٢-٢٤ فتحة.
- (١٧) المراجع السابق ص-٢١٦ فتحة.
- (١٨) المراجع نفسه ص-١٦-٢٣ فتحة.
- (١٩) المراجع نفسه ص-١٦-٢٣ فتحة.
- (٢٠) المراجع نفسه ص-١٦-٢٣ فتحة.
- (٢١) المراجع نفسه ص-٣٤-٣٥ فتحة.
- (٢٢) كتاب خصائص الأدب العربي في مواجهة النقد الأدبي الحديث، أنور الجندي، ص-٣٩٩ فتحة.
- (٢٣) المراجع نفسه ص-٣٩٨ فتحة.
- (٢٤) المراجع نفسه ص-٣٩٩ فتحة.
- (٢٥) الأدب المقارن ، محمد غنيمي هلال، ص-٢١٦ فتحة.
- (٢٦) ألف ليلة وليلة ، سهير القلماوي، ص-١٨-١٧ فتحة.
- (٢٧) المراجع السابق ص-٢٧-٢٨ فتحة.
- (٢٨) المراجع نفسه ص-٢٠ فتحة.
- (٢٩) ألف ليلة وليلة، سهير القلماوي، ص-٢٨٣ فتحة.
- (٣٠) المراجع السابق ص-٢٨٣ فتحة.
- (٣١) المراجع نفسه ص-٢٨٣ فتحة.
- (٣٢) المراجع نفسه ص-٣١-٣٠ فتحة.
- (٣٣) المراجع نفسه ص-٣٤-٣٣ فتحة.

- (٢٤) المرجع نفسه ص١٣٨صفحة.
- (٢٥) المرجع نفسه ص٢٣٢صفحة.
- (٢٦) المرجع نفسه ص٤٦٦صفحة.
- (٢٧) المرجع نفسه ص٦٦-٦٥صفحة.
- (٢٨) المرجع نفسه ص٦٧٦صفحة.
- (٢٩) المرجع نفسه ص٦٨٨صفحة.
- (٣٠) المرجع نفسه ص٦٨٩صفحة.
- (٤١) انظر في أصول الأدب: محاضرات، ومقالات في الأدب العربي لـ / "أحمد حسن الزيات" ص٤٤٥-٤٤٥صفحة.
- (٤٢) المرجع السابق ص٥٤صفحة.
- (٤٣) ألف ليلة وليلة، سهير القلماوي، ص٧٠صفحة.
- (٤٤) المرجع السابق ص٧٢٢صفحة.
- (٤٥) المرجع نفسه ص٧٣٧صفحة.
- (٤٦) المرجع نفسه ص٧٣٣صفحة.
- (٤٧) ثراث الإسلام لـ / ارنولدو جيوم، ص١٨١صفحة، وانظر أيضاً الأدب القصصي عند العرب ص٢٠صفحة.
- (٤٨) الأدب القصصي عند العرب، موسى سليمان، ص٢١-٢٢٢صفحة.
- (٤٩) آفاق الأدب المقارن، داود سلوم، ص٢٠-١٩٣صفحة.
- (٥٠) مقارنة الآخر- مقارنات أدبية، لـ / سعد البازغى، الموضوع (استشراف الحكاية ألف ليلة وليلة في القصة الأمريكية)، ص٩٤٩صفحة.
- (٥١) انظر مجلة تايم الأمريكية من ٩ نوفمبر ١٩٩٢ عدد ٤٥٤، وأيضاً كتاب مقارنة الآخر- مقارنات أدبية، لـ / سعد البازغى، الموضوع (استشراف الحكاية ألف ليلة وليلة في القصة الأمريكية) ص١٩٩صفحة.
- (٥٢) مجلة المؤثرات الشعبية- مقال "الإبداع الشعبي" ص٣٢٣صفحة.
- (٥٣) المرجع السابق ص٣٢٣صفحة.
- (٥٤) ألف ليلة وليلة، سهير القلماوي، ص٦٧٤صفحة.
- (٥٥) المرجع السابق ص٦٧٤صفحة.
- (٥٦) مجلة المؤثرات الشعبية- مقال "الإبداع الشعبي" ص٣٢٣صفحة.
- (٥٧) ألف ليلة وليلة، سهير القلماوي، ص٦٤٧-٦٥٧صفحة.

المصادر، والمراجع:

- ١- الأدب التصصي عند العرب، لـ / موسى سليمان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الرابعة.
- ٢- الأدب المقارن، لـ / محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة.
- ٣- ألف ليلة وليلة، لـ / سهير القلماوي، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة.
- ٤- آفاق الأدب المقارن، لـ / داود سلوم، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
- ٥-تراث الإسلام، لـ / أرنولدو جيروم، ترجمة نخبة من الجامعيين بمصر، ١٩٦٦م.
- ٦- خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، لـ / أنور الجندي، الطبعة الأولى، دار الاعتصام، دار العلوم للطباعة.
- ٧- في أصول الأدب: محاضرات، ومقالات في الأدب العربي، لـ / أحمد حسن الزيات.
- ٨- قصة ألف ليلة وليلة، لـ / جعفر الخليلي، مجلة الفكر العربي، العدد الثاني ١٥- فبراير- ١٩٦٢م.
- ٩- مقارنة الآخر، مقارنات أدبية، لـ / سعد البازغى، الموضوع: (استشراف الحكاية ألف ليلة وليلة في القصة الأمريكية)، دار الشروق، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- ١٠- مجلة تایم الأمريكية من ١٩٩٢- توفیر- ١٩٩٢م، العدد (٤٥).
- ١١- مجلة المؤثرات الشعبية، السنة الثانية، العدد الخامس، جمادى الأولى ١٤٠٧هـ - يناير ١٩٩٧م، مقال : "الإبداع الشعبي" للدكتور عبد الحميد بوس.
- ١٢- مروج الذهب، لـ / المسعودي علي بن الحسن، تحقيق محي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٢٧٧هـ - ١٩٥٨م.
- ١٣- النقد الأدبي الحديث، لـ / محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة- القاهرة.

٣

الشريعة و الأنظمة



جامعة الطائف

الضوابط الشرعية والقانونية في نقل وزراعة الأعضاء «دراسة مقارنة»

د. حسينى إبراهيم أحمد إبراهيم

مدرس القانون المدنى - الجامعة العمالية

أستاذ القانون المدنى المساعد - كلية الشريعة والأنظمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّمَا يَخْشَىُ اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمَوْا إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾

صدق الله العظيم

سورة هاطر، جزء من الآية ٢٨

تمهيد :

كرم الله سبحانه وتعالى الإنسان منذ بدء الخليقة وكان لهذا التكريم مظاهر عدّة منها مثلاً لا حصرأ : خلق الله عزوجل الإنسان في أحسن صورة ؛ إذ يقول المولى سبحانه وتعالى : «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم»^(١).

وأطلاقاً من ذلك، فقد كرمت جميع الشرائع الإنسان أئمّا تكريم، وحرمت الإعتداء عليه، وذهبت لأبعد من ذلك، بمنعها مساس الإنسان الصار بجسده، فحرمت هذه الشرائع الانتحرار وحظرت الإنسان من إلقاء نفسه إلى التهلكة^(٢).

من أجل ذلك كان الحفاظ على العنصر البشري في أفضل صورة يُعد أمراً مطلوباً في كل زمان ومكان، إذ أنه في أي مرحلة من مراحل حياة الإنسان، يمكن أن يكون مصدراً للإفادة بالنسبة لنفسه، ول مجتمعه، حتى بعد وفاته يمكن - بأمر الله - أن يكون سبباً في إنقاذ حياة الآخرين من الهلاك، عن طريق نقل عضو من جسده حياً أو جثته ميتاً، وزرعه في جسم إنسان مريض - بدلاً عن عضو تالف - مما يؤدي إلى تحسين وظائف جسد هذا الأخير وإقاده من موت محقق^(٣).

من هذا المنطلق، تُعد عمليات نقل وزراعة الأعضاء البشرية، الوسيلة الطيبة الفنية الحديثة،

(١) سورة التين الآية رقم ٤، ومن مظاهر هذا التكريم أيضاً: الاستخلاف في الأرض، إذ يقول المولى سبحانه وتعالى: «وَإِنَّمَا كَانَ رَبُّكَ تَنْكِيرَكَ إِذْ يَكُونُ فِي الْأَرْضِ كُلُّ كَيْدٍ فَلَا يَعْلَمُ فِيهَا إِنْ شِئْتَ وَكُنْتَ تَعْلَمُ وَتَقْرَبُ لِكَ الَّذِي أَخْلَمَ مَا لَا يَقْتَلُونَ» (البقرة الآية ٢٠)، التكريم بالعلم والبحث على طلبه، إذ يقول المولى سبحانه وتعالى: «وَعَلَمَ اللَّهُ أَكْلَمَ الْأَكْلَمَ لَهُمْ لَمْ يَعْلَمُهُ عَلَى النَّاسِ كَيْدُوكَلَّ الْيَخْرُقَ بِأَشْتَأْنَهُ هَذَا إِنْ كُنْتَ مُكْبِرُونَ» (١٧)، غالباً ما يتحقق لآدم لـ (آدَمَ كَلَّتْكَ إِنْكَ أَلْقَمَ الْأَلْقَمَ) (٢)، كَلَّ يَكْتَمُ الْيَقْمَ وَأَتَكْمَلَ كَلَّ الْأَيْمَ وَأَتَكْمَلَ كَلَّ الْأَيْمَ كَلَّ الْأَيْمَ كَلَّ الْأَيْمَ وَأَتَكْمَلَ كَلَّيْمَ وَأَتَكْمَلَ كَلَّيْمَ (٣) (البقرة الآيات أرقام ٢٢، ٢١)، التمييز بالعقل والتفكير، إذ يقول المولى سبحانه وتعالى: «وَكَلَّتْ كَرْتَنَ بَيْنَ كَلَمَ وَكَلَمَعَنِ الْيَرِ وَالْيَحْرِ وَنَكْلَمُ بَيْنَ الْيَيْتَنِ وَنَكْلَمُ بَيْنَ كَلَمَ وَكَلَمَعَنِ الْيَرِ وَالْيَحْرِ بَيْنَ كَلَمَ وَكَلَمَعَنِ الْيَرِ وَالْيَحْرِ بَيْنَ كَلَمَ وَكَلَمَعَنِ الْيَرِ وَالْيَحْرِ» (الإسراء الآية ٧).

(٢) يقول المولى سبحانه وتعالى: «وَكَلَّلَوْلَيْكُوْلِي الْأَنْكَوْلَوْلِيْنِ إِنْ لَكَ بِيْنَ الْأَنْكَبِنِ» (٤)، البقرة جزء من الآية ١٩٥.

(٣) جدير بالذكر، أن عمليات نقل وزراعة الأعضاء البشرية، ليست حديثة العهد، بل هي قديمة قدم الخليقة، فقد عرف الإنسان عملية الترنيمة (Trehphine) في العصر البرونزي، وأجرى قدماء المصريين عمليات زرع الأسنان، والتي نقلتها عنهم الرومان وأهل اليونان، وعرفها الأطباء المسلمين في القرن الرابع الهجري، وقد أجرى النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، أول زرع للعين، فقد روى الطبراني عن قتادة بن القuman، قال: «كانت يوم أحد أقيمت السهام بوجهي دون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، مكان آخرها سهماً نضرت منه حدقي، فأخذتها بيدي، وسميت بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأها بيده كفي دمعت عيناه، وقال: «اللهم في عين قتادة كما وعي وجه نبيك بوجهه، فأجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظراً، هكانت كذلك»، وورد أيضاً أن النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، رد يد معاذ بن عفراء يوم بدر، بعد أن قطعها عكرمة بن أبي جهل وأقصفها، فلخصت بعد أن تدرت من الكتف، كذلك رد صلى الله عليه وسلم، يد خبيب بن يساف، وكان قد ضرب يوم بدر على عاتقه، فرده المصطفى صلى الله عليه وسلم، ونفت عليه حتى صح، كتاب السنن الكندي - آداب القاضي - السير.

التي فرضتها ظروف العصر، وأوجدها البحث الدؤوب في علوم الطب والعلاج، لتقديم الحل الناجح لخلاص الكثير من المرضى والمصابين من آلامهم، وتنمية الأمل في الحياة لمن طفت عليهم سطوة المرض^(١).

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في علاقته الوثيقة بجسد الإنسان حياً وجثته ميتاً، فعمليات نقل وزراعة الأعضاء البشرية تمس حقاً من الحقوق الإنسانية اللصيقية بشخصية الإنسان، وحقه في الحياة مطلقًا، وحقه في تكامله الجسدي، بما يوفر له العيش دون متابعة صحية، وبما يؤدي إلى قيام كل عضو في جسد الإنسان بأداء وظيفته التي خلقه الله عزوجل لأجلها^(٢).

والسؤال الذي يدور في الذهن ولابد له من إجابة، هو: هل سيتم نقل وزراعة الأعضاء بين الأحياء فقط، أم سيتم بين الأحياء والموتوفين حديثاً، وهل سيتم النقل بين الأقارب لدرجة معينة فقط، أم سيشمل النقل جميع الحالات المرضية التي تتطلب نقل الأعضاء دون استثناء؟
وإذا افترضنا مبدئياً إباحة عمليات نقل وزراعة الأعضاء البشرية، بإعتبار أن مقتضيات التقدم العلمي والواقع العملي لمواجهة طاحونة المرض بمختلف أشكاله وأنواعه، تفرض ذلك تخلصاً للمرضى من متابعيهم وإنقاذ لحياتهم، فما هي الوسائل الكفيلة بتوفير هذه الأعضاء، هل بالبيع أم بالإيجار أم بالترير؟ وما هو أساس مشروعية هذه العمليات؟
فضلاً عن ضرورة وضع العمليات الطبية فيما يواكبها من تطورات علمية في قالب قانوني،

(١) حققت عمليات نقل وزراعة الأعضاء البشرية نجاحاً كبيراً في مجال زراعة العيون والقلب والكلى، وبات تتحقق نجاحاً مطرداً في مجال زراعة الكبد، بالرغم من صعوبة الحصول على كبد شخص حديث الوفاة، لأن الكبد يتلف تماماً بعد أن يتوقف ضغط الدم فيه، لهذا أصدر مفتى جمهورية مصر العربية فتوى متضائعاً: "أن نقل الكبد جائز شرعاً، لأن الهدف منه هو إنقاذ حياة مريض، بالحصول على كبد إنسان هو في حكم الميت فعلاً"، مشيراً إلى أنه بينما يكون الإنسان موضوعاً تحت آلة معينة تسمح بإستمرار حركة تدفق الدم في قلبه، وأن حياته ستنتهي قور نزع هذه الآلة منه، وأن هناك اجماع من الأطباء بأن الشخص متوفٍ فعلاً، وأن تبيذه يرتبط بهذه الآلة فقط، وأن الكبد الموجود في جسمه تتوقف عليه حياة إنسان آخر، فهنّ هذه الحالة بيع الشرع إذالةضرر الأعلى بالضرر الأقل، ويجوز النقل حتى بدون موافقة أهل المتوفى، ما دام الأمر يتعلق بإإنقاذ حياة إنسان حي وتوافر حالة الضرورة، بيد أن هذا الأمر لا يمكن العمل به على إطلاقه، حيث يرتبط ذلك بحكم الأطباء على حالة الشخص الذي يُنقل منه الكبد، فالمسئولة مسئلة "ضمير الطبيب" ولو وصل الأمر إلى اليقين من موت شخص، وبشكل توافق فيه الضمائن، بأنه يستعمل على الطبيب أو الأطباء، أن يكرروا قد أخذوا هذا القرار من هو، وخاصة حينما لا تكون لهم علاقة بأي من الشخصين (المتوفى والمريض)، فهذا ذلك - فقط - يجوز النقل.

(٢) ولنا أن نصور المسألة هي أن إنسان أصيب في جسمه بمرض عضال، أتلف عضواً من أعضاء الجسد، ولم تجدي معه وسائل العلاج والجراحة المادية، ولا ملجاً الإنقاذ حياته وتقطيله من آلامه إلا ينقل جزء من جسمه من مكان لآخر أو استبدال المضطاثفات ببعضه سليم يُنقل من جسم إنسان حي أو يستأصل من جثة متوفية.

حتى يعمل الطبيب ويبتكر دون خشية الوقوع تحت طائلة المسئولية الجنائية أو المدنية أو الإدارية أو الثلاثة معاً^(١).

هدف البحث :

يهدف البحث المأثور إلى بيان الضوابط الشرعية والقانونية الالزامية لتمام عمليات نقل وزراعة الأعضاء البشرية، ونظرًا لما لهذا الموضوع من أهمية في المحافظة على حياة الإنسان وسلامة جسده، فقد كان دائمًا موضع اهتمام الفقهاء المسلمين وشرح القانون والأطباء في كتاباتهم. ومن جهة ثانية، يهدف البحث المأثور لبيان الفتاوي الشرعية^(٢)، والتشريعات المختلفة، التي أباحت عمليات نقل وزراعة الأعضاء البشرية، بعد معرفة حكمها الشرعي ومشروعيتها القانونية.

منهج البحث :

سيتم إتباع النهج الوصفي التحليلي المقارن، من خلال وصف الواقع القانوني القائم لعمليات نقل وزراعة الأعضاء البشرية، وإستعراض الفتوى الشرعية والنحو الصوص القانونية والأحكام

(١) فضفحة الطبيب بالحدود القانونية لعمله مسبقاً، وإحساسه بحماية القانون له، يجعله يهرب من التفكير به مستوئيته بما يفعل، بما يجعله متفرغاً لأداء عمله الطبي بإطار صحيح ومشروع، وهي حد تغيير البعض: "إن التعاون بين الطلب والقانون وثيق من أجل خير الإنسانية، فالطلب يقدم الأمان، والقانون يقدم الحماية، أي التقدم المنظم، ولقد كان قمة هذا التعاون ظهور القانون الطبي الذي ينظم العلاقات القانونية التي يرتبط بها الطبيب". راجع: د: أسامة عبد الله قايد : المسئولية الجنائية للأطباء، دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة القاهرة، ١٩٨٧، ص ٢٣ .

(٢) صدرت عدة فتاوى من جهات شرعية رسمية تُجيز نقل الأعضاء البشرية من أجسام الأحياء إلى المرضى، إذا كان في ذلك علاج ضروري لهم، شريطة توافر رضا ذوي الشأن، وألا يترتب على النقل ضرر ظاهر لمن نقل منه العضو، مع احتمال استفادة المريض من ذرع المضبوط جسده.

وبإقرار هيئة كبار العلماء رقم (١٨١) بـ ١٤١٧ / ٤ / ٤، قرر مجلس هيئة كبار العلماء في دورته الخامسة والأربعين المقعدة في مدينة الطائف ابتداءً من الثالث من شهر ربیع الآخر حتى ١٤١٧ هـ - بحث حكم التبرع بالأعضاء لصالح المرضى المحتجزين لها ، خصوصاً من الأشخاص المتوفين دماغياً، بناءً على ما ورد إليه من سمو أمير منطقة الرياض الأمير سلطان بن عبد العزيز الرئيس الفخري للمركز (الصفحة رقم: ٢٢٨) السعودي لزراعة الأعضاء بكتابه رقم (٦٧٧) / ٦ / ١٤١٦ هـ، ومشفومه الكتاب المفروع لسموه من معايير وزير الصحة برقم (١١ / ٦٢١) / ١٤١٦ / ٦ / ١٥، المتضمن التقرير المدحول أهمية التبرع بالأعضاء وذراعتها وخاصة عند المتوفين دماغياً ، وقد أطلع المجلس أبناء البحث على قراره رقم (٦٢) بـ (حكم نقل القرنية من إنسان إلى آخر) والتي قراره رقم (٩٩) بـ (حكم نقل عضو أو جزءه من إنسان إلى آخر) ، كما أطلع على القرارات الصادرة من المجتمع الفقهي التابع لنقطة المؤتمر الإسلامي بجدة والمجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة بشأن نقل الأعضاء وذراعتها، وبعد المناقشة وتبادل الرأي في الموضوع قرر المجلس : أنه لا يجوز شرعاً الحكم بهموت الإنسان الميت الذي تترقب عليه أحکامه الشرعية بمجرد تحرير الأطباء أنه مات دماغياً - حتى يعلم أنه مات موتاً لا شبيهة فيه تتوقف معه حرارة القلب والنفس ، مع ظهور الأمارات الأخرى الدالة على موته يقيناً، لأن الأصل حياته ، فلا يمْكُن عنه إلا يقين . وبالله التوفيق ، وصلى الله على نبينا محمد ، وألل وصحبه .

القضائية ذات العلاقة.

الدراسات السابقة :

من الدراسات السابقة في موضوع البحث بشكل عام: د. أحمد شوقي أبو خطوة: القانون الجنائي والطب الحديث، دراسة تحليلية مقارنة لمشروعية نقل وزرع الأعضاء البشرية، د. أحمد عبدالله الكندي: نقل وزراعة الأعضاء، دراسة مقارنة بين القانون المدني والفقه الإسلامي، د. إفتخار مهيبوب ديوان المخلافي: حدود التصرف في الأعضاء البشرية في الفقه الإسلامي والقانون المدني، د. رياض الخاني: المظاهر القانونية لعمليات نقل وزرع القلب والتصرف بأعضاء الجسم البشري، د. طارق سرور: نقل الأعضاء البشرية بين الأحياء، دراسة مقارنة، د. عبدالحميد إسماعيل الأنصارى: ضوابط نقل وزراعة الأعضاء في الشريعة الإسلامية والتشريعات العربية، دراسة مقارنة، د. فايز الطفيري: نقل وزرع الأعضاء من منظور جنائي، محاولة لدراسة تحليلية نقدية للقانون الكويتي رقم ٥٥ لسنة ١٩٨٧م، الخاص بنقل وزراعة الأعضاء البشرية، د. منذر الفضل: التصرف القانوني في الأعضاء البشرية.

خطة البحث :

يأتى بحسب الشريعتين المختلفة وأراء الفقهاء المسلمين، نجد أنها قد اتفقت على مجموعة من الضوابط الشرعية والقانونية لنقل الأعضاء البشرية، تتمثل في رضا المنسوق منه، ورضاء المريض، وعدم مخالفة عمليات نقل وزراعة الأعضاء البشرية للنظام العام والأداب العامة في المجتمع، ومن ثم سيتم بحث هذه المسائل في ثلاثة مباحث، على النحو التالي :

المبحث الأول : رضا المنسوق منه شرعاً وقانوناً.

المبحث الثاني : رضا المريض شرعاً وقانوناً.

المبحث الثالث : عدم تعارض عمليات نقل وزراعة الأعضاء البشرية مع النظام العام والأداب العامة.

المبحث الأول

رضا المنشول منه^(١) شرعاً وقانوناً

المنقول منه هو إنسان له حق في سلامته تكامله الجسدي، وبعد هذا الحق من الحقوق الشخصية بالشخصية، ويتعلق بالنظام العام، ومن ثم، فلا يجوز الأساس بهذا التكامل^(٢)، فإذا وقع الرضا على أمر يمس حياته فلا يمتد به حيئته بقالة أن ذلك يخالف النظام العام، فلا يمتد برضاه إذا تعلق الأمر باستئصال قلبه أو كبده لأن في ذلك تنازلاً لا يملكه من حياته، وتعرضاها للخطر أو الإنقاذه من قدرته على أداء وظيفته الاجتماعية.

وعلى الرغم من كون الرضا مطلوباً في كافة التصرفات القانونية^(٣)، فإن تطبيقه في عمليات نقل وزراعة الأعضاء البشرية يزداد أهمية لما تمثله هذه العمليات من خطورة وأثار متعددة تتحقق بأطرافها، وإذا كان رضا المريض مطلوباً فإن رضا المنشول منه أكثر أهمية وطلبًا، لأنه لا بد أن يلحقه بعض الضرر من جراء نقل العضو منه.

(١) آثرت استخدام لفظ «المنقول منه»، نظراً لأن هذا اللفظ هو ما جاء يقانون نقل وزراعة الأعضاء البشرية المصري رقم ٥ لسنة ٢٠١٠م، المنشور بالجريدة الرسمية، بتاريخ ٦ مارس ٢٠١٠م، العدد ٩٤٠، السنة التاسعة والخمسين، بداع أنه عند صدور هذا القانون الأخير فلابد من الالتزام بمسماه، والمنقول منه كما عرضته المادة الثانية من مشروع قانون نقل وزراعة الأعضاء المصري بأنه: الشخص الحي (أو الميت) الذي يتنازل (أو يتبرع) عن عضوه من أعضائه لشخص آخر دون مقابل.

(٢) أنظر: د. محمود نجيب حسني، الحق في سلامه الجسم ومدى الحماية التي يكتلها له قانون العقوبات، مجلة القانون والإقتصاد، من ٢٩ ص ٥٢٥ وما بعدها، وأنظر = NUOVOONE: I LIMITI TACITIACITI DELL'ANOMIA - PENALE , PALERMO 1947 , P.22.8EG

(٣) تنص المادة ١٨٦ من قانون العقوبات اللبناني على أن : «إجازة القانون للعمليات الجراحية والملاجحة الطبية المنطبقة على أصول الفن، شرط أن تجري برضي العليل أو برضي ممثله الشرعيين، أو في حالات الضرورة الماسة». وتنص المادة الرابعة من القانون المغربي على أنه : «لا يجوز أخذ الأعضاء إلا بعد أن يوافق المنشول منه مسبقاً على ذلك».

وتنص المادة ١٢١١/٢ من قانون الصحة العامة الفرنسي على أنه : «لا يحق ممارسة عمليات أخذ أجزاء من الجسم البشري أو جمع مكوناته بدون إذن مسبق من المنشول منه». وقد حملت الفتوى الصادرة عن مجلس الدولة المصري بجلساته المتعددة في ٢١ مايو و ٧ يونيو ١٩٩٥ م ما يؤكد ذلك، حيث جاء بهذه الفتوى: «أن الجسم الأدمي ليس محلاً للتعامل فيه مما يتضمن الأمر استئصال الرضا بالنقل بالإذن والإجازة، فبالنسبة لحق الفرد المنشول منه أو أقاربه فهو يرتفع بالرضا بالنقل منه، والرضا في الحالة المعروضة لا يمتنع من التصرفات التي ترد على محل قابل للتعامل فيه، لأن جسم الأدمي وأي شيء منه لا يرد عليه القابلية للتعامل».

ولقد استقرت التشريعات الوضعية^(١) وأراء الفقه القانوني^(٢) والشرعى^(٣) التي أباحت عمليات نقل وزراعة الأعضاء البشرية، على الأخذ بضرورة الحصول على رضا المنشول منه لإباحة هذه العمليات، بقالة أن هذا الرضا يتطلب شكلاً معيناً وخصائص تميزه، وأن يكون المنشول منه أهلاً له وأن يصير دون مقابل مادي، لذا، تستلزم دراسة رضا المنشول منه أن تتم وفق التقسيم الآتي :

المطلب الأول : شكل الرضا.

المطلب الثاني : خصائص الرضا.

المطلب الثالث : أحليّة المنشول منه.

المطلب الرابع : انعدام المقابل المادي.

(١) راجع: قانون نقل وزراعة الأعضاء البشرية المصري رقم ٥ لسنة ٢٠١٠م، قانون نقل وزراعة الأعضاء البشرية المغربي، قانون نقل وزراعة الأعضاء البشرية الكويتي رقم ٥٥ لسنة ١٩٨٧م، قانون الصحة العامة الفرنسي.

(٢) د. أحمد شوقي أبو خطوة: القانون الجنائي والطب الحديث، دراسة تحليلية مقارنة لمشروعية نقل وزراعة الأعضاء البشرية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ١٧، د. إفتخار محمدوب ديوان المخلافي: حدود التصرف في الأعضاء البشرية في الفقه الإسلامي والقانون المدني، رسالة دكتوراه، حقوق عين شمس، ٢٠٠٧م، ص ٢٢، د. زياد الخاني: المظاهر القانونية لعمليات نقل وزراعة القلب والتصرف بأعضاء الجسم البشري، المجلة الجنائية القومية، العدد الأول، المجلد الرابع عشر، مارس ١٩٧١م، ص ١٥٤، د. طارق سرور: نقل الأعضاء البشرية بين الأحياء، دراسة مقارنة، مرجع سابق، نفس الموضع، د. هايز الطلبيري: نقل وزراعة الأعضاء من منظور جنائي، محاولة لدراسة تحليلية نقدية للقانون الكويتي رقم ٥٥ لسنة ١٩٨٧م، الخاص بنقل وزراعة الأعضاء البشرية، مرجع سابق، نفس الموضع.

(٣) راجع الهاشم رقم ٧، والشيخ يدر المتولي عبد الباسط: آراء في التقييم الصناعي، الإسلام والمشكلات الطبية المعاصرة، ١٩٨٣م، الشيخ جاد الحق علي جاد الحق: أحكام الشريعة الإسلامية في بعض المسائل الطبية، مطبوعات المركز الدولي للدراسات والبحوث السكانية في العالم الإسلامي ١٩٩١م، القاهرة، الشيخ جاد الحق علي جاد الحق: بحوث وفتاوي إسلامية في قضايا معاصرة، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، الناشر دار التراث العربي، القاهرة، الشيخ محمد أبو زهرة: الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، دار الفكر العربي، ١٩٧٤م، الشيخ محمد علي البار: حول مستوى الأطباء، مجلة الأزهر، المجلد ٢٠، ١٤٢٦هـ.

المطلب الأول : شكل الرضاء :**الفرع الأول : شكل الرضاء من التاحية القانونية :**

يُقصد بشكل الرضاء، الصورة التي يُفرغ فيها الرضاء، والشكل ليس شرطاً في الرضاء، فالالأصل أن يكون الرضاء دون صورة محددة يُفرغ فيها، فقد يكون شفواً، وقد يكون كتابياً، وقد يكون صريحاً وقد يكون ضمنياً يستخلص من اتخاذ المريض موقفاً لا يدع مجالاً للشك في رضائه بالعمل الطبيعي^(١).

غير أن بعض التشريعات تطلب أن يُفرغ رضاء المنقول منه في صورة كتابية للإعتداد به، وذلك نظراً لما ينطوي عليه رضاؤه من خطورة، فالكتابة والتوفيق عليها، يتحقق أمران : أولهما : الإستثناق من صدور الرضاء عن المنقول منه، ثانياًهما : إعطاء المنقول منه فسحة من الوقت للتدبير والتفكير حتى يكون ذلك حماية له من التعرض لأي إكراه، وقد ذهبت التشريعات المختلفة في ذلك اتجاهين يمكن رصدهما: الأول يتطلب الكتابة والتوفيق من المنقول منه، والثاني يذهب لأبعد من ذلك متطلباً إجراءً زائداً، وذلك على النحو الآتي:

١- التشريعات التي تطلب الكتابة والتوفيق عليها من المنقول منه :

ذهب المشرع المصري في القانون رقم ١٠٢ لسنة ١٩٦٢، الخاص ببيان العيون إلى تطلب الكتابة لإثبات رضاء المنقول منه، فيلزم الحصول على إقرار كتابي من المنقول منهين (المنقول منهم) وهم كاملو الأهلية، وإذا كان المنقول منه قاصراً أو ناقص الأهلية فيلزم الحصول على إقرار كتابي من وليه^(٢).

كما ذهب إلى مثل ذلك القانون الكويتي رقم ٥٥ لسنة ١٩٨٧ في مادته الثانية والتي تطلب

(١) د. جابر محجوب علي: دور الإرادة في المجال الطبي، دراسة مقارنة، دار النهضة العربية ص ١٤ وما بعدها، د. مجدى حسن خليل: مدى فعالية رضاء المريض في العقد الطبي، بحث منشور في مجلة العلوم القانونية والاقتصادية - كلية الحقوق - جامعة عين شمس - العدد الأول- السنة الثالثة والأربعون -يناير سنة ٢٠٠١، ص ٥١ وما بعدها.

(٢) المادة الثالثة من القانون رقم ١٠٣ لسنة ٦٢ السالف، وقد تطلب المادة ٢/٢ من مشروع القانون السوري أن يكون رضاء المنقول منه كتابة وأن يُعطي في وقت مقارب للتدخل الجراحي وفي حضور الطبيب الذي قرر إجراء عملية الإستئصال، وهذا ما تطلبته المادة الخامسة من مشروع قانون نقل وزيارة الأعضاء البشرية المصري والمفترض صدوره حيث تتضمن هذه المادة على أن « لا يجوز للمنقول منه أن يوافق على استقطاع أحد أعضائه أو جزء منه أو أنسجته لنقله إلى آخر، إلا إذا كان كامل الأهلية وتتوفر رضاوه التام من ذلك، ويجوز للمنقول منه العدول عن الموافقة قبل البدء في إجراء عملية الاستقطاع، وبهذا الرضا بالكتابية في حضور أحد الأقرباء من الدرجة الأولى على النحو الذي تبيّنه اللائحة التنفيذية لهذا القانون، ولا يجوز نقل الأعضاء أو أجزاء منها أو أنسجة من عديمي الأهلية أو ناقصيها، ولا يُعد في هذا الصدد برضاء المنقول منه أو بموافقتها من يمثله قانوناً ».

أن يكون الشخص كامل الأهلية وأن يكون شرعاً أو وصيته ياقرر كتابي وزادت عليه إجراء آخر هو أن يشهد عليه شاهدان كاملاً الأهلية، وذهب مثل ذلك المشرع الإماراتي في القانون رقم ١٥ لسنة ١٩٩٢م، وذهب إلى تطلب الكتابة القانون المدني لمقاطعة كويك^(١) والمادة رقم ٢١ وكذلك القانون اليوغسلافي في مادته ٢/٢ والقانون البرازيلي الذي تطلب الكتابة حين يكون المنقول منه أمياً أو من غير مواطن البرازيل في المادة رقم ٢/٣، وأيضاً اشترط القانون اليمني رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٢ بشأن مزاولة المهن الطبية والصيدلانية والذي نظم عملية نقل الأعضاء، حيث نصت المادة ٢٧ / ج على أن : « يُوقع المنقول منه بالعضو على سجل خاص بعد إطلاعه على كل المعلومات أنه وبرعنده وبدون أي تأثير يواافق على نقل العضو ».

وكذلك القانون الأردني المؤقت رقم ٧ لسنة ١٩٨٠م حيث نصت المادة ٢/٢ علي أن : « يوافق المنقول منه خطياً - وهو بكمال إرادته وأهلية على نقل العضو من جسمه وذلك قبل إجراء عملية النقل ».

٢- تشريعات تطلب إجراء زائداً عن الكتابة :

يستلزم القانون الإيطالي للتنازل صدور قرار من قاضي الأمور المستعجلة، والقانون الفرنسي اشترط من خلال المرسوم رقم ١٠ الصادر في ٢١/٣/١٩٧٨م^(٢)، أن يكون رضاء المنقول منه البالغ في حالة استئصال عضو متعدد منه أمام رئيس المحكمة الإبتدائية التي يقع في دائريتها موطن المنقول منه أو أمام قاضي يعينه رئيس هذه المحكمة، علي أن يثبت هذا الرضاء في شكل كتابي موقعاً عليه من القاضي والمنقول منه، وتُعطي صورة منه إلى المستشفى الذي سيتم فيه الاستئصال وتحفظ النسخة الأصلية لدى قلم كتاب المحكمة.

ولقد سار على هذا النهج المشرع القطري، حيث تطلب في القانون رقم ٢١ لسنة ١٩٩٧م

(١) انظر : Baudouin (J.L.) *L'expérimentation Sur les humains : Un Conflit des valeurs* , Xe Journées détudes juridiques , Dabin, Bruxelles , p. 1982 , 179 etc .

(٢) انظر : د. أحمد عبد الله الكندي؛ نقل وزراعة الأعضاء، دراسة مقارنة بين القانون المدني والفقه الإسلامي، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة عين شمس، ١٩٩٧م، ص ١٣٦ وما بعدها، وقد تطلب القانون المغربي ذات الإجراء، فقد نصت المادة العاشرة من القانون المغربي رقم ٩٨ لسنة ١٩٩٩ على أنه : يجب أن يعبر المنقول منه عن موافقته على أخذ عضوه منه أمام رئيس المحكمة الإبتدائية التابع لها مقر إقامة المنقول منه أو أمام قاضي من المحكمة المذكورة يعينه الرئيس خصيصاً لذلك الفرض، ويساعد القاضي طيبين ينتميا وزير الصحة ياقتراح من رئيس المجلس الوطني لهيئة الأطباء الوطنية يهدى إليهما بأن يشرحوا للمتبرع بالعضو أبعاد عملية التبرع وللقاضي كذلك، الفائدة العلاجية المرجوة من عملية الأخذ، ثم يتم استطلاعرأي وكيل الملك لدى المحكمة في الموضوع بطلب من رئيس المحكمة أو من القاضي المتذنب، ويحرر الرئيس أو القاضي المتذنب محضرآ بمواقعة المنقول منه، ثم تسلم النسخة من المحضر موقعة من طرف رئيس المحكمة أو القاضي المتذنب والطبيبين المعينين إلى الأطباء المسؤولين عن عملية أخذ العضو .

بشأن تنظيم نقل وزراعة الأعضاء في مادته الرابعة ضرورة شهادة الشهود على موافقة المنشول منه العضو؛ حيث نصت هذه المادة على أن: «للشخص كامل الأهلية قانوناً أن يتبرع أو يوصي بعضو أو أكثر من أعضاء جسمه، بموجب إقرار كتابي يشهد عليه شاهدان كاملاً الأهلية»^(١). ويقرر القانون الفنزويلي في المادة ١٩/١٩٧٢/٧ الخاص بـ نقل وذرع الأعضاء أنه يجب على المنشول منه أن يبلغ رضاوه إلى اللجنة الطبية المكلفة بإدارة برنامج نقل وذرع الأعضاء في المعهد أو المؤسسة أو المستشفى المسماة لها بواسطة السلطة التنفيذية الوطنية بإجراء عمليات الزرع^(٢).

لذا أرى أن ما ذهب إليه القانون الفرنسي والقانون المغربي من اشتراط حصول الرضاء أمام جهة رسمية هو أمر جدير بالتأييد، لأن في ذلك تبييه للمنقول منه بخطورة التصرف بعضو من أعضائه، وفيه فرصة للمتنازل للتفكير مليأً قبل التبرع بالعضو، وتبصير له بالمخاطر والمتغيرات المؤكدة والمحتملة المرتقبة على التبرع بالعضو، وهذه الأمور لا تتوافر بالنسبة للرضا المكتوب فقط أو المزيل بتوقيع المنشول منه، لأن هذا الأخير – وبالحال كذلك – قد يكتب أو يوقع تحت تأثير الشهامة والتخوّف دون أن تكون أمامه فرصة وافية لدراسة الأمر، وما يتربّط على تبرعه بالعضو من مخاطر مؤكدة ومحتملة، حيث ينتقل المنشول منه بالعضو من مصاف الأصحاء إلى مصاف المرضى بعد إتمام عملية النقل^(٣).

(١) وهو نفس الإجراء الذي تطلبه القوانين الإماراتية رقم ١٥ لسنة ١٩٩٢ م في شأن تنظيم نقل وزراعة الأعضاء، حيث نصت المادة الثانية من هذا القانون على أنه: «يجوز للشخص أن يتبرع أو يوصي بأحد أعضاء جسمه ويُشرّط في الوصي أو المنشول منه أن يكون كامل الأهلية قانوناً ويكون التبرع أو الوصيّة بموجب إقرار كتابي موقّع عليه منه ويشهد عليه شاهدان كاملاً الأهلية».

(٢) انظر: د. أحمد شوقي أبو خلوة: القانون الجنائي والطب الحديث، دراسة تحليلية مقارنة لمشروعية نقل وذرع الأعضاء البشرية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٥م، ص ٧١ .

(٣) د. إفتخار مهديب: ديوان المخلوقات: حدود التصرّف في الأعضاء البشرية في الفقه الإسلامي والقانون المدني ٢٠٠٧ حقوق عين شمعون، ص ٢٢٥ .

الفرع الثاني: شكل الرضاء من الناحية الشرعية :

المتتبع لأراء الفقهاء المعاصرین الذين أجازوا عمليات نقل الأعضاء البشرية من الأحياء، نجد أنهم قد اشترطوا رضا المنقل منه كشرط لتنازله عن أحد أعضاء جسده، ولكن أيًّا منهم لم يتحدث عن شكل الرضاء المطلوب من المنقل منه، وما إذا كان يتطلب إفراجه في شكل معين أم لا؟

ويرجع ذلك من وجهة نظرنا إلى أن فقهاء الشريعة الإسلامية جروا على أن الرضاء من التصرفات الشرعية ولا يستلزم شكلاً معيناً، وكل ما يستلزم مصادرها صحيحاً خالياً من العيوب ومن هو أهل له، فإذا نظرنا إلى عقد الزواج مثلاً - وهو من أهم العقود الشرعية - نجد أنه لا يستلزم شكلاً معيناً، وكل ما يستلزم توافق الرضاء الحر من الزوجين.

وريما يكون عدم اشتراط الرضاء المكتوب أو الرضاء ذي الشكل المعين، مرجعه إلى أن هؤلاء الفقهاء كانوا يجدون في مجرد الكلمة عهداً أو عقداً يجب الوفاء به لشدة إيمان الناس في ذلك الوقت، لقوله تعالى: **﴿وَأَقْرَبُوا بِالْمَهْدِ إِنَّ الْمَهْدَ كَانَ مَتَّعًا﴾**^(١) (١) وقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّارِ حَمَّلْنَا أَكْفُرًا بِالْمُقْرُبَةِ﴾**^(٢).

ومن هنا لم تكن الشكلية في الرضاء أمراً مطلوباً عند فقهاء الشريعة الإسلامية^(٣).

(١) سورة الإسراء جزء من الآية رقم ٢٤.

(٢) سورة الناثرة جزء من الآية رقم ١.

(٣) د. مأمون عبد الكريم: رضاء المريض عن الأعمال الطبية والجراحية، دراسة مقارنة، دار المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٦م، ص ٨٩، د. مجدي حسن خليل: مدي همالية رضاء المريض في العقد الطبي، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية - كلية الحقوق - جامعة عين شمس - العدد الأول- السنة الثالثة والأربعون- يناير ٢٠٠١م، ص ١٤٢، د. محمد حسن قاسم: إثبات الخطأ في المجال الطبي، دار الجامعة الجديدة للنشر، ٢٠٠٦م، ص ١٧٧، د. محمد حسين منصور: المسئولة الطبية، دار الجامعة الجديدة للنشر، بدون سنة نشر، ص ٢٢٢.

المطلب الثاني: خصائص الرضا:

حتى يكون رضا المنشول منه صحيحاً، ويمكن استئصال عضو من جسمه، فلابد أن يصدر هذا الرضا عن إرادة حرمة الشخص متمنع بملكات ذهنية ونفسية سليمة^(١) تؤهله لأن يُصدر رضاً يُعد به في مجال عمليات نقل وزراعة الأعضاء البشرية، لذا فإنه يشترط في الرضا أن يكون متبرساً، حتى يكون صحيحاً منتجاً لآثاره القانونية ولذلك فمن أهم خصائص رضا المنشول منه أن يكون حرماً ومتبرساً، وذلك على النحو الآتي:-

الفرع الأول: أن يكون رضا المنشول منه حرماً.

الفرع الثاني: أن يكون رضا المنشول منه متبرساً.

الفرع الأول: أن يكون رضا المنشول منه حرماً.

إن طلب الرضا الحر للإعتداد به وحتى يكون منتجاً لآثاره هو تطبيق للقواعد العامة، إلا أنه كما هي نظرتنا دائماً لأعمال نقل وزراعة الأعضاء البشرية، فإن توافر الرضا الحر في مثل تلك العمليات أمر لا يمكن تصور غيابه.

وحتى يكون الرضا حرماً فإن ذلك يتطلب شرطين:

أولهما: أن يصدر الرضا من شخص يتمتع بملكات ذهنية ونفسية سليمة تجعله قادرًا على أن يُصدر رأياً صحيحاً في موضوع الرضا، وهذا يختلف بما إذا كان الشخص غير متمنع بقواه العقلية أو هاقد الأهلية بسبب عارض أو لصغر السن^(٢).

فمن المتتصور أن يكون الشخص كامل الأهلية متمنعاً بقواه العقلية ولكن قد يعتريه عارض يؤثر في قدراته النفسية والعقلية فيجد قراره غير صالح فيما لو اتخذه وهو في حالة نفسية طبيعية.^(٣)

(١) في هذا الصدد قال الجنرال تايلور Taylor الذي أدار الإعتماد قضايا نوربريج الشهيرة: "إن الرضا الإختياري أمر ضروري، وهذا يعني أن لدى الشخص الأهلية والقدرة على أن يعبر عن رضاته، وأن يكون في موقف يمارس فيه حرية الإختيار بلا أدنى تدخل أيًّا كان شكله (غش، تهليس، ضغط خارجي)، ويجب أن يحيط علماً وفهمًا على نحو كافٍ بالموضوع لكي يكون أهلاً لاتخاذ القرار الذكي والممستير". انظر: د. علي حسين نجيم الدين الزمامات الطيب في العمل الطبي، دار النهضة العربية، القاهرة، ص. ٩٩.

Dott: des problemes Juridiques posés les prédevenants et greffer d'organes en l'état actuel de la législation française - (٢)

٤٥-٤-٦ ١٩٦٨، p

وهذا نص المادة الخامسة من مشروع قانون نقل وزراعة الأعضاء البشرية المصري سالف الذكر.

(٢) كأن يكون الشخص في حالة هرج وسرور غامرة تستغل هذه الحالة لدفعه للتنازل عن عضوه من أعضائه أو قد يكون بسبب أو لآخر في حالة يأس أو إحباط تدفعه للتنازل عن أعضائه بسهولة. د. إفتخار المخلافي - الرسالة السابقة ص ٢٢٩ وما يليها.

ثانيهما : ألا يخضع في تعبيده عن هذا الرضاء لأنّ إكراه أو ضغط نفسى يعيب هذا الرضاء، وهذا ما هو إلا تطبيق للقواعد العامة في هذا الشأن، ومن ثم يكون الرضاء معتبراً متى كان صادراً تحت تأثير الإكراه سواء المادى أو المعنوى، وإن كان هذا الأخير متصوراً بشكل خاص في صورة ضغوط عائلية خاصة في القوانين التي تصرّر التبرع في دائرة الأقارب فقط، كالقانون اليمني رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٢ م الذي يشترط أن يكون المنقول منه بالعضو من أقارب المتلقى من الدرجة الأولى أو الثانية فقط.

وكذلك القانون المغربي في المادة التاسعة والذي قصر دائرة التبرع بين الأصول والفرع وإخوانه وأخواته وأعمامه وعماته أو أخواه وخالاته وأبنائهم، كما سمح هذا القانون بأخذ الأعضاء من الزوج لزوجته أو العكس شريطة مرور سنة كاملة على الزواج، كما تطلب إثبات علاقة القرابة بين المنقول منه والمنقول له، ذات الأمر بالنسبة للرضاء الصادر تحت تأثير الوسائل الإحتيالية أو التدليس والتي يتتصور أن تقع من الطبيب؛ إذ قد يوهم هذا الأخير المنقول منه أنه لن يستحصل منه إلا جزء صغير غير مؤثر، فينخدع المنقول منه ويسلم نفسه للطبيب فيقوم هذا الأخير باستئصال عضو مؤثر وهام، وكذلك في حالة إيهام المنقول منه أنه لن يتربّ على التبرع بالعضو أي مضاعفات على المدى البعيد، فالرضاء، والحال كذلك، يُعد معتبراً.

ومن ناحية ثانية لا يُعتد كذلك بالرضاء الصادر في حالة الفلط : لأن يعتقد المنقول منه أن العضو المراد اقتطاعه هو عضو متجدد في جسمه كالشعر، بينما الواقع عكس ذلك، ويتصور كذلك الفلط في شخصية المتلقى، متى كانت محل اعتبار عند المنقول منه، وهذا الفرض الأخير (الفلط في شخص المنقول إليه) متصور في القوانين التي لا تشترط مبدأ التخفيف، وذلك كالقانون اليمني والقطري والإماراتي والكويتي والأردني .

ويفترض في الرضاء من حيث توافره أمران :

الأول : أن يستمر الرضاء حتى وقت إجراء جراحة الاستقلاء .

الثاني : أنه يمكن للمنقول منه الرجوع عن رضائه في أي وقت قبل إجراء الجراحة دون أن يتحمل أي مسؤولية من جانبه^(١) .

وذهب البعض^(٢) إلى ضرورة إخضاع المنقول منه للفحص النفسي للتأكد من عدم وجود ضغوط نفسية تعيّب إرادته، فيجب أن يكون المنقول منه عند تنازله عن عضو من جسمه في حالة

(١) وهذا ما ذهب إليه المشرع الكويتي في المادة الرابعة من القانون رقم ٥٥ لسنة ١٩٨٧ م في شأن زراعة الأعضاء وورد

مثل ذلك بالمادة رقم ٥ من القانون الاتحادي لدولة الإمارات رقم ١٥ لسنة ١٩٩٠ م

Hamburger colloque de magistrats résistants 1969 p. 73 - (٢)

نفسية وعقلية تبيح له التعبير عن إرادته بحرية كاملة^(١).
ويبدو الأمر أكثر احتياجاً للتأكد من عدم تعرض المنشول منه لضغوط نفسية إذا كان التنازل
لربيب له، فصلة القرابة تولد ضغطاً نفسياً على المنشول منه، لذا يجب إعطاؤه وقتاً للتفكير
وإخطار عائلته بنتائج الضغوط التي تمارسها عليه وما قد ينبع عنها من قرار مشوب بعيب.
والتساؤل الذي يثار في هذا الصدد هو ببحث ما إذا كان رضا مُقيدي الحرية، كالسجناء
أو المحكوم عليه بالإعدام يُعد به في حال نقل الأعضاء خاصة لو أن هذا التنازل مُرتبط برغبة
السجناء في تخفيض عقوبته^(٢).

وللإجابة عن هذا التساؤل قد أعرب البروفسور R.PRIQUENT^(٣) في المؤتمر الخاص بعيادة
الطب الذي عُقد في روما في شهر أبريل سنة ١٩٦٨ عن خشيته من أنه لا يُسمح للسجناء باستقطاع
عضو من أعضائه، فإن بعض الجهات التي يتبعها هذا السجين ستقوم بإنشاء بنوك للأعضاء
البشرية، وفي هذه الحالة لا يمكن الإعتداد بالإرادة الصادرة من السجين لكونه ناقص الأهلية
لقيد الحرية الواقع عليه، وكذلك لحالته النفسية داخل السجن التي من شأنها أن تعيب إرادته.
وهي العموم لا يُعد بالرضا الصادر من الخاضعين لإجراء من إجراءات الحماية القانونية
كالسجناء، لأن السجن يُعتبر سبباً في نقصان إرادتهم الحرة، ولقد اضطررت التشريعات
المقارنة على هذا المبدأ.

وعلى هذا نصت المادة ١٢٢١ من قانون الصحة العامة الفرنسي على أنه: «لا يُسمح بإجراء
أخذ الأعضاء بفرض التبرع من شخص على قيد الحياة يكون قاصراً أو بالغاً يخضع للحماية
القانونية».

وأيضاً جاء بال المادة الحادية عشرة من القانون المغربي أنه: «لا يجوز أخذ عضو لأجل زرعه
من شخص حي قاصر أو من شخص حي راشد يخضع لإجراء من إجراءات الحماية القانونية».
وطبقاً لما تقدم، فإن المشروع المقدم إلى المؤتمر الدولي الثالث لعيادة الطب والخاص
بمشروعية نقل وزرع الأعضاء في زمن الحرب، قد منع مطلقاً استئصال الأعضاء من الأشخاص
المحبسين والخاضعين لسيطرة قوة أجنبية أو معادية لمصلحة رعاياها أو الموالين لها، كما منع
استئصال أي عضو من شخص مسلوب الحرية خاضع للتمييز العنصري أو خاضع – في زمن
الвойن أو في حالة نزاع – لسيطرة قوة أجنبية أو معادية^(٤).

(١) وذلك ما تقضي به المادة الأولى يقتربها الأولى من المرسوم رقم ٥٠١ الصادر ٢١/٢/١٩٧٨ بفرنسا.

(٢) د. أحمد شوقي أبو خلوة : القانون الجنائي والطب الحديث ، دراسة تحليلية مقارنة لمشروعية نقل وزرع الأعضاء
البشرية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٥ م، ص ٧٦ .

(٣) Dell (J.p) : los problemas juridiques op , dit , no -

وهذا ما نراه مع بعض الفقه^(١) سديداً، إذ أن السجن وحالة السجين كفيلة بوجود ضغط على إرادة السجين، يؤكد وجهة نظرنا النصوص القانونية سالفه الذكر بمنعها صراحة أخذ الأعضاء من السجناء.

وإذا تطرقنا لشرط الرضا المتصف بكونه حراً من الناحية الشرعية، لوجدنا أنه تطبيق للقواعد العامة في الشريعة في تطليها للرضا الحر عند إبرام مختلف التصرفات، فيجب أن يكون رضا المنقول منه حراً وصادراً عن إرادة حرة، وهذه الإرادة تتبع له أن يرجع عن رضائه ولا مسؤولية عليه في ذلك، مثل الواهب الذي يستطيع الرجوع في هبته^(٢).

هذا وتتجدر الإشارة إلى أنه يجب أن يستمر الرضا الحر إلى وقت إجراء عملية استئصال المضى، ويقع على عاتق الطبيب الذي يقوم بعملية الاستئصال وعلى القاضي الذي يصدر الرضا أمامه، في التشريعات التي تشترط ذلك، التزاماً بالتأكد من أن الرضا الصادر من المنقول منه كان صادراً عن إرادة حرة خالية من العيوب ووعي كامل بموضوع الرضا، وفضلاً مما سبق يجب أن يكون الرضا متبعاً وهو ما سنبعثه في السطور القادمة.

الفرع الثاني: أن يكون رضا المنقول منه متبعاً

الالتزام بالتبصير بصفة عامة هو إحاطة التعاقد الآخر بالمعلومات الهمامة والمؤثرة في إقامته أو إلحاقه على التعاقد^(٣)، ويعتبر الالتزام بالتبصير من المسائل الهامة التي أثارت عدداً من المشكلات العملية في مجال المسؤولية الطبية.

لكن من الصعب تحديد المعلومات الواجب الإدلاء بها لغايات التبصير الطبي على سبيل الحصر، فالمعلومات الطبية المتعلقة بالعلاج وأثره تتطور بشكل متتسارع مع تقدم وسائل البحث العلمي ونمو اقتصاديات المعرفة، ولكن إذا كان سقف المعرفة متاهي الوصول، فلا ضير من تحديد الحد الأدنى من المعلومات الواجب الإدلاء بها قبل التدخل العلاجي، وفي سبيل تحقيق ذلك، لجأت بعض القوانين إلى تحديد الحد الأدنى من المعلومات التي يجب على الطبيب الإدلاء بها، كما أخذت قوانين أخرى بمعيار محدد لطبيعة المعلومات الواجب الإدلاء بها، فعلى سبيل المثال، المادة الخامسة من المعاهدة الأوروپية لحقوق الإنسان والطب البيولوجي، تضع الحد الأدنى من هذه المعلومات، وهي أربع: أهمية العلاج، طبيعة العلاج، ونتائج العلاج.

والمشكلة تبدو في التعارض بين حرية المريض وحقه في أن يعلم مقدماً بكل ما يراد به من

(١) د. أحمد عبد الله الكندي؛ نقل وزراعة الأعضاء ، دراسة مقارنة بين القانون المدني والفقه الإسلامي ، رسالة دكتوراه ، كلية الحقوق ، جامعة عين شمس ، ١٩٩٧ ، ١٢١ .

(٢) ابن الهمام - الجزء ٧ - من ١٢٩ ، الفتاوي الهندية ج ٢ من ٢٩٦ ، مجلة الأحكام العدلية م ٨٦٤ ، ٨٦٢ .

(٣) د. سمير متصر: الالتزام بالتبصير في العقود المدنية، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، من ٢ .

الأفعال الطبية الماسة بجسمه، وبين ما يجب منحه للطبيب المعالج والحرية في أن يمارس عمله وفقاً للأصول العلمية وحالة المريض، في أن يعلم بالحقيقة الكاملة عن مرضه، وكيفية التدخل الطبي ووسائل علاجه، والمخاطر التي قد تترتب على هذا التدخل، وبين ما يجب منحه للطبيب المعالج من ثقة في اختيار نوع العلاج ووسيلة التدخل وفقاً لحالات المرضية التي يعانيها المريض الذي قد يكون في حالة من السوء بما لا يسمح له بها بممارسة حقه في الإختيار أو مناقشته في أسلوب العلاج.

من هذا المنطلق، ولعدم وجود إجماع فقهي على تعريف التبصير في المجال الطبي، فإن الفقه القانوني^(١) يسلم بضرورة تبصير المنشول منه تبصيراً كاملاً شاملًا بكافة الأخطار والنتائج المؤكدة والمحتملة المتوقع أن تترتب على عملية التبرع من الناحية الجسدية والنفسية والمهنية، وعلى جميع الإنعكاسات المحتملة لأخذ العضو على حياته، ويجب أن تكون الإحاطة من قبل الطبيب بعبارات سلسة ميسورة الفهم للمتبرع لأن تعقيدات المصطلحات الطبية قد تؤدي - أحياناً - إلى الإخلال بالإلتزام بالتبصير الواقع على عاتق الطبيب، وذلك حتى يتمكن المنشول منه من تقدير مدى ضرورة التدخل من عدمه ومدى الآلام التي ستتسبّب له نتيجة استئصال العضو وحتى يكون رضاه صحيحاً صادراً عن إرادة حرة .

وكانت الآراء في هذا المجال تدور بين: عدم التزام الطبيب بالتبصير بصفة مطلقة^(٢)، ويمثل هذا الرأي الأطباء بصفة عامة، وبينو هذا الأمر طبيعياً إذ أن الأطباء بهمهم في المقام الأول أن يكون لديهم قدر كبير من الحرية، وأن تكون لهم اليد العليا في العملية العلاجية، وعملية التبصير تحد من هذا الذي يأملونه، واستندوا إلى أن المريض بحاله غير ملم بالعلوم الطبية، فلن يستطيع استيعاب ما يتصورونه ولن يستطيع أن يتخذ قراره بناءً على تقدير ملائم للأمر . في حين ذهب رأي آخر إلى التشديد على الإلتزام بالتبصير، بقالة أن الإنسان سيد نفسه ولا يجوز إخفاء حقيقة تتعلق بالأعمال الطبية الواقعية على جسده.

(١) د. حسام الدين الأهولى: نحو نظام قانوني في جسم الإنسان، بحث سابق من ٤٤ وما يليها، د. جابر محجوب على: دور الإرادة في العمل الطبي، مرجع سابق، من ٢٢٩، د. أحمد شوقي عمر أبو خطوة - القانون الجنائي والطب الحديث - مرجع سابق من ٧٧ وما يليها، د. علي حسين نجيدة - التزامات الطبيب في العمل الطبي - دار النهضة العربية - طبعة ١٩٩٢ من ٤٢ وما يليها - د. مجدي حسن خليل - مدي فاعلية رضاء المريض في المقد الطبي، بحث سابق من ١٢٤ وما يليها، د. مأمون عبد الكريم - رضاء المريض عن الأعمال الطبية والجراحية - دراسة مقارنة - دار المطبوعات الجامعية - طبعة ٢٠٠٦ م - من ٥٨٢ وما يليها.

(٢) انتقد ساواطيه هذا الموقف بقوله: «إن كل فقهيه واجب عليه الإحتجاج على هذا الموقف الذي يبدو أنه وضع قاعدة عامة، على حين أن مقصودية المريض، تفترض المكس، فالقاعدة الحقيقة تقتضي بأن المريض له الحق في معرفة الحقيقة، هناك بلا شك حالات لا يستطيع فيها المريض التبشير عن رأيه لما أصابه من ألم، لكن يجب أن تؤكد أن هذه الحالات ستظل إستثنائية، وأن المريض يجب عادة أن يعامل كإنسان حرة .

وذهب هذا الرأي إلى أن أي إخفاء للحقيقة يمكن أن يُرتب المسئولية على الطبيب بقالمه خطأ طبياً، وسند هذا الرأي مبدأ الحرية المطلقة للإنسان على جسده، بينما ذهب رأي ثالث إلى أن التبصير وإن كان مطلوباً إلا إن له حدوداً، بقالة التوفيق بين حق المريض في معرفة أعمال التدخل الطبي على جسده وكذلك مدى الحرية التي يجب أن تكون للأطباء في مجال علاجهم للمرضى بصفة عامة وما قد يتضمنه الأمر من كذب مسموح به لصلاحة المريض، والذي يكون دون استعمال وسائل احتيالية بقالة أنه يُنظر إليه من منظور الهدف والوسيلة^(١).

ونرى أن هذا الرأي الأخير هو الأجدر بالإتباع بقالة ما ذهب إليه المتسكون به، ولتوافقه مع التقدم العلمي والطبي الهائل، الأمر الذي يستحيل معه إحاطة وإعلان متنقلي العلاج الطبي بكل تفاصيل واحتمالات هذا التدخل، إضافة إلى ضرورة إشاعة روح التفاؤل لدى متنقلي العلاج، وإذا كانت الحقيقة مجرد تبصير بالإحاطة، فيكون إخفاء الحقيقة هنا المصحوب بهدف الشفاء مطلوباً لأنه في النهاية يحقق مصلحة المعالج.

وحسناً فعل المشرع المقارن بالنص صراحة على ضرورة تبصير المنقول منه بالعضو بكافة المخاطر المرتبة على استئصال العضو، وجعلت هذا الإلتزام على عاتق الأطباء.

فيجب على الطبيب الإلتزام بتبصير المنقول منه العضو البشري، والتبصير هنا يتسع مجاله ليشمل تبصير المتأذل بكل المخاطر التي قد يتعرض لها في الحال أو المآل ليستطيع أن يقدر مدى ما ينجم عن تنازله وما سيعود عليه من آثار.

وقد أخذ بضرورة هذا الإلتزام المشرع الفرنسي في المادة الرابعة بغيرتها الأولى من قانون ٢٢ ديسمبر لسنة ٧٦ حيث نصت على ضرورة إبلاغ المنقول منه بالنتائج المحتملة لقراره باستئصال عضو من جسمه^(٢)، وجاء المرسوم رقم ٥٠١ الصادر في ٢١ مارس لسنة ١٩٧٨ تنفيذاً للقانون

(١) يراجع في هذه الآراء بالتفصيل د. حمدي عبد الرحمن: مقصومية الجسد، المراجع السابقة من ٣٧ وما بعدها، د. حسام الدين الأهوازي، المراجع السابقة من ٨٧ - ١٢ . ونفس الحكم جاء بلادة ٢٢ من القانون التشيكوسلوفاكي (قبل تجزئة الدولة) رقم ٢٠ الصادر في ١٩٦٦ وإنذابة رقم ١/٣ من القانون الدنمركي رقم ٢٤٦ الصادر في ٩ يونيو ١٩٦٧ .

(٢) د. أحمد عبدالله الكتيري، الرسالة السابقة من ١٣٤ ، وأشار سعادته إلى :-

Dell (p.) : les récentes applications juridiques de l'obligation pour le médecin de renseigner le malade et de recueillir son consentement éclairé « Gaz. pali. 1972 Doc. 2 p. 431

وذهب مثل ذلك المشرع الكويتي في المادة رقم ٤ من القانون رقم ٥٥ لسنة ٨٧ في شأن نقل وزراعة الأعضاء، حيث أوجب إحاطة المنقول منه بكافة النتائج الصحية المرتبة على استئصال العضو المنقول منه به، وتقىم الإحاطة كتابة من قبل فريق طبي وذلك بعد إجراء فحص طبي شامل، وذهب مثل ذلك المعني المشرع في دولة الإمارات العربية المتحدة بالمادة رقم ٤ من القانون الاتحادي رقم ١٥ لسنة ١٩٩٣ بشأن تنظيم نقل وزراعة الأعضاء البشرية، وبالاحظ على أحكام تلك التشريعات أنها أوجبت التبصير بالمخاطر الصحية المرتبة على استئصال العضو المنقول منه به، وهذا اتجاه محمود لتلك التشريعات، إذ لم تقتصر وجوب الإلتزام بالتبصير على النتائج المرتبة على استئصال =

المذكور، ونص في مادته الأولى على أن: «الالتزام بالتبصير للمعطى يشمل جميع النتائج المحتملة للإستئصال سواء من الناحية التشريحية أو من الناحية النفسية، وكذا المخاطر المحتملة لهذا الإستئصال سواء بالنسبة لحياته الشخصية أو الأسرية أو المهنية».

من النص الفايث نقرر أن الإلتزام بالتبصير يشمل :-

- ١- المخاطر الطبية التي قد تصيب جسم الإنسان نتيجة لعملية الإستئصال .
- ٢- المخاطر النفسية التي قد تترتب على هذه العملية .
- ٣- المخاطر الاجتماعية والاقتصادية، بمعنى ما قد ينبع من عمليات الإستئصال من عدم قدرة المستأصل منه العضو على مزاولة أعمال مهنية معينة، وما يلحق ذلك من تأثير على قدرته علي الكسب، إضافة إلي عجزه عن مساعدة المجتمع الذي هو عضوه فيه بعدم قدرته علي إتيان بعض أشكال النشاط الاجتماعي .

ونلاحظ هنا أن الوضع بالنسبة للمنقول منه يختلف عن الوضع بالنسبة للمريض في مدي الإلتزام بالتبصير^(١)، إذ أن المنقول منه يكون في حالة نفسية شمع له بمعرفة كل المخاطر التي يمكن أن يتعرض لها، يعكس المريض الذي قد تحول حالته النفسية دون إخباره بكل المخاطر التي يمكن أن يتعرض لها .

ويدق الأمر بالنسبة لما إذا كان من الواجب إخبار المنقول منه بحالة المريض الصحية واحتمالات نجاح أو فشل زرع العضو فيه أم لا^(٢)

يبدو للوهلة الأولى أن هذا الإخبار يصطدم بالقاعدة الأساسية في الأعمال الطيبة وهي عدم

= العضو بذاته، بل تحدث عن النتائج المرتبطة علي استئصال العضو بذاته، وأيضاً تحدث عن النتائج الصحية المحتملة علي صحة الإنسان بأكملها، ونجد أن تلك التصوصون حين تطرقوا للنتائج الصحية، فإنها أعطت المجال مقسماً ليشمل النتائج الصحية سواء العضوية أو النفسية باعتبار أن تلك الأخيرة تدخل ضمن الصحة العامة للإنسان، ونصت المادة ٢٧ / ب من قانون المهن الطبية اليمني السادس الذكر على: «أن يكون الطبيب المعتمد قد شرح للمتبرع كل الأخطاء المرتبطة علي عملية نقل العضو وكذلك النتائج السلبية »، وكذلك القانون المغربي في المادة ٨ حيث جاء بها : « يجب أن يحاط المنقول منه علمياً بجميع الأخطار المتصلة بأخذ العضو البشري وبالنتائج التي قد تترتب علي ذلك » .

ونرى مع بعض الفقه أن هذه الأحكام التي تضمنتها هذه التصوصون تُعد خروجاً علي المبدأ العام في المجال الطبي هنديها تشديدأً للالتزام بالتبصير لتطبقيها الإحاطة الكاملة بالنتائج المرتبطة عليأخذ العضو بالمخاطر المؤكدة والمتحتملة معها، كي يكون المنقول منه علي بيته من أمره بما سيتلو إعليه حالته الصحية ومدي تأثر حياته الشخصية والعائلية والمهنية نتيجة لأخذ العضو منه . انتظر د. إفشار المخلافي - الرسالة السابقة من ٢٢٢.

(١) يراجع في هذه الآراء بالتفصيل: د. حمدي عبد الرحمن، المراجع السابق من ٣٢ وما يليها، د. حسام الدين الأهوازي، المراجع السابق من ٨٧ - ١٠٢، ونفس الحكم بالمادة ٢٢ من القانون الشيشكوسلافيكي (قبل تجزئة الدولة) رقم ٢٠ الصادر في ١٩٦٦ والمادة رقم ١٤٢ من القانون الدنمركي رقم ٢٤٦ الصادر في ٦ يونيو ١٩٦٧ .

(٢) Jean Malherbe : Medecine et droit Moderne Paris , 1909 . P 38 -

إفشاء سر المهنة .

غير أن البعض ذهب بع^(١) ونؤيدهم في ذلك، إلى أن هذا الإلتزام يجد مجاله في كافة العمليات الطبية، ويختلف الأمر بالنسبة للمنتقل منه العضو، فلا يعتبر من قبيل الإفشاء إعلانه حالة المريض ومدى احتمالات نجاح عملية زرع العضو بالنسبة له، إذ أنه بقالمه طرها ثالثاً في تلك العملية من حقه أن يعرف حالة المريض الذي سيتازل له عن عضو من جسده لإنقاذ حياته من الموت.

وأيضاً فإننا نرى مع بعض الفقه أن هذه المعرفة لأهميتها يُتيhi عليها قرار المنقول منه سواء بقبول الإعطاء أو عدمه، وكذلك فالمتلقى منه هنا حين يُقدم على التبرع، فإنما يُقدم تصريحية غالبة لا تُقدر بمال بعضاً من جسمه، فتضاعل أمام هذا قاعدة عدم إفشاء سر المريض، والذي هو أخيراً، وفي الغالب، تربطه علاقة وثيقة بالمريض المتلقى كأن يكون أحداً من ذوي قرياه أو من أصدقائه المقربين^(٢).

نخلص مما سبق أنه يجب أن يكون تصريح المنقول منه بالعضو واضحًا وشاملًا لكل المخاطر التي يمكن أن تترتب على عملية الإقطاع، سواء كانت هذه المخاطر مؤكدة أم محتملة، تتعلق بالجانب الجسدي أم النفسي، ومالها من انعكاسات سواء على المستوى الشخصي أم العائلي أم المهني والنتائج المرجوة من غرس العضو لدى المتلقى، والعلة في ذلك تكمن في أن المصلحة من وراء هذا التدخل تتمخض لصالح غيره .

العدول عن المواجهة :

يستلزم كون التصرف صادراً عن إرادة حرة قبول العدول عنه، فيكون من حق المنقول منه العضو أن يعدل عن هذا التبرع بمطلق إرادته.

وتؤكد لذلك جاء بفتوى مجلس الدولة المصري أن: « ومن ثم فإن الرضاء بشأن أي أمر فيه لا يقوم به تصرف ملزِم من نوع أحكام الإلتزام في القانون المدني، والرضاء في شأن الجسم

(١) د. حسام الأهوازي، المراجع السابق من ١١٤ - د. أحمد شوقي أبو خطوة المراجع السابق من ٧٥ .

(٢) ويند الإلتزام بتصريح المنقول عن أحد أعضائه من الناحية الشرعية، أمر واجب ويدخل في نطاق الرضاء الصحيح الحر، والفقهاء الشرعيون أيضاً ترجوا ذلك للقواعد العامة، إلا أن البعض أشار إلى أنه يجب أن يصدر رضاء المنقول منه وهو على بيته من أمره، وعلى ما يبيه لنا فإن تلك البينة تقتضي أن يكون المنقول عالماً بكل النتائج والأبعاد المحتملة لعملية تازله ومدى النتائج الصحية المتربعة على ذلك .

- وإن كان نرى مع بعض الفقه أن الإتجاهات الشرعية المبيحة لعمليات نقل وزراعة الأعضاء وكذلك الفتوى الشرعية الصادرة والمؤيدة لهذا الإتجاه، يجب أن تتضمن التنظيمات الشاملة لهذه العمليات ما يعطي تصريحات تلك العمليات والشروط الواجبة لها - منها الإلتزام بتصريح المتلقى - بأن تكون التنظيمات الشرعية لتلك الأعمال شاملة آسوة بالتشريعات الوضعية. راجع د. أحمد عبد الله الكتيري - المراجع السابق - نفس الموضع.

الأدعي لا يقوم به تصرف لازم، مما يمكن أن يُجبر عليه التصرف قضاءً، لأنه لا يتعلّق بحق مالي يدخل في دائرة القابلية للتعامل، إنما هو إذن وإجازة تتعلق بحق من الحقوق الشخصية بالشخص بموجب إنسانيته وأدميته، وليس بموجب شخصيته القانونية، ولا حقه في المعاشرة، وهو حقه في سلامة جسمه».

ويكون للمتبرع العدول في أي وقت قبل استئصال العضو منه^(١) دون حاجة لتقديم مبررات العدول، ودون الخضوع لأحكام المسئولية؛ ذلك لأن العدول هنا عودة للأصل المتمثل في عدم جواز المساس بسلامة الجسم البشري^(٢).

وقد اتفقت القوانين المقارنة على حق المنقول منه بالعدول دون قيد أو شرط؛ حيث جاء بال المادة ٢٨ من القانون رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٢ اليمني: «أنه يحق للمتبرع بالعضو سحب موافقته في أي وقت يشاء قبل إجراء عملية نقل العضو»^(٣).

ونصت المادة ١٢١١-٢ من قانون الصحة العامة الفرنسي على إمكانية الرجوع عن الإذن باستئصال العضو في أي وقت، وكذلك المادة ٤ من القانون المغربي حيث أجازت للمتبرع الرجوع عن الموافقة في جميع الأحوال دون قيد أو شرط.

ويمكن الخروج من هذه الإشكالية بتصور أن حق العدول للمتبرع يكون حتى قبل البدء في عملية الاستئصال، وهذا ما فعلته تشريعات دول مختلفة، فالتشريع بقانون المصري نص في المادة الخامسة منه على أن: «..... ويجوز للمنقول منه العدول عن الموافقة قبل البدء في إجراء عملية الإستقطاع، ويشتت هذا الرضاء بالكتابة».

ونصت المادة السادسة من القانون القطري على ذات الشأن حيث جاء بها: «يجوز للمتبرع قبل إجراء عملية الاستئصال أن يرجع في تبرعه في أي وقت دون قيد أو شرط». وذات النص ورد في المادة الرابعة من القانون الكويتي.

ولعل القانون الإماراتي كان أدق في تحديده لوقت الرجوع؛ فقد نصت المادة الخامسة منه على أن: «يجوز للمتبرع قبل إجراء عملية الاستئصال أن يرجع في تبرعه في أي وقت دون قيد أو شرط، ولا يجوز للمتبرع استرداد العضو الذي تم استئصاله منه بعد أن تبرع به وفقاً للقانون». هنا يكون للمتبرع حق العدول إلى وقت الاستئصال، وهو ما يعني سقوط هذا الحق بعد عملية

(١) Eric loquin, les choses hards commencent une approche de la personne humaine , op . cit , p. 382

(٢) د. حسام الأهوازي: نحو نظام قانوني في جسم الإنسان، بحث مشور في مجلة العلوم القانونية والاقتصادية - العدد الأول - السنة الأربعون - يناير ١٩٩٨ ص ٥٤

(٣) وأرى أن هذا النص غير سديد، لأن المشرع يعني لم يحدد المقصود بقبل إجراء عملية نقل العضو، هل يقصد به قبل إجراء عملية الاستئصال، ومن ثم يكون حق العدول مكتفياً للمتبرع إلى وقت الاستئصال ويسقط بعد ذلك، أو يقصد به أنه يحق للمتبرع أن يعدل حتى بعد استئصال العضو ما دام لم يُفرس للمتلقى؟

الاستئصال ولو لم تتم عملية الغرس، كما هو مستفاد من المادة الخامسة من القانون الإماراتي دون أدنى مسؤولية على المنقول منه كمبدأ عام، بيد أن هناك جانب من الفقه القانوني يري تحويل المنقول منه للنفقات التي أنفقها المتقى، كالحجز في المستشفى والإقامة به ... إلخ.^(١) ونلفت الانتباه إلى أن القوانين المقارنة لم تتطلب شكلية معينة للعدول، فيمكن أن يكون شفوياً أو مكتوباً أو ياتخاذ موقف لا يدع مجالاً للشك في طلب العدول.

(١) د. منذر الفضل: التصرّف القانوني في الأعضاء البشرية، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع - عمان - الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٢م، ص ٩٨ .

المطلب الثالث: أهلية المنشول منه :**الفرع الأول: أهلية المنشول منه من الناحية القانونية :**

الأهلية أو ما يقصد بها أهلية الأداء، هي صلاحية الشخص لصدور العمل القانوني منه على وجه يعتد به شرعاً، أي أنها صلاحية الشخص لمباشرة التصرفات القانونية^(١).

وتُحدد مدى أهلية الشخص بحسب قدرته على التمييز، وعدم الأهلية القانونية تعتبر وسيلة لحماية بعض الأفراد الذين - بسبب حالتهم العقلية - لا يستطيعون أن يعطوا رضاءً صحيحاً.

ومن الطبيعي ألا تثور أي مشكلة إذا كان المنشول (المنقول منه) بالغاً رشيداً فيكون أهلاً لصدور التنازل منه بقالمه تصرفاً قانونياً، وعليه يقع باطلأ التنازل بالعضو من قبل المجنون والممتوه والسفية وذو الغفلة والمعاق جسدياً أو عقلياً كونهم غير قادرين على التعبير عن إرادتهم.

والأهلية بالمعنى المتقدم، توافر في الشخص عندما يبلغ سنًا معينة يختلف باختلاف التشريعات^(٢)، وإذا كانت القوانين المنظمة لنقل الأعضاء والتبرع بها قد نصت على أن يكون المنشول منه بالعضو كامل الأهلية قانوناً^(٣)، إلا أنها تجد أن بعضها قد اهتمت بتحديد السن التي يجب أن يبلغها المنشول منه؛ فالقانون اللبناني تطلب أن يبلغ الواهب سن الثامنة عشرة عند الهبة، وكذلك تطلب القانون اليمني رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٢ م في المادة (٣/٢٧) لا يقل عمر المنشول منه بالعضو عن عشرين عاماً.

ونلت الإنتباه إلى وجوب أن يكون المنشول منه بالغاً سن الرشد وقت التبرع بالعضو، ويستمر ذلك إلى وقت استئصال العضو، لأن التبرع لا يلزم إلا بالتنفيذ^(٤).

(١) د. عبد المتنعم فرج الصدقة - مبادئ القانون - دار النهضة العربية، ١٩٧٧م، ص ٢٢٨ .

(٢) ضمن الرشدة في القانون الفرنسي ١٨ سنة، وكذلك القانون السوداني، أما القانون الكويتي والمصري فيشتريطاً لإكمال أهلية الشخص بلوغه ٢١ سنة، وتُحسب السنين بالتقسيم الميلادي لا الهجري، ومن الرشدة في القانون اليمني ١٥ سنة

(٣) من القانون المدني اليمني ، وسن الرشد في القانون السعودي ١٨ سنة هجرية كاملة.

(٤) تنص المادة الثالثة من القانون القطري رقم ٢١ لسنة ١٩٩٧ م على أن : «للشخص كامل الأهلية قانوناً إن يتبرع أو يوصي بمضو أو أكثر من أعضاء جسمه »، وجاء بالمادة ٢ من القانون الإماراتي رقم ٥ لسنة ١٩٩٢ م أن : «يجوز للشخص أن يتبرع أو يوصي بأحد أعضاء جسمه ويشترط في التبرع منه أو يوصي أن يكون كامل الأهلية قانوناً ، ونصت المادة الثانية من القانون الكويتي رقم ٥٥ لسنة ١٩٨٧ م على أن : «للشخص كامل الأهلية قانوناً إن يتبرع أو يوصي بمضو أو أكثر من أعضاء جسمه »، ونصت الفقرة الثالثة من المادة الثانية من القانون الأردني على أن : « يواافق المنشول منه خطياً وهو يكمل إرادته وأهليته علي تقل العضو » .

ونصت المادة الخامسة من مشروع القانون المصري على أنه : « لا يجوز للمنشول منه أن يواافق علي استقطاع أحد أعضائه أو جزء منه لو أنسجه لتقله إلى آخر، إلا إذا كان كامل الأهلية وتتوفر رضاوه تمام عن ذلك ».

(٤) د. عبد الحميد إسماعيل الأنصاري: ضوابط نقل وزراعة الأعضاء في الشريعة الإسلامية والتشريعات العربية - دراسة مقارنة - الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٠ م ص ٢٦ .

ومن ثم إذا طرأ على أهلية المنشول منه ما ينقصها أو يعدها بعد موافقته وقبل إجراء عملية الإستئصال فإنه لا يجوز إجراء العملية .

وهنا يبرز تساؤلاً هاماً مفاده : إذا كان التنازل فاقراً فهل يُعد بالرضاء الصادر منه ؟

انقسم الفقه اتجاهات ثلاثة وذلك علي النحو الآتي:-

الاتجاه الأول : السماح للقاصر منفردأً بالتصريف في جسمه :

أخذت بهذا الاتجاه بعض المحاكم الأمريكية^(١)، واكتفت بالرضاء الصادر من القاصر الذي لم يبلغ إلا ١٤ سنة، باستئصال إحدى كلويه، وبررت المحكمة ذلك بأن التنازل كان لصالحة كل من المنقول منه والمريض، لأن عدم إجراء هذه العملية سيؤدي إلى وفاة المريض، وهذا من شأنه أن يحدث صدمة عصبية شديدة للمنقول منه القاصر .

إلا أن هذا القضاء قوبل ب النقد شديد، إذ أن القاصر الذي لم يبلغ من العمر ١٤ سنة لم يبلغ القدر الكافي للإدراك والتمييز الذين يؤهلهانه لاتخاذ قراره في هذا الأمر الخطير.

كما أنه يصعب تبرير ذلك الحكم علي أساس العلاج النفسي للقاصر المتنازل، فهنا لا يوجد تناسب لازم بين المرض وطريقة العلاج المستعملة، فاحتمال المرض النفسي - بحدوث الصدمة العصبية - لا يعالج بمسامن أكيد بعضو من أعضاء جسده^(٢)، كما يضاف إلى ذلك أن تأثير تنازل القاصر عن عضو من جسمه يبدو حادثاً باسلوب بصفة مؤكدة بقالة سنه الصغيرة وما يخبئه له المستقبل من عوارض صحية وأمراض لا يمكن التنبؤ بها في هذه السن، وأخيراً فإن القاصر في هذه السن يكون سريع الإنفعال واقعاً تحت تأثير ذوي قرابة .

الاتجاه الثاني : ضرورة استقطاع الأعضاء من القاصر وفق ضوابط معينة :

يرى البعض من الفقه^(٣) أنه يجب التفرقة بين القاصر المميز وبين القاصر الغير مميز، فإذا كان القاصر مميزاً، وخاصة إذا اقتربت سنـه من سن الرشد، فإنه يملك وحده الرضاء بالتنازل عن عضو من أعضاء جسده للغير، بقالة أن القسر في هذه السن يتحملون كثيراً من مسؤوليات الحياة، وأصبحوا يتمتعون بملكـات وقدرات ذهنية تُـعِينـهم على التميـز واتخـاذ القرـار الصـائب، وقد ساعد على ذلك تقديم وسائل الاتصال التافـلة للمعرفـة.

وسلك هذا الاتجاه القانون الفرنسي حيث حظر أخذ الأعضاء بغير التبرع من القسر (م / ٢ / ١٢) من قانون الصحة العامة الفرنسي رقم ٢٠٠٤ / ٨٠٠) إلا أنه استثنى أخذ النخاع العظمي حيث أجاز نقل النخاع العظمي من القسر لأن عملية نقل النخاع تعد أقل خطورة من

(١) *Pierkers masden v. Harrison 1975 Husky and Harrison 1975 : foster v. Rainion op . cit , p. 84*

(٢) د. حسام الأهوانـي، المرجـع السابـق من ١١٨ .

(٣) د. حسام الدين الأهـوانـي، المرجـع السابـق من ١٢٠ هامـش رقمـ ١٧٨ .

غيرها، فلا تؤدي إلى إحداث ضرر مستدام بجسم القاصر كون النخاع العظمي من الأعضاء التي تتجدد تلقائياً، وفي ذات الوقت تحقق هاذة كبيرة بالنسبة للمتلقى، ورغم هذا وضع المشرع الفرنسي عدد من الضوابط تتمثل في :

- ١- أن يتم نقل النخاع العظمي لمصلحة الأخ أو الأخت فقط .
- ٢- أن يتم نقل النخاع بموافقة الوالدين أو الممثل القانوني، وتقى الموافقة أمام رئيس المحكمة الإبتدائية أو أمام قاضٍ يعينه الرئيس خصيصاً لهذا الفرض، وفي حالة الضرورة تتم الموافقة أمام النائب العام .
- ٣- أن تقوم لجنة من الخبراء مكونة من خمسة أعضاء، إثنان من الأطباء وشخص مؤهل في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، وعندما تصدر قرارها بخصوصأخذ الأعضاء من القصر، لابد أن تضم اللجنة شخصية مؤهلة في مجال علم النفس عند الأطفال، وأيضاً أخصائي في طب الأطفال. (م ١٢١٣ من قانون الصحة العامة الفرنسي رقم ٨٠٤ - ٢٠٠٤) .
- ٤- إن رفض القاصر للتبرع في كل الأحوال يمثل عقبة أو حائل دون إجراء عملية أخذ النخاع فرفضه يمحو رضاء غيره إذا كان أهلاً لذلك .

وطبقاً لهذا الرأي فإن الحالة العكسية، وهي حالة رفض القاصر، فيها لا يمكن القيام بعملية الاستئصال حتى لو وافق الوالدين .

الاتجاه الثالث : عدم جواز التصرف في جسم القاصر مطلقاً :

يرى أنصار هذا الاتجاه^(١) أنه لا يجوز مطلقاً التصرف في جسم القاصر عن عضو من أعضائه، لأنه لا يملك التنازل ولا يمكن أن ينوب عنه أحد في ذلك، حتى لو كان هذا في مصلحة أخيه التوأم، ويرروا ذلك بأن الحق في الحياة والممات ليس للأباء بما لهم من نيابة قانونية على أبنائهم القصر، كما أن القاصر الذي يستأصل منه عضو، سيدرك حين يكبر مدي ما اعتبره من نقص نتيجة لهذا الاستئصال، ولن يفتر لواليه ما أقدموا عليه من موافقة.

(١) راجع د. حسام الأهلواني، المراجع السابق من ١٢٠ - ١٢١. وقد نصت بعض القوانين صراحة على عدم جواز استئصال الأعضاء من القاصر، كالقانون اليمني رقم ٢٦ لسنة ٢٠٢ م حيث جاء بال المادة ٢٩ منه بمنع نقل الأعضاء من هاقدني وناقصي الأهلية، وكذلك القانون المغربي الخامس بالشروع بالأعضاء : حيث نصت المادة ١١ منه على عدم جواز أخذ عضو لأجل غرسه من شخص قاصر. وراجع نص المادة الخامسة من مشروع القانون المصري سالفه الإيضاح، إلا أن بعض القوانين لم تنص صراحة على عدم جواز استئصال أعضاء من القاصر، وهذا بطبيعة الحال لا يعني إمكانية جواز ذلك، لأن هذه التشريعات كما سبق ذكرنا قد تطلب أن يكون المتقول منه كامل الأهلية متعملاً بقواء المقالية، كالقانون القطري والإماراتي والكويتي والأردني واللبناني، وهذا يدل بمفهوم المخالفه على عدم جواز استئصال الأعضاء من القاصرين. د. إفتخار المخلافي - الرسالة السابقة ص ٢٤٢ .

فالنيابة القانونية تقوم بصلاحة القاصر بإقرار التصرفات التي تُقيده وليس التصرفات الضارة به، وعملية الإستئصال هذه ضارة به لا محالة.

وقد أخذ بهذا الرأي الفقه التشيكوسلوفاكي^(١)، وقد جاء في توصيات مؤتمر بيروجيا أن موافقة الواهب يجب أن تكون حرة شخصية ومعطاة بشكل صحيح من قبل إنسان يتمتع بكامل أهليته^(٢).

ونري مع بعض الفقه^(٣) أن الاتجاه الأخير بعدم جواز التصرف في جسم القاصر مطلقاً هو الأجدار بالقبول في نظرنا، بقالة أن النيابة القانونية عن القاصر تقوم على إقرار التصرفات التي تقييد القصر أو التصرفات الدائرة بين النفع والضرر بشروط معينة، أما التنازل عن الأعضاء البشرية فهو خارج لا محالة، بل أن الضرر هنا يفوق الضرر المائي الذي تبطل القوانين تصرف الولي بشأنه، فمن باب أولى لا يكون للولي التصرف في الضرر الصحي الذي قد لا يؤمن جانبه في حاضر القاصر أو مستقبله.

الفرع الثاني: أهلية المنقول منه من الناحية الشرعية :

لقد طلبت الاتجاهات الشرعية المبيحة لعمليات نقل الأعضاء الرضا من المنقول منه، وهي إذ طلبت هذا الرضا فإنها تشترط أن يكون رضاً صحيحاً صادراً من هو أهل لإصداره.

وقد ذهب رأي^(٤) إلى أنه يجوز الاستقطاع من جسم القاصر أو من هم في حكمه ممن هم تحت ولائهم، اللهم إلا إذا تعلق الأمر باستقطاع عضو من أحدهم لزرعه في جسم أحد أشخاصه أو شقيقاته وروي أن رابطة القرابة القوية هذه تبرر الخروج على قاعدة إبطال التبرع بأموال الصغير بقدر ما يستهدف بالتصرف من إنقاذ الحياة، ما دام أنه لا يؤدي إلى إلقاء الصغير إلى التهلكة.

والفقهاء المحدثون المجيرون لعمليات نقل وزراعة الأعضاء سكتوا عن التعرض لشكلة التنازل

(١) Dell: les problemes Juridiques op. cit. p. 104.

(٢) د. رياض الخالي: الظاهر القانونية لعمليات نقل وذرع القلب والتصرف بأعضاء الجسم البشري، المجلة الجنائية القومية - مارس ١٩٧١ - العدد الأول - المجلد ١٤ من ٢٧.

(٣) د. أحمد الكدربي - الرسالة السابقة - ص ١٣٩، د. طارق سرور - نقل الأعضاء البشرية بين الأحياء - دراسة مقارنة - دار النهضة العربية - الطبعية الأولى سنة ٢٠٠١ ص ٢٠٨، د. أحمد محمد بدوي - نقل وذرع الأعضاء البشرية - مطبعة سعد سرك من ٤٧، د. طارق الظفيري: نقل وذرع الأعضاء من منظور جنائي - محاولة لدراسة تحليلية نقدية للقانون الكويتي رقم ٥٥ لسنة ١٩٨٧ م الخاص بنقل وذرع الأعضاء البشرية - بحث منشور بمجلة الحقوق الصادرة عن مجلس التحرير العلمي - جامعة الكويت - العدد الثاني - السنة الخامسة والعشرون - يونيو سنة ٢٠٠١ - ص ١١٤.

(٤) راجع ما سبق بحثه بهذا الشأن.

من القاصر، الأمر الذي يعني أنهم لا يُجيزون هذا التنازل بقالة أنهم اشترطوا الأهلية التامة من المقول منه .

ونري خطورة موافقة الولي على التنازل من القاصر عن عضو من أعضائه، بالرغم من المبررات التي ساقها من أخذ بذلك، وذلك لما سيق أن أوضحتناه حين أيدنا الرأي الذي يمنع التصرف في جسم القاصر بصفة مطلقة .

المطلب الرابع: انتفاء المقابل المادي؛**الفرع الأول: انتفاء الم مقابل المادي من الناحية القانونية :**

يجب أن يكون تنازل المتفق منه عن عضو من أعضاء جسمه دون مقابل مادي، بقالة أن جسم الإنسان ليس محلاً للمعاملات المالية^(١)، والتنازل هنا لا بد أن يرتكن لمبادئ الحب والإيثار والتضامن الإنساني وليس بداع المال، ولأن الإتفاقيات الواردة على الجسد الإنساني غير مشروعة^(٢) فقد أجزى التبرع بالأعضاء البشرية بنصوص خاصة وبضوابط معينة استثناءً من الأصل العام (مبدأ حرمة الجسد الإنساني) ، ومعلوم أن الاستثناء لا يجوز التوسيع فيه ولا القياس عليه.

وقد أخذ بهذا الاتجاه الأستاذ سافاتيه حيث قرر أنه لا ينبغي أن يكون المتنازل عن دمه أو عضو من أعضاء جسمه شخصاً محترفاً، بمعنى أنه لا ينبغي أن يحصل على قوتة من تجارة الدم أو أعضاء الجسم، ولهذا لا يصح قبول دم الأشخاص الذين تعودوا أن يعطوا دمهم بصفة مستمرة إلى مراكز الدم^(٣)، فقيام الشخص ببيع عينه أو كلية ينطوي على إنكار وإهانة لكرامة الإنسان من أجل حفنة من المال، تلك الكراهة التي يجب أن يحافظ عليها، ولا يقبل أن يضحي بسلامة جسمه أو حياته من أجل مصلحة مادية^(٤).

(١) د. حسام الدين الأيوانى - مقدمة القانون المدنى، نظرية الحق، القاهرة ١٩٧٢، ص ٢٤ ، ويذكر هنا تنص المادة السادسة من المشروع بقانون المقدم لمجلس الشعب المصرى فيما يتعلق بنقل وزراعة الأعضاء البشرية على أن « يُحظر التعامل في أي عضو من أعضاء جسم الإنسان أو جزء منه أو أحد أنسجته على سبيل البيع أو بمقابل مادي الموافقة على الاستقطاع، كما يُحظر على الطبيب المختص البدء في إجراء عملية الاستقطاع عند علمه بذلك» .

(٢) فالقانون المدنى资料 أرسى في المادة ١/٦ منه والمعدلة بالقانون الخامس ياحترام الجسم البشري رقم ٦٥٢ لسنة ١٩٩٤ م - مبدأ احترام الجسد البشري وحرمه وعدم خضوع عناصره ومنتجاته لحق مالى حيث جاء بها : للكل فرد حق في احترام جسمه، ولجسم الإنسان حرمة كما أن الجسم البشري عناصره ومنتجاته لا يمكن أن تكون موضوعاً لحق مالى . وقد أكدت ذلك الفقرة ٥ من ذات المادة حيث نصت على أن : « الإتفاقيات التي تعطي قيمة مالية لجسم الإنسان وعنصره ومنتجاته تكون باطلة ». وهذه النصوص يستتبع منها تحريم الإتفاقيات التي تعطى جسم الإنسان وعنصره قيمة مالية، انظر:

- F. teme et D'encuilliet : droit civil les personnes . la famille les incapacites be ed . 1996 . p. 62 -

وهذا يتفق مع المادة ٦٩ من الميثاق الإسلامى العالمي للأخلاقيات المطلية والصحية حيث نصت على أنه: « لا يجوز أن يكون الجسد البشري وأجزاؤه محلاً للمعاملات تجارية، ويُحظر الإتجار في الأعضاء أو الأنسجة أو الخلايا أو الجينات البشرية، كما يُحظر الإعلان عن الحاجة إلى أعضاء أو عن توافرها لقاء ثمن يدفع أو يطلب »، وأنظر: نص المادة الخامسة من القانون المغربي رقم ١٦ - ٩٨ المتعلق بشأن التبرع بالأعضاء والأنسجة البشرية وأخذها وزرعها، وأنظر: نص المادة السادسة من المشروع بقانون المصرى والمادة التاسعة من القانون القطري رقم ٢١ لسنة ١٩٩٧ بشأن تنظيم نقل وزراعة الأعضاء، والمادة السابعة من القانون الإماراتى رقم ١٥ لسنة ١٩٩٣ والمادة السابعة من القانون الكوروى رقم ٥٥ لسنة ٦٧ بشأن زراعة الأعضاء .

(٢) savatier (R) du sanguineus D. 1945 p. 141 etc . chron 25; nesson: l'influence de la biologie article precite p. 678

. Nesson : L'influence de la biologie article precite p. 676 . jean Rodand : courage de pierkers preste p.8 (٤)

وقد أخذت بهذا المبدأ مختلف التشريعات الوضعية التي أجازت عمليات نقل وزراعة الأعضاء البشرية، فالقانون الفرنسي، مثلاً، أقر مبدأ التنازل بدون مقابل وذلك في القانون الخاص بـ نقل الدم رقم ٨٥٤ الصادر في ٢١ يونيو ١٩٥٢، حيث لم يتعرض لبيع الدم أو الإتجار فيه، وإنما أشار إلى تعويض المنسول منه بما فقده من وقت ومن قوي نتيجة لترعرعه بدمه^(١).

وأخذ بذلك القانون الإيطالي رقم ٤٥٨ الصادر في ٢٦ يونيو ١٩٦٧ الخاص بـ نقل الكلية بين الأشخاص الأحياء، فنص بالمادة الأولى على ضرورة كون التصرف في الكلية مجاناً، وأبطل كل شرط يعطي المنسول حقاً في الحصول على تعويض مادي أو ميزة مادية.

وذهب إلى مثل ذلك المشرع المصري في القانون رقم ١٠٣ لسنة ٦٢ الخاص بـ نقل العيون، حيث أكد على ضرورة أن يكون التنازل عن العين بدون مقابل، وكذلك المشرع الكويتي والمشرع بـ دولة الإمارات العربية المتحدة في القانونين الخاصين بـ عمليات نقل وزراعة الأعضاء البشرية وذلك بال المادة رقم ٧ من القانون رقم ٥٥ لسنة ١٩٨٧ بالكويت، والمادة رقم ٧ بالقانون رقم ٥ لسنة ٩٣ بالإمارات^(٢).

إلا أن التنازل، وكون وجوبه بدون مقابل، يجب لا يتعارض مع ما يحدث من تعويض المنسول منه بما أصابه من أضرار نتيجة لعملية التبرع بالعضو^(٣) أو تقديم مكافأة أو هدايا له.

حيال ذلك انتقسم الفقه قسمين : ذهب رأي^(٤) إلى جواز تعويض المنسول منه عن الأضرار التي يمكن أن تصيبه من جراء استئصال العضو كتعطيله عن ممارسة نشاطه المهني أثناء العملية أو إصابته بضعف أو نقص في قوته الجسدية أو تقديم مكافأة تقديرية، كشهادة أو وسام مثلاً لا يتعارض مع مبدأ التنازل المجاني، بقالة أن المنسول منه بالعضو يستحق الثناء والإشادة لقيمه بعمل نبيل يتسم بالإيثار والتضحية من أجل الغير، فتكون مكافأته أو تعويضه من باب العرفان بالجميل.

وخلال ذلك نرى مع أغلب الفقهاء^(٥) والتشريعات - بحق - أن التنازل عن الأعضاء البشرية يجب أن يتم بدون مقابل مادي، ولا تقر الإتجاه الذي يُجيز وجود مقابل المادي لعملية

(١) د. أحمد عبدالله الكندي - الرسالة السابقة من ١٤١.

(٢) إلى مثل ذلك ذهب هوانين كولومبيا مادة رقم ٧٣ من القانون رقم ٧٣ في ٢٠/١٢/٨٢ والمعدل للقانون رقم ٩ لسنة ٧٩ وهي كوستاريكا بالقانون رقم ٥٦١ بتاريخ ٢٠/٨/٧٤ وفي الأكوادور القانون رقم ٦٤ بتاريخ ٢٦/٥/٨٧ وإلى مثل ذلك قوانين بنما والمكسيك.

(٣) مثل مصاريف الإنتقال والعملية الجراحية والإقامة بالمستشفى وتعطيله عن مزاولة نشاطه المهني أثناء العملية.

(٤) د. حسام الدين الأهوازي، المرجع السابق من ١٢٤ وما يليها.

(٥) د. حمدي عبد الرحمن، المرجع السابق من ٨٢ ، د. أحمد الكندي - الرسالة السابقة من ١٤٢، إهتكار المخلوق - الرسالة السابقة، من ٢٣٧ .

نقل الأعضاء البشرية، وذلك لعدم فتح باب المتاجرة في هذا المجال، خاصة مع وجود فقراء كثيرين في الدول النامية يمكن أن تدفعهم الحاجة إلى التنازل عن أعضائهم مقابل الثمن مع ما يتوقع حدوثه من أخطار حتمية مقابل هذا التنازل، فالعمليات لن تتم بالحداد والحرص الواجبين، كما في حالات التبرع، كما أن ذلك سيؤدي لا محالة إلى إنشاء بنوك للأعضاء، وأخيراً فإن ذلك فيه إهانة لكرامة وأدمية الإنسان بمساواته بالسلع والأشياء المادية التي تقدر بالأثمان، وهو ما لم يقله أحد.

غير أننا لا نمانع فيما يحدث أحياناً من تعويض المتنازل في أي صورة، عما تكبدته من نفقات أو ما فاته من كسب، بقالة أن ذلك خارج عن تعويض المضوضاته، فالعضو لا يُقدر بمال ولا يمكن التعويض عنه، أما مصروفات الإنقال أو المستشفى أو التجهيز للعملية أو القمود عن العمل لفترة العلاج، فإن ذلك يُعد تعويضاً عن أمور فعلية تخرج من نطاق التعويض عن المضوضاته، وقد يكون هناك صعوبة في الأمر للتفرقة بين ثمن العضو والمقابل المادي، إلا أن اتخاذ ثمن العضو كمعيار للحكم هو أمر يسير، فإذا وصل التعويض أو تجاوز إلى الثمن الذي تعارف عليه الناس في زمن ما ومجتمع معين فيجب إبطاله، أما إذا قل التعويض عن ذلك مثلاً بمقدار النصف أو أقل، فيُعتبر المقابل الذي يقبل به كتعويض، ويرجع تقدير هذا المقابل إلى قاضي الموضوع مستهدياً في ذلك بالأثمان التقديرية في المجتمع.

الفرع الثاني: افتقاء المقابل المادي من الناحية الشرعية؛

وعن انعدام المقابل المادي لعمليات نقل وزراعة الأعضاء شرعاً، فقد أجمع فقهاء الشريعة الإسلامية على حرمة وبطلان بيع أجزاء الإنسان الحر^(١)، ولا يوجد خلاف في ذلك.

وبهذا الصدد يقول البعض^(٢): «فإن إجماع الفقه الإسلامي ينعقد على أن أجزاء الإنسان لا يمكن بيعها أو شراؤها، وإذا كان البعض يرى أنه يجوز بيع العضو المستقطع من الجهة شريطة أن يخصص الثمن لوفاء بنفقات الدفن، فإن مثل هذا الرأي يخرج عن الإجماع المشار إليه، هذا فضلاً عن أن أصحابه يعترفون بأن هذا المقابل المادي له طبيعة خاصة تمنع انتقاله إلى الورثة ...» ولا يجوز في هذا الصدد القياس على لبس المرأة، الذي يرى الفقهاء بجواز بيعه، لأن هذا السائل المخصص بطبيعته للخروج من جسد المرأة لينتفع به الغير، لا يمكن تقويمه بمال، كما أن الشرع هو الذي سمح بتحصيل الأجر في مقابل الإنقاذ بخدمات المرضعة، فإن قيل بأن التقدير

(١) ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار ج ٥ ص ٤٩ وما بعدها، الكمال لأبن الهمام فتح القيدر ج ٦ ص ٤٢٢
المرجع، المبسوط ج ١٢ ص ٢.

(٢) د. أحمد شرف الدين، الأحكام الشرعية، المراجع السابقة من ١٤١.

المالي لأعضاء الجسم قد ورد في الشرع في حالة الإعتداء عليها، فإن الدقة تقتضي منا أن نقول أن الديمة^(١) لا تقابل الأعضاء، ولكنها نظير ما فات من منافعها، أو أنها عوض عن حق المجنى عليه الأصلي في القصاص^(٢)، وهذا التقدير المالي أمر استثنائي أقرب الشرع لفرض معين، هو حفظ الدم من الهدر في ظروف لم يسمح فيها المجنى عليه بالإعتداء، فلا يتوسع فيه ولا يؤخذ به في أغراض أخرى غير النصوص عليها صراحة في الشرع.

يؤكد ذلك أن جميع الفقهاء المحدثين الذين أجازوا عملية نقل وزراعة الأعضاء البشرية، اشترطوا أن يتم ذلك تبرعاً، وأبطلوا كذلك المقابل المادي لتلك العمليات، حيث أنهما اتفقا على أن أعضاء الإنسان ليست بمال^(٣) ولا يصح أن تكون تباعاً لذلك مهلاً للبيع.

(١) يقدر الدكتور عبد القادر عودة بأن الديمة، وإن كانت عقوبة، إلا أنها حق مالي للمجنى عليه أو ولد، وقد رُوعي في تقديرها أن تكون تعويضاً عادلاً عن الجريمة، راجع لسيادته، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقوانين الوضعية، مرجع سابق، ص ٦٧٤ وما بعدها.

(٢) التوسيع، المجموع ج ١ ص ٢٢٢ - الدردير - شرح الصغير على أقرب المالك ج ١ من ٤٤ .

(٣) التوسيع، المجموع ج ١ ص ٢٢٢ - الدردير - شرح الصغير على أقرب المالك ج ١ من ٤٤ .

المبحث الثاني

رضا المريض

ذكرنا أنتَ أنَّ من المبادئ المستقرة في الأعمال الطبية التي تقع على المريض بصفة عامة ضرورة الحصول على رضا المريض قبل مباشرة أعمال العلاج^(١) على جسمه، سواء كان ذلك عن طريق وصف العلاج بالأدوية أم عن طريق التدخل الجراحي.

أما إذا كانت حالة المريض لا تسمح للطبيب بالحصول على رضاته ومن ثم تبصيره، فإن ذلك لا يمنعه من التدخل^(٢)، بل إن التدخل في مثل هذه الحالة قد يكون مفروضاً عليه قانوناً، فرضاء المريض إذا يُمد من الشروط الجوهرية لتطبيق سبب إباحة الأعمال الطبية عموماً.

وإذا كانت تلك أهمية الرضا الصادر من المريض في أثره على العملية الملاجية له، فإن الأمر يصبح ذا أهمية خاصة في مجال نقل وزراعة الأعضاء البشرية نظراً لما تتطوي عليه هذه العمليات من مخاطر قد يتعرض لها المريض في المستقبل، وكما سبق وتناولنا رضا المنشول منه، فجري بنا أن نتناول دراسة رضا المريض على الوجه الآتي: ضرورة الحصول على رضا المريض، ضرورة أن يكون رضا المريض حراً، أهلية المريض، كل في فرع مستقل، وأسبق ذلك بقيدة موجزة عن التزام الطبيب بإعلام المنشول منه والمنقول إليه (المريض)، وذلك في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: التزام الطبيب بالإعلام في نطاق عمليات نقل وزراعة الأعضاء:
أوضحنا سابقاً أنه إذا كان الطبيب يتلزم بتبصير المريض في المجال الطبي بصفة عامة، فإنه من باب أولى، ينشأ هذا الإلتزام بتبصيره على عائق الطبيب في مواجهة المنشول منه العضو، بأن يبصره تبصيراً كاملاً واضحاً بجميع المخاطر الجراحية التي يتحملها من جراء عملية الإستئصال، سواء أكانت هذه المخاطر حالية أم مستقبلية، وما إذا كان يترتب على النقل آثار جانبية بالنسبة له أو قصور في وظائف جسده أو بقية أعضاء جسمه أم لا، فمن يتنازل عن إحدى كليتيه مثلاً يجب أن يُعلمه الطبيب بأثار ذلك على الكلية المتبقية من ناحية المخاطر التي قد تتحقق به، واحتمالات الفشل في وظائفها، كما يجب على الطبيب تبصيره باحتمالات نجاح

(١) انظر في التفرقة بين الرضا كرaken في العقد الطبي، والقبول اللازم ل المباشرة كل عمل طبي : B-M . Knoppers, les notions d'autorisation et consentement dans le contract medical, paris 1978 p.4

(٢) قانون آداب ممارسة مهنة الطب في فرنسا الصادر بالرسوم رقم ١٩٥١/٥٥ الصادرة في ٢٦ نوفمبر ١٩٥٠، وهو لا يلزم المحاكم، إلا أنه يفرض على كل الأطباء في علاقاتهم مع النقابة، ويترتب على مخالفته عقوبات تأديبية .- انظر د. علي حسين نجيدة: التزامات الطبيب في العمل الطبي، دار النهضة العربية، ١٩٩٢، ص ١٥، من ٣٧ .

عملية النقل، وينبغي عليه عدم الكذب أو إخفاء أية معلومة عن المنقول منه العضو^(١).

ولا يُعد هذا الإلتزام بالإعلام لصالح المنقول منه العضو إفشاءً للسر المهني الذي يتلزم به الطبيب تجاه المريض المتنازل إليه؛ وذلك نظراً للطبيعة الخاصة لعمليات نقل وزراعة الأعضاء، حيث يقوم الإلتزام بالمحافظة على السر المهني إذا كانت بقصد علاقة بين طرفين فقط هما: الطبيب والمريض، وتحت في مجال زرع الأعضاء أيام عملية ثلاثة الأطراف : الطبيب والمريض والمنقول منه أو المعطي، فالمعطى ليس طرفاً أجنبياً في عملية النقل، ومن ثم لا يُعد تقديم المعلومات الكاملة الخاصة بالمتنازل والمريض المتنازل له، بمثابة إفشاءً للسر المهني من قبل الطبيب^(٢).

ويتمد الإلتزام بالتبصير هنا إلى نطاق الآثار الاجتماعية والإقتصادية التي تترتب على عملية استئصال عضو من جسم المريض، حيث يجب إخبار المنقول منه إضافة للجوانب الطبية والصحية، بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، بل والمالية أيضاً.

فمن حيث الآثار الاجتماعية والمالية للتنازل، يجب إعلام المنقول منه العضو بتأثير الاستئصال على مدى قدرته على العمل وعلى الكسب بصفة عامة، والحصول على دخل من عدمه.

وفقاً لتوصيات مؤتمر بيروجيا، فإنه يجب أن يتضمن الإعلام شرحاً وافياً من جانب الطبيب قبل الحصول على رضا المريض حول موضوع ومخاطر العملية ونتائجها الحالية والمستقبلية، سواء أكان على الصعيد الطبي أم المالي.

وقد استلزم المرسوم الفرنسي الصادри في ١٦ أبريل ١٩٩٦ هذا الشرط، حيث نص على أنه: «يتعين أن يكون المنقول منه قد أحيط علمًا بالأخطار التي تحيبط به، وبجميع النتائج المتوقعة ذات الطبيعة العضوية والنفسية، التي قد تنتج عن نقل الأعضاء وكذلك النتائج المحتملة لهذا النقل على حياته الشخصية والعائلية والمهنية»^(٣).

وهذا ما تطلبه القانون البلجيكي أيضاً في المادة التاسعة منه حيث نصت على: «ضرورة إعلام المنقول منه بطريقة واضحة وكاملة بالنتائج العضوية والنفسية والعائلية والاجتماعية التي تترتب على الإستئصال، ويجب أن يستبين أن المنقول منه قد أخذ قراره عن بصيرة وروية»^(٤).

وفي مصر: تختص اللجنة الطبية الثلاثية المشكلة طبقاً للقانون بإعلام طرفي عملية النقل،

(١) انظر: د. حسام الأهواني : المرجع السابق، ص ١١٢ ، رقم ٧٣ .

د. أحمد شوقي أبو خلوة : المرجع السابق، ص ٧٢ ، رقم ٤٠ .

(٢) د. حسام الأهواني : المرجع السابق، ص ١١٤ ، د. طارق سرور: المراجع السابق ص ٢١٠ رقم ١٢٧ .

(٣) م ٢٧١ - ٢ - ١ .

(٤) أشار إليه د. طارق سرور، المراجع السابق، نفس الموضع .

هوفقاً للمشروع بقانون لنقل وزرع الأعضاء البشرية المصري يقع الالتزام بالإعلام على عاتق لجنة طبية ثلاثة تشكل في كل منشأة طبية مُرخص لها بالنقل، وذلك من بين الأساتذة المتخصصين، من غير المالكين أو المساهمين في هذه المنشأة .

حيث نصت المادة السادسة من مشروع القانون المصري السالف على أنه: « لا يجوز البدء في عملية النقل إلا بعد إحاطة كل من المنقول منه والمنقول إليه بواسطة اللجنة الثلاثية المنصوص عليها في المادة ١٢ من هذا القانون بطبيعة عملية النقل ومخاطرها المؤكدة والمحتملة، سواء على المدى القريب أو البعيد والحصول على موافقة كل منهما، أو موافقة نائبه أو ممثله القانوني – عند الاقتضاء – على إجرائها .

ويلاحظ أن هذه اللجنة الثلاثية تشكل بقرار من اللجنة العليا لنقل الأعضاء البشرية، والتي تتبع وزير الصحة، وتتولى إدارة وتنظيم عمليات نقل الأعضاء والأنسجة، وتحديد المنشآت التي يُرخص لها بالنقل والإشراف والرقابة المستمرة وفقاً لأحكام هذا القانون ولائحته التنفيذية والقرارات المنفذة له، ويصدر بتشكيل تلك اللجنة وتنظيم عمليات ومكافآت أعضائها ومعاونيها قرار من وزير الصحة^(٥).

ونري أن إسناد مهمة إعلام طرفي عملية النقل إلى لجنة طبية ثلاثة تشكل في كل منشأة طبية تقوم بعمليات نقل الأعضاء، يعنيه أن تقييد الالتزام بالإعلام الذي تقوم به اللجنة قد يكون غير أمين أو مخلص؛ وذلك لأن هذه اللجنة يكون من مصلحتها أن يكون الإعلام غير كامل أو مببور، حتى لا يكون من شأنه إذا كان كاملاً ووارياً أن يبصر المنقول منه بالمخاطر بما يؤدي إلى عزوفه عن التبرع، وهو ما يتربّ عليه - من وجهة نظر اللجنة - خسارة نتيجة لعدم القيام بعملية النقل. ولهذا نري وجوب أن تكون اللجنة الطبية مشكلة من أطباء - أو غير أطباء - محايدين وليس لهم أدنى مصلحة في إجراء أو عدم إجراء عملية النقل، ومن الأفضل أن تختص بها جهة قضائية أو لجنة إدارية ذات اختصاص قضائي، أو أطباء يُلْحِظُون بتشكيل المحكمة، على أن يُؤْدِوا اليمين أمامها .

ولهذا نجد أن القانون المغربي قد أوكل إلى رئيس المحكمة التابع لها مقر إقامة المنقول منه أو أمام قاضٍ من المحكمة المذكورة يعينه الرئيس خصيصاً لهذا الفرض، ويساعد القاضي طبيبان يعينهما وزير الصحة بناءً على اقتراح المجلس الوطني لهيئة الأطباء الوطنية، يُعهد إليهما بأن يشرح للمتبرع بالعضو أبعاد عملية النقل، وللقاضي الفائدة العلاجية المرجوة من عملية الأخذ^(٦) .

(٥) راجع نفس المادة السابعة من المشروع المصري سالف البيان.

(٦) ورقة العمل المقدمة من المركز العربي للبحوث القضائية والقانونية حول نقل وزرع الأعضاء البشرية والاستنساخ وايجار الأرحام المقدمة إلى الندوة العلمية المقعدة في بيروت من ١٤ - ١٥ سبتمبر ٢٠٠٠، مشار إليها عند د. طارق سرور، المترجم السابق، ص ٢١٢ .

وكذلك فإن القانون الإيطالي لم يكتف هو الآخر بالبقاء الإلزام بالتبصير على عائق الطبيب، حيث يشترط للتنازل صدور قرار من قاضٍ للأمور المستعجلة، وذلك بهدف التأكيد أساساً من الرضاء الحر والمتصدر للمتنازل، فلا مجال لأي نوع من أنواع الكذب بالنسبة للمتنازل، ويجب أن يثبت القاضي كتابة أن المتنازل قد تنازل بناءً على رضاء حر وتلقائي (وفقاً لل المادة الثانية منه)، كما يجب تبصير المتنازل بكافة النتائج الشخصية التي قد يتعرض لها بسبب ما قام به من تضحية^(١).

الالتزام الطبيب بإعلام المريض :-

اختلت آراء الفقه في شأن مدى الالتزام الطبيب بإعلام مريضه عن حقيقة حالته المرضية، ومدى ما يكتفي الوسائل العلاجية المتبقية من مخاطر محتملة على النحو التالي :

الرأي الأول : يذهب أنصاره إلى عدم الالتزام الطبيب بإعلام المريض حول حالته الصحية، وطرق العلاج التي يتبعها، ومن ثم فإن عليه لا يُخبره بعواقب مرضه، سواء الحالية أو المستقبلية، الحالة والمحتملة، وذلك لأن من شأن فرض مثل هذا الإلزام أن يعيق عمل الطبيب، إذ قد يتدخل المريض في أبسط الأمور كما قد يعترض على جزئيات معينة في العلاج أو التدخل، وأن من شأن الإعلام كذلك علم المريض بحقيقة الحاله المرضية له، وهو ما قد يؤثر على حالته النفسية، خاصة إذا كانت حالته خطيرة^(٢)، وأن الطبيب، بقالة كونه من أهل العلم، هو أساساً مهني، ولا يجوز لآية مشاعر، حتى لو كانت مشاعر الشفقة، أن تؤثر في عمله، وأن على المريض أن يسلم بعدم قدرته على تقدير الأمور جيداً فيما يتعلق بصحته ومصير حياته، وعليه بالتالي أن يسلم أمرها إلى الله ثم إلى طبيبه الذي يمسك بأصول العلم والطب، ويصرف عن طريقها المصلحة المريض، وأنه يجب أن تنقل الطمأنينة إلى قلب المريض، وتحافظ على نفسيته، ولو علم المريض بكل آثار مرضه وأبعادها، لتربت على ذلك ردود فعل سلبية للعلاج، فضلاً عن أن الطبيب ذاته لا يستطيع أن يُلم مقدماً بكافة توقعات العلاج أو الجراحة، ومن ثم فليمن معمولاً أن تُحاسبه على عدم الإفصاح عن نتائج، قد لا تكون دائمة في الحسبان^(٣).

الإتجاه الثاني : وهو الإتجاه الراجح، ويري ضرورة الالتزام الطبيب بإعلام المريض وتبصيره بعواقب مرضه، والمخاطر التي تترتب على الجراحة، وأن أي إخفاء أو كذب يعتبر من قبل الخطأ الذي يستوجب المسؤولية، حيث أن حرمة وكرامة الإنسان وجسده، لا تُجيز المساس بهذا الجسد،

(١) أشار إليه : د. حسام الأهوانى، المرجع السابق، ص ١١٦ - ١١٧ .

(٢) انظر : د. حسام الأهوانى : المرجع السابق، ص ٨٨، رقم ٥٨ .

(٣) انظر في عرض ذلك : د. حمدي عبد الرحمن، مخصوصية الجسد، المرجع السابق، ص ٣٣، وما بعدها .

إلا بعد الحصول على رضاته، ويجب أن يكون ذلك الرضا صادراً عن تبصر وعلم كامل بحقيقة الأمور، والإخفاء أو الكذب يُعتبر اعتداء على حرية المريض، وعدم الإعلام يمثل اعتداء على حرمة جسده وكيانه المادي بل والمعنوي^(١).

فالمريض سيد قراره وسيد نفسه، ومن ثم فلا يجوز إجراء أي تدخل علاجي، من حيث المبدأ، إلا بعد تبصير المريض تبصيراً كاملاً، والحصول نتيجة لذلك على موافقته^(٢)، وأي إخفاء أو كذب يُعتبر خطأ يستوجب المسئولية الطبية^(٣).

الاتجاه الثالث : مؤدي هذا الاتجاه الوسط هو التزام الطبيب بالتبصير في حدود، ويجب أن تُسلم مبدئياً بأن على الطبيب التزاماً بأن يُفصح، قبل أي تدخل علاجي، خاصة التدخل الجراحي، عن المساوى والأثار والنتائج المرتقبة، وفي الوقت نفسه، يجب أن تراعي أن من حقوق المريض المشروعة أن يعرف الحقيقة من طبيبه المعالج^(٤)، وأنه لا يجب أن يُوضع المريض تحت وصاية الطبيب، إذ أن الإنسان هو سيد نفسه، وعلى الجانب الآخر، فإنه يجب أن يُسمح للطبيب بالكذب على مريضه في حدود، ياعتباره كذباً مشرعاً أو مخلصاً، ونظراً لأن بعض المرضى لا يمتنون بإرادة كاملة، كالسيدات والأطفال والمسنين، فإنه لا يمكن إطلاعهم على الحقيقة الطبية الكاملة^(٥).

ولكن السؤال الذي يثار، والحال كذلك، عما هي حدود الالتزام بالإعلام الذي يقع على عاتق الطبيب؟

وهذا ما سنوضحه من خلال بيان موقف القضاء حيث يُعتبر مجال الخدمات، خاصة المقد الطبي، مجالاً خصباً للالتزام بالإعلام، في أثناء التنفيذ للعقد، وبصفة خاصة إذا كان هناك خطراً يحيق بالمريض إذ لم يعلم بمضمون الأداء أو الخدمة، حيث يقع على عاتق الطبيب التزام بتزويد المريض بالمعلومات الكاملة والدقائق، حتى يستطيع أن يقرر ما إذا كان سيخضع للعملية

(١) د. حسام الأهواني، المراجع السابق، ص ٩١، د. حمدي عبد الرحمن، معصومة الجسد، المراجع السابق، ص ٣٦.

(٢) د. حمدي عبد الرحمن: معصومة الجسد، المراجع السابق، ص ٣٦. وأنظر في شأن رضا المريض وموافقته، د. مصطفى عبد الحميد عدوى، حق المريض في قبول أو رفض العلاج، دراسة مقارنة بين النظائر المصري والأمريكي، بدون تاريخ نشر، د. مجدي حسن خليل، مدي ضاللة رضا المريض في العقد الطبي، دار النهضة العربية، ط ٢٠٠٠.

(٣) د. حسام الأهواني، المراجع السابق، نفس المكان، د. حمدي عبد الرحمن، المراجع السابق، نفس المكان، د. محمد حسن قاسم: إثبات الخطأ في المجال الطبي، دار الجامعة الجديدة للنشر، ٢٠٠٦، ص ١٥٨، د. محمد حسين

منصور: المسئولية الطبية - دار الجامعة الجديدة للنشر، بدون سنة نشر، ص ١٠٧، وما بعدها

(٤) د. حمدي عبد الرحمن، المراجع السابق، نفس الموضع.

(٥) د. حسام الأهواني، المراجع السابق، نفس الموضع.

أو للعلاج الطبي المطلوب ألم لا - عن علم واطلاع كاملين - وبما يسمح له بإجراء المقارنة بين الفوائد والمخاطر المحددة به^(١).

ففي مجال الأشعة، قضى بمسئوليية الطبيب لعدم قيامه بالإلتزام بالإعلام إذا ما وصف لمريض ضرورة إجراء رسم إشعاعي بدون بيان مضمون ذلك^(٢).

وكذلك حكم القضاة بإدانة الطبيب الذي قام بعمل الرسم الإشعاعي لمسئوليته عن إجراء الرسم على طفل علي الرغم من أن هذا الرسم لم يكن ضرورياً، ولا مستعجلأً، بدون الحصول على الرضاء المتبرص لوالديه^(٣).

الإعلام عن المخاطر التي تلحق المريض بعد العملية الجراحية أو العلاج :

تبعد أهمية الإلتزام بالإعلام حول المضمون العقدي، والذي يقع علي عاتق الطبيب، في المرحلة التالية لإجراء العملية، حيث لا يقف الإلتزام عند حد إجراء العملية، بل يمتد ليشمل إعلام المريض بدقة عن المخاطر، التي قد تلحق به عقب إجراء العملية الجراحية أو العلاج، وبصفة خاصة عواقب المرض التي لا يمكن تجنبها مثل ظهور طفح جلدي أو خلافه^(٤)، ويلتزم الطبيب بإعلام المريض عن المخاطر التي تلحق بالمريض حتى ولو كانت استثنائية، حيث قضى بأنه: «فيما عدا حالة الاستعجال أو الإستحالة، فإن الطبيب يكون مُلزمًا بأن يقدم له معلومات أمنية وواضحة وملائمة عن المخاطر الجسيمة الملزمة للفحوصات والعلاج المقترن، ولا يُغافل الطبيب من هذا الإلتزام مجرد كون هذه المخاطر لا تتحقق إلا بشكل إستثنائي»^(٥).

Le chirurgien devait en informer sa patiente afin de lui permettre de prendre sa décision après avoir comparé les avantages (١)

et les risques encourus

. Cass . Civ . 19 avr . 1988 , Bull . Civ . 1988 no 107 P. 73 -

. Alissé J : L'obligation de renseignement dans les contrats , these . Paris . 1975 . p . 100 -

. Bouvier : Note sous Cass . Civ . 29 Mai 1984 , D. 1985 . P . 281 -

Le défaut d'information concernant le risqué que l'opération faisait courir n'avait pas permis aux parents de prendre une (٢)

..... decision éclairée et de morir un refus éventuel

. Cass . Civ . 11 fev . 1988 , Bull . Civ . 1988 . no 24 , p . 21 -

. Cass . Civ . 29 mai 1984 , Bull . Civ . 1984 . no 177 , p . 150 (٣)

. PENNEAU J : Note sous Lyon 8 jan . 1981 , D. 1982 . I.R.P.274 (٤)

. CHABAB F. : J.C.P. ed . G 1982 — 1989 —

. note P.Sergo 1079—Cass. Civ . 01 — 10 — 1998 , 2 Ann . J.C.P. 1998 — 11 (٥)

المطلب الثاني: ضرورة الحصول على رضاء المريض

القاعدة العامة في قانون العقوبات أن رضاء المجنى عليه بالجريمة لا يمنع من مساعدة الجاني عن ارتكابها^(١)، وتسري هذه القاعدة على جرائم الإعتداء على الحياة وسلامة الجسم، فرضاء المجنى عليه بالقتل لا يحول دون قيام جريمة القتل العمد^(٢)، ولا يؤثر رضاء المجنى عليه في العمليات الجراحية والطبية إذا كانقصد منها إجراء التجارب الطبية.

أما في حالة كون القصد من العمليات الطبية العلاجية أو الجراحية هو شفاء المريض، فقد استقرت آراء غالبية الفقهاء في فرنسا ومصر^(٣) على ضرورة تطلب الحصول على رضاء المريض عن الأعمال الطبية التي يكون جسده محلًا لها، ويرجع هذا إلى احترام حق المريض في سلامته جسمه وتكامله الجسدي واحترام حرية الشخصية.

غير أن المريض إذا كان في حالة لا تسمح له بإبداء رأيه، كأن يكون في غيبوبة إثر حادث وقع له أو غير ذلك من الحالات المشابهة، فإنه طبقاً لقواعد العامة يمكن للطبيب أن يتدخل جراحياً متجاوزاً الحصول على رضاء المريض وعدم وجود من يمثله قانوناً، ويرجع هذا إلى المريض بالتدخل الطبي في مثل هذه الحالة التي يمر بها.

كذلك فإنه لا يمكن التجاوز عن التجاوز عن الحصول على رضاء المريض في حالة الضرورة، بأن كان هناك خطر جسيم علي بشك الواقع، وكان مهدداً لحياة المريض، وكان التدخل الجراحي السريع هو الوسيلة الوحيدة لدفع هذا الخطر، وبالطبع فإن حالة الضرورة هنا تفترض أن الظروف لم تكن تسمح بالحصول على موافقة المريض أو ذويه، كذلك فإنه يمكن التجاوز عن الحصول على

(١) د. محمود مصطفى: مسئولية الأطباء والجراحين الجنائية، مجلة العلوم الاجتماعية والاقتصادية ٤٨ رقم ٥ من ٢٠٠٢، ولا تُجيز الشريعة الإسلامية قتل المريض الذي لا يُرجي شفاؤه، وهو ما يعرف في القانون الوضعي « بالقتل بدافع الشفقة » وذلك لقوله تعالى في كتابه الكريم : « لا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق »

(٢) ينص القانون الإيطالي بال المادة ٥٧٦ عقوبات والقانون السويسري المقابي بال المادة ١١٤ والقانون المقابي بال المادة ٥٥٢ على عقوبات مخففة لجريمة القتل، إذا ثبت أنها كانت بناءً على طلب المجنى عليه أو كانت بدافع الشفقة .

(٣) انظر : « الفقه الفرنسي »

. mezzadri (Hell.) et tunc (A) traite de la Responsabilite Civile et paris , 1968 , No 511

. Kompyobst (L) : La responsabilite op . cit , p. 197 etc

. Pradel (J) : La condition civile du mal de these , paris , 1963 , No 50 p.70

Lambice (J.C) De l'influence de la sante , sur L'existence des droits civils , these , poitiers , 1981 , p.123

ومن فقهه المصري:- د. السعيد مصطفى السعيد - الأحكام العامة في قانون العقوبات - دار التوحيد العربية سنة ١٩٦٢ م - القاهرة من ١٨٤ د. رمسيس بهنام، النظرية العامة للقانون الجنائي سنة ١٩٧١ م من ، د. محمد أبو زهرة: الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي " الجريمة - العقوبة " الجزء الأول دار الفكر العربي سنة ١٩٧٥ م وما بعدها.

رضاء المريض، إذا ظهر أثناء إجراء جراحة له أمر لم يكن متوقعاً من قبل، ويقتضي تدخلاً جراحياً لا سبيل لغيره إبقاءً لحياة المريض^(١).

إلا أن تلك الحالات التي يمكن للطبيب أن يتجاوز فيها الحصول على رضا المريض حفاظاً على حياته، توجب عليه الإحتياط بالحصول على موافقة الممثل القانوني للمريض أو أقربائه، كلما سمحت الظروف بذلك في وقت مناسب.

وعلى هذا فالأصل في الأعمال الطبية هو الحصول على رضا المريض تطبيقاً لقاعدة حرية المريض في العلاج، وأن أعمال التدخل دون الحصول على رضاه في حالات الضرورة تعد استثناءً من هذا الأصل، لا يجوز التوسيع فيه ولا القياس عليه.

فرضاء المريض في مجال زرع الأعضاء البشرية هنا أمر لا غنى عنه، بقالة ما تحلوي عليه عمليات زرع الأعضاء من خطورة بإعتبارها عملية جراحية خطيرة لها آثارها المستقبلية.

وتفت النظر إلى أن مجرد دخول المريض المستشفى لا يُعد رضاً مُقدماً بكل أنواع العلاج التي تجري له أو أعمال التدخل الجراحي^(٢)، فقيام الجراح بإجراء جراحة زرع عضو لمريض دون الحصول على موافقته أو موافقة من يمثله قانوناً يجعله مسؤولاً جنائياً بإعتبار ذلك اعتماده من الجراح على حق المريض في سلامته جسمه، ورضاء المريض^(٣) أو من يمثله قانوناً لا يطلق يد الجراح أو يغفر له من المسؤوليتين الجنائية والمدنية إذا لم يلتزم بأصول وقواعد مهنة الطب.

وهنا نفرق بين حالتين:

الأولى : وهي عدم الحصول مطلقاً على رضا المريض أو من يمثله، فيسأل الطبيب هنا عن فعل عمدي غير مشروع.

الثانية : إذا حصل على رضا المريض أو من يمثله، ثم حدث خطأ طبي أثناء عمله بدون تدليس منه، فإن هذا الرضا يجعل مسؤولية الطبيب منتقية عن هذا الخطأ إذا كان من النوع العادي المتوقع^(٤)، ولكن الصعوبة تدق عندما يرفض المريض صراحة التدخل الطبي لزرع عضو

(١) قارن مع هذا محكمة استئناف تيم، حيث قضت بمسؤولية الجراح لأنَّه أثناء مباشرة عملية جراحية، رضي بها المريض، اكتشف وجود داء يتطلب إجراء عملية أخرى فأجري هذه العملية دون الحصول على موافقة المريض مقدماً.

(٢) Garrand pr. laborde et al. : " le Role de la volonté du médecin et du patient quant au traitement medical et à l'intervention Chirurgicale ", rev. général du droit de la législation et de la jurisprudence 1926, p. 130

(٣) يفرق الأستاذ الدكتور عبدالمجيد مطهوب بين الرضا والإختيار يقوله: « الرضا هو قبول الشيء والإرتياح لفعله والرغبة إليه، والإختيار هو التفضيل إتي مقدر متعدد بين الوجود والعدم لترجح أحد الجانبين على الآخر » أصول الفقه الإسلامي ، المطبعة الثانية، دار النهضة العربية ١٩٩٦ م من ٥٤٥ وما يليها .

(٤) د. زياد الحانفي: المظاهر القانونية لعمليات نقل وزرع القلب والتصرف بأعضاء الجسم البشري، المجلة الجنائية القومية، العدد الأول – المجلد الرابع عشر مارس ١٩٧١ ص ٢٥ .

له فما هو الموقف تجاه ذلك ؟

بداية فإن مسؤولية الطبيب تقضي عن الآثار الضارة التي يمكن أن تحدث للمريض، ولكن في حالة ما إذا كان التدخل الجراحي لنقل العضو ضرورياً، ويقدر المريض المسؤولية، فعلى الطبيب كي يتخلص من المسؤولية مرحلتان :

- الأولى : محاولة إقناع المريض وذوي قرينه بأهمية التدخل الجراحي.
- الثانية : إثبات رفض المريض كتابة^(١).

مدى انتهاق حالة الضرورة المتوفرة في حق المريض على امكانية زرع عضو بشري له :
حالة الضرورة لا تسمح كمبرر لإجراء عمليات نقل وزرع الأعضاء البشرية، سواء توافرت في حق المريض أو توافرت بحق الطبيب، فبالنسبة للمريض حالة الضرورة تحدث له وحده، فلا يكون من الجائز أخذ عضو من أي شخص عنوة لإنقاذ هذا المريض .
وبالنسبة للطبيب، فكما سبق أن أوضحنا، أنه من الصعب توافر حالة الضرورة بالنسبة له باعتبار وظيفته ومكانته كمنتظر لتلقي الحالات الخطيرة بصفة عامة .

ولكننا نري وبحق مع البعض^(٢)، أنه إذا توافرت حالة الضرورة للمريض وتصادف وجود منقول منه توافرت بشأنه شروط الرضا المعتبر قانوناً، ففي هذه الحالة يمكن للطبيب إذا قدر خطورة حالة المريض، وأن إنقاذه يتوقف على نقل العضو إليه، فيمكن الاستفادة عن موافقة المريض على إجراء عملية الزرع ويجريها بلا مسؤولية .

أما شكل رضا المريض وطبقاً للقواعد العامة في المجال الطبي، فإنه لا يلزم شكل معين لرضا المريض بالعلاج أو بالعمليات الجراحية؛ ففي مجال عمليات زرع الأعضاء البشرية: يلاحظ أن التشريعات المنظمة تحدثت عن شكل رضا المنقول منه وضرورة أن يُصب في قالب كتابي أو يأجراء زائد على الكتابة، ويرجع ذلك إلى خطورة الوضع بالنسبة للمعفى، فهو متضرر على أية حال ولابد من وجود حماية تشريعية لضمان صدور رضا صحيح منه^(٣).

ويختلف الحال بالنسبة للمريض، فلم تمنع التشريعات المختلفة أهمية لهذا الرضا بتحليل شكل معين يُفرغ فيه باعتبار أنه مستقيد من عملية الزرع على عكس المنقول منه.

إلا أن ذلك في رأينا لا يمنع من وجوب اشتراط الكتابة كشكل لرضا المريض، بقالة ما تطلوي عليه هذه العمليات من خطورة حتى بالنسبة للمريض، فإذا كان المريض في حالة تسمح له بإعطاء

(١) Bass Civ . 22 Jour 1967 , Bd NO . 49 (١)

Gass . Civ . Tinov , 1961 , D1962 = 72 -

(٢) د. رياض الخاني - مرجع سابق - بند ١٢ من ٢٥ من د. أحمد الكتيري - الرسالة السابقة من ١٥١ .

(٣) راجع ما سبق بحثه بشأن رضا المنقول منه لإجراء عمليات نقل وزراعة الأعضاء البشرية .

المواقة الكتابية، فإن ذلك يكون الأفضل، وقد ذهبت إلى ذلك فعلاً بعض التشريعات^(١) حيث اشترطت هذه الأخيرة أن يكون رضاء المريض كتابة وأن يتم أمام شهود.

أحوال رضاء المريض :

وفقاً للقواعد العامة فقد يكون الرضاء الصادر من المريض صريحاً أو ضمنياً أو مفترضاً، فالرضاء الصريح هو الذي يصدر عن المريض بأية صيغة تعبّر صراحة عن قبوله التدخل الجراحي بزرع المضوله .

والرضاء ضمني هو الذي يستفاد من ظروف الحال والذي يدل على موافقة المريض على التدخل الجراحي لزرع عضوله .

والرضاء المفترض هو رضاء المريض إذا كانت حالته الصحية لا تسمح له بإعطاء رضاء صريح أو ضمني وكانت حالته من الخطورة بحيث تستلزم التدخل الجراحي^(٢) .

وقد ذهب رأي^(٣) إلى أنه من الصعوبة الإعتداد بالرضاء المفترض للمريض في مجال عمليات نقل الأعضاء نظراً لخطورتها وحداثتها وعدم سيطرة الجراحين على المخاطر - التي تنشأ عنها وعلى هذا فيجب أن يكون الرضاء الصادر من المريض صريحاً ومحدداً .

إلا أتنا مع اتجاهنا إلى تقييد عمليات نقل وزرع الأعضاء بحصرها في الأحوال الضرورية التي تستلزمها وبشروط محددة، تؤيد بعض الفقه^(٤) في أنه لا مانع من الأخذ بالموافقة المفترضة مراعاة لحالة المريض الذي يكون في حالة مرضية خطيرة تقاد تؤدي به إلى ال�لاك ولا يستطيع الافصاح عن رأيه بنفسه ولا من له الولاية عليه، أو من ذوي قرابة لإعطاء الرضاء المطلوب، فهنا لا يوجد ما يمنع من افتراض الرضاء مراعاة لظروف المريض، وبقالة أنه لا يوجد أفضل من التدخل السريع لإنقاذه خاصة إذا توفر العضو المطلوب نقله إليه .

أما إثبات رضاء المريض، فإن القاعدة العامة لإثبات رضاء المريض عن أعمال التدخل الطبي العلاجي والجراحي تقع على عاتق المريض . وأكيدت ذلك محكمة النقض الفرنسية^(٥) ، غير أن الوضع يختلف في مجال عمليات نقل وزرع الأعضاء لطبيعتها الخاصة، فإنها تحتاج إلى نوعية خاصة من الأحكام تختلف عما يحكم الأعمال الطبية العلاجية، فهنا بقالة أن هناك مساساً

Fougeux (J.C) et py (J) A propos des greffes du coeur : garanties in – dis – pensables pour les greffes d'organes (١) , Gaz. Pali. 1968 p 85

(٢) د. عوض محمد - قانون العقوبات القسم العام - دار المطبوعات الجامعية - الإسكندرية ١٩٨٥ بند ١٦٦ من ١٩٧ .

(٣) د. أحمد شوقي أبوخطوة، المرجع السابق من ١٥٠ .

(٤) د. أحمد عبد الله الكندي - الرسالة المسابقة من ١٥٣ .

(٥) نقض مدني ١١ يناير ١٩٦٦ - ٢٦٦ وراجع أيضاً ١١ مايو سنة ١٩٦٦ - ٦٢ - ٧ يوليو اللوز ١٩٦٤ - ٦٢٥

بجسم المريض خروجاً على مبدأ الحق في سلامة الجسم وتكامله الجسدي، فيكون عبء الإثبات على الطبيب المتدخل بإثبات وجود الموافقة على إجراء عملية الزرع في الأحوال التي تستلزم الحصول على تلك الموافقة^(١)، وأرى أن هذا الرأي هو الأنسب في إثبات رضام المتنقى في عمليات زرع الأعضاء بما تشكله تلك العمليات من خطورة وآثار مستقبلية لا يمكن التنبؤ بكثير منها على صحة المريض متنقى المعضو.

Charef El Dien (A) La droit de la transplantation d'organes , études Comparative, these, paris , 1975 , p.185 (٦)

المطلب الثالث: ضرورة أن يكون رضاء المريض حراً

كي يصدر الرضاء صحيحاً مُنتجأً لإثارة القانونية في مجال العقود بصفة عامة، والعقد الطبيعي خاصة، فلابد أن يصدر دون إكراه يؤثر في إرادة المتعاقدين.

والمريض حين يقبل بالعلاج، فإن قبوله لابد وأن يكون حرّاً خالياً من الإكراه، باعتبار أن هذا الرضاء يصدر في مجال التعاقد مع الطبيب المعالج على علاجه.

ومن النادر تصور حدوث إكراه في مجال العقد الطبيعي من جانب الطبيب، فالطبيب لا يرغّم المريض على قبول العلاج، بل إن المتعاقدين هما أن المريض هو الذي يلتجأ إلى الطبيب لعلاجه، ومع ذلك فإن أي إكراه يقع من جانب الطبيب على المريض يعيب العقد ويجعله قابلاً للإبطال^(١).

والإكراه الذي يؤدي إلى تسيب إرادة المريض قد يحدث من الطبيب المعالج كما قد يحدث من الغير والذين هم في الغالب أقرباء المريض.

وعلى ذلك فلابد من أن يصدر رضاء المريض حرّاً بقبوله العلاج أو التدخل الجراحي بقالة: أنه يملك حرية الاختيار، أنه يملك تحديد ما تستوجبه مصلحته وهذا فضلاً عن أنه الوحيد الذي يملك تقدير ضرورة التضحية بسلامة جسمه من عدمه.

لذا تكون فكرة الوصاية الطبية على المريض التي نادى بها فقه الإحتكار الطبي مرفوضة، وكذلك ما ذهب إليه البعض من أن العقد الطبيعي نوع من عقود الإذعان حتى لو قبله المريض، فإنه يخضع لما يراء الطبيب مناسباً لحالته الصحية، فحرية المريض تقتصر على مجرد اختيار طبيبه، ومن بعد هذا الاختيار فإن المريض يجب أن يوضع تحت وصاية الطبيب الذي يستقل باتخاذ القرارات العلاجية أو الجراحية^(٢).

(١) د. عبد الرحيم مأمون: عقد العلاج بين النظرية والتطبيق - دار النهضة العربية - القاهرة ص ٢٢ - ٢٤ ، وأنظر في ذلك حكم محكمة جنایات الإسكندرية في ١٩٤١/٢/٢٥ في القضية رقم ٢٢٤٠ لسنة ٣٨ والتي تتلخص وقائعها في: «قام شخص بعرض زوجته على أحد الأطباء للكشف عليها، ولكنها رفضت قيام الطبيب بذلك، فهددها الزوج بالطلاق إذا لم تقبل، وأفهمها أن الطبيب سيطليها حثالة فقط، ولكن الطبيب أعطاها حثالة مخدرة جعلتها في غيبوبة، ولما أخفقت من ذلك وجدت أن هناك دمًا يسيل من رحمها حيث أفهمها الطبيب أنه أجهضها، وقد قالت المحكمة في هذا الحكم « حيث أن القاعدة المسلم بها ثقهاً وقضاءً، أنه يجوز للطبيب قياماً بوظيفته المرخص له بما فيه سبيل المحافظة على صحة أفراد المجتمع واتخاذ ما يلزم من وسائل التطبيب بقصد علاج المرض شرطه أن يرضى المريض بهذه الوسائل رضاً غير مشوب وأن يعاشر عمله في حدود قواعد المهمة الطبية، فإذا خالف هذه المسئل أصبح متهمًا لجاريها مسؤولًا عن تعويض الأضرار التي نشأت عن فعله، وحيث أن الدكتور أجري الكشف على المجنى عليهما بغير رضاها أو على الأقل تحت تأثير مخدر، وكشف عليها بمتناه في حالة يتحمل معها أنها حامل مع علمه بهذا الإحتمال وقد تربت على تصرفه هذا أن حصل لها نزيف ثُقلت بسببه إلى المستشفى وطلبت منه زماناً أجري لها فيه تقويم رحمها، وهو بهذا التصرف يُعد خارجاً على قواعد المهمة وواجباته كطبيب».

(٢) انظر : Dr. Pomes : *Archéreche d'une medecine* , p. 156 cite parpedel : op . ci . no 48 , p 89 .

وإذا كان ذلك هو الحال في التدخل الطبي والجراحي العادي، فإن الأمر يختلف في عمليات نقل وزراعة الأعضاء، فيكون الرضا المطلوب هنا مطلباً أساسياً لا غنى عنه بقالة : خلورة تلك العمليات وأثارها التي تطال الحاضر والمستقبل، وارتفاع تكاليف إجراء مثل تلك العمليات بحيث يستحيل على المريض غير قادر تحملها، لذا فإن إكراهه على عملها تكليف له بما لا يتحقق^(١).

(١) إلا أن عمل الطبيب قد يكون مشروعأً رقم معارضته الطبيب إذا كان يستند في تدخله الطبي والجراحي على القانون الذي خوله سلطه القيام به دون إعتماد على إرادة المريض، كما في حالات خطر الأوبئة والتعطيم أو في حالات علاج الجنود وخاصة في فترات الحروب، راجع: د. أحمد الكتيري – الرسالة السابقة من ١٥٥، ويرجى حدث حالياً في العالم أجمع وفي مصر خاصة أن وزارة الصحة تطعم الحجاج (مع رفض البعض) خوفاً من انتشار مرض إنفلونزا الخنازير (H1N1) والذي يحتاج العالم حالياً خشبة من تقاضمه .

المطلب الرابع: أهلية المريض

الفرع الأول: أهلية المريض من الناحية القانونية

القاعدة العامة في مجال العقود، أنه لا يكفي أن يكون التراضي موجوداً وإنما لابد أن يكون صحيحاً، وهو لا يكون كذلك إلا إذا كان صادراً من شخص ذي أهلية ولم تكن إرادته مشوهة بعيوب الإرادة^(١).

وفي مجال العلاج الطبي فإن الموافقة على العلاج لابد أن تصدر من المريض شخصياً، أما الموافقة التي تصدر من الغير فهي غير صالحة مادام لا يوجد سبب يبرر اللجوء إليها، مثل حالات فقد المريض أهليته لجنوب أوعنه أو صغر سن، أو أن يكون المريض كاملاً لأهليته، ولكنه يمر بحالة صحية تجعله غير قادر على اتخاذ القرار المناسب، ففي مثل هذه الأحوال يمكن أن تصدر الموافقة من الغير.

وعلى هذا إذا كان المريض كاملاً لأهليته لكونه بالغاً راشداً متعملاً بقواء العقلية، فإن رضاوه بالخصوص لعملية زرع عضوله لا يثير ثمة مشكلة، أما إذا كان عديم الأهلية^(٢)، فإنه لا أثر لموافقته في هذه الحالة، إذ لابد من صدور الموافقة ممن له الولاية عليه.

وهنا يثور التساؤل عمن يثبت له حق الموافقة على علاج المريض فاقد الأهلية بزرع عضوله؟ للإجابة عن هذا التساؤل يلزم التفرقة بين حالات انعدام الأهلية بسبب قانوني^(٣)، وحالات انعدام الأهلية الفعلي^(٤).

فهي حالات إنعدام الأهلية القانونية: تكون الموافقة ممن له سلطة قانونية عليه، وهو الأب

(١) د. عبد الرزاق الشهوري، الوسيط: شرح القانون المدني، نظرية الالتزام بوجه عام، المجلد الأول (المقد) ٢٤٠، ويمثل عدم الأهلية القانونية في صغر السن أو وجود آفة في العقل، وفي هذه الحالة لا يمكن الإعتماد بالرضا الصادر من عديم الأهلية لصغره أو لجنونه في مجال عمليات تقل وذرع الأعضاء البشرية، غير أنه إذا كان القاصر مأذوناً له بادارة أمواله، فيصبح بذلك مأيداً على جسمه، ومن ثم يستطيع وحدة اتخاذ القرارات التي تتعلق بصحته، أما إذا كان غير مأذون له، فيترت الأمر للأصل العام بعدم الإعتماد بإرادته، وكذلك الأمر بالنسبة للمجنون، فإذا كان جنونه مطبقاً، فلا يعتد بإرادته، أما إذا كان جنونه غير مطبيق (أي تختاله فترات إفاقة)، فيجبأخذ رأيه ورضاه في وقت إفاقةه فقط (أي الوقت الذي يكون فيه مثمناً بقواء العقلية)، بينما يمثل عدم الأهلية الفعلية في المرض الذي يُقدم صاحبه عن إصدار رضاء صحيح، كأن يكون في غيبوبة مثلاً، أو أن حاليه حرجة بصورة تؤثر في قدرته على وزن الأمور ووضعيها في تصابها الصحيح، مما يعيق رضاه، بحيث لا يعتد به في حالة زرع عضو بشري لعلاجه.

(٢) عدم الأهلية نوعان: قانوني له أسباب محددة، وفيلي يكون بسبب مرور المريض بظروف صحية لا يستطيع فيها التعبير عن إرادته.

(٣) من حالات انعدام الأهلية بسبب قانوني: الصغر في السن، وجود آفة بالعقل.

(٤) من حالات انعدام الأهلية بسبب فعلي: المرض الذي يُقدم صاحبه عن إصدار رضاء صحيح يعتد به القانون.

الذي له أن يتخذ القرارات التي تتعلق بصحة القاصر، وكذلك الحال بالنسبة للقاصر غير المأذون له بإدارة أمواله، وفي حالة عدم وجود الأب فإن الموافقة تكون للوصي القانوني على الطفل .
وإذا كان عدم الأهلية لجنون، فتؤخذ موافقة القيم على المريض بصفة دائمة، إذا كان جنونه مُطبيقاً، أما إذا كان جنونه غير مطبق (أي تخلله هنرات إفاقية) فيجب أخذ رضاء المريض في حالات الإفاقية التي يتمتع خلالها بكمال قواه العقلية^(١).

وفي حالات إنعدام الأهلية الفعلية :

إذا كان الأمر جلياً في حالات عدم الأهلية القانونية، بقالة أن القانون حدد في مثل تلك الأحوال من له حق الموافقة على علاج المريض، وهو بهذا يعتبر ممثلاً القانوني، إلا أن الأمر يدق هنا حيث أن الشخص المريض مُنعدم الأهلية^(٢) ولا يوجد له ممثل قانوني .

وهنا يحسن بنا أن نفرق بين حالتين :

الأولى : في الأحوال العادلة مع وجود الأقارب : وقد أخذ قانون أخلاقيات مهنة الطب في فرنسا بمصطلح الأسرة، وقد طبقته المحاكم الفرنسية بمعنى واسع؛ فتطلب موافقة من تربطهم بالمريض رابطة القرابة أو المعاشرة أو المحبة، يكتفي بموافقة هؤلاء الأقارب .
وذهب البعض إلى أن الموافقة هنا لا تكون على أساس القرابة، وإنما على أساس ما يقدمه الممثل الفعلي من خدمات للمريض، فقد يكون هناك أقرباء للمريض ولكنهم أبعد عن المريض من الناحية المعملية^(٣).

في حين ذهب البعض الآخر إلى أخذ الموافقة من أقرباء الدم، كالأخ أو الجد في حالة وجودهما، أو من يختارونهم في حالة عدم وجودهما، أو الشخص الذي كان المريض قد حدد من

(١) ولقد تثار التساؤل عن إمكان الاعتداد بالرضاء الصادر من الزوجة ياجراء عملية زرع عضولها بالرغم من معارضة الزوج من المعلوم أن الزواج لا يعني شانزل الزوجة عن حقها في سلامتها جسدها، فتيقني هي مصاحبة الرأي في مسألة المساس بجسمها ولا يحق للزوج إكراهاها على قبول نوع ما من العلاج أو منعها من علاج تراه هي لازماً لحالتها، ويمكن أن يكون لرضاء الزوج قيمة في حالة ما إذا كانت الزوجة غير قادرة على التعبير عن إرادتها لوجود أحد المعارض القانونية أو الفعلية سالفة البيان.

(٢) وذلك على عكس المنقول منه مُنعدم الأهلية، فلا يجوز القانون موافقة وإله أؤمن بمعنده قانوناً .
وبهذا تتحقق المادة الخامسة من المشروع بقانون نقل ورعاية الأعضاء البشرية المصري المنتظر إصداره الأيام القليلة القادمة، إن شاء الله تعالى، على أن لا يجوز نقل الأعضاء، أو أجزاء منها أو أنسجة من عديمي الأهلية أو ناقصيها، ولا يُعتقد في هذا الصدد برضاء المنقول منه أو بموافقتة من يمثله قانوناً .
ولذلك - حال صدور هذا المشروع بقانون - لن يكون لهذا التساؤل أية أهمية، لأن النص سالف الذكر منع مثلاً نقل الأعضاء أو أجزاء منها أو أنسجة من عديمي الأهلية أو ناقصيها، هذا فضلاً عن أنه لن يُقدر برضاء المنقول منه أو بموافقتة من يمثله قانوناً حال كونه عديم الأهلية .

Shari'ah , Dine (A) , op cit , No 285 , p 2410 (٢)

قبل^(١)، والذي نرى أنه إذا كان المريض قد فوض من قبل شخص ما لاتخاذ القرار بشأن علاجه، فيجب� احترام إرادة المريض، أما إذا لم يكن هناك مثل هذا التقويض، فعصابات الشخص هم الأجرد باتخاذ قرار علاجه بزرع عضوله، بداع علاقة الدم التي تربطهم به وتجعلهم أحقرن القائم على مصلحته، إلا أنه إذا كان المريض متزوجاً، فيجب أن يؤخذ في الإعتبار موافقة الزوج على العلاج بزرع العضو، بقالة أن الحياة الزوجية تقوم على المودة والرحمة والشراكة في الحياة، وقد يقدر الزوج أو الزوجة بحسب الأحوال ظروف شريك حياته من الناحية الصحية بشكل أفضل من غيره، وإذا اختلفت آراء عصابات الشخص مع رأي الزوج، فيُعتقد هنا برأي الزوج.

الثانية : في أحوال الإستعجال : هنا يصبح الطبيب هو الممثل الطبيعي إذا لم يستطع الاتصال في وقت مناسب بأقاربها باعتبار مصلحة المريض، لأنه لو كان في حالة إفاقة لوافق على تدخل الطبيب لعلاجه بزرع العضو الذي يحتاجه .

وكذلك فالطبيب يكون هو الممثل الطبيعي للمريض إذا جاء في أحوال عادلة، ولا يُعرف له أقارب يبدون الرأي في علاجه بزرع عضوله، وهذا هو الرأي الذي نراه في مثل تلك الأحوال استناداً إلى الواجب الملقي على الطبيب بضرورة تقديم المساعدة إلى المريض إذا كان في حالة خطر.

الفرع الثاني: أهلية المريض من الناحية الشرعية

أخذت الشريعة الإسلامية بأحكام الولاية على النفس بقيام الولي أو الوصي باتخاذ القرارات العامة التي تخصل ناقصي الأهلية، سواء لصغر سنها أو لوجود عارض من العوارض التي تتضمن أو تُعدم الأهلية .

والولي على النفس هو الذي يملك أن يصدر الرضا باعتباره الأقدر فعلاً وشرعياً علي تقدير مصلحته وحمايته، وثبتت الولاية على النفس على الصغير والمجنون والمعتوه، وتنتهي بالنسبة للصغير ببلوغه سن الرشد، وبالنسبة للمجنون والمعتوه برفع الحجر عنه لشفائه وقدرته على التصرف في حياته .

وقد اختلف الفقهاء في تحديد السن التي تنتهي عندها الولاية على النفس للصغير، فقد ذهب المذهب الحنفي إلى أن البلوغ الذي ينتهي الولاية على النفس يكون بلوغ النكاح، وهو على الأقل تسعة سنوات لفتاة واثنتا عشرة لفتى، وتنتهي للمجنون بالإفقاء، وتنتهي باستمرار الجنون، وإذا كان متقطعاً، فالولاية قائمة في فترات الجنون وتزول في أوقات الإفقاء، لكن هنا إذا بلغ الصغير سن الرشد وهي على الأرجح لدى جمهور الفقهاء تقدر بخمسة عشر عاماً، فإنه يستقل باتخاذ القرار

(١) د. عبد الرحيم مأمون، عقد العلاج الطبي، مرجع سابق ص ٤٥ .

الملائم له من ناحية العلاج الواقع عليه، بقالة أن العلاج يُعد مظهراً لحرية هذا المريض^(١). ونرى مع بعض الفقه^(٢)، أن هذه السن بالنسبة للمريض قد يكون خلالها على قدر غير مناسب من الفهم والإدراك لعمليات زرع الأعضاء، وقد يكون متوفراً لديه هذا القدر، والأمر هنا يرجع إلى الطبيب في كل حالة على حدة، بقالة أن تلك مسألة موضوعية، والطبيب يكون الأقدر على فهمها واتخاذ القرار المناسب بشأنها لقرابة من المريض، في هذا الوقت، فإذا كان المريض القاصر طبقاً للقانون والبالغ طبقاً للشرع على دراية وفهم كافٍ، فيكتفي برأيه، أما في غير ذلك فلا بد منأخذ موافقة ولديه الطبيعي وهو الأب أو الجد على التدخل لزراعة العضو له. ومن ناحية ثانية فمن الأفضل أن يصاحب موافقة المريض الذي بلغ سن الرشد شرعاً وهو ١٥ سنة على عملية زرع العضو وجود موافقة من ولديه الشرعي، بقالة خطورة تلك العمليات ومhetenة عدم القدرة الكاملة على إدراك مدى الاحتياج لها من المريض صغير السن، وإذا بلغ المريض سن ١٨ سنة، فيكون الغالب قدرته على الفهم والإدراك الكاملين اللذين يؤهلانه لاتخاذ القرارات المناسبة في حياته بصفة كاملة، فيمكن له هنا الإستقلال بإتخاذ القرار في عملية علاجه بزرع عضوه، إذا لم يكن به عارض من عوارض الأهلية بخلاف السن.

(١) الشيخ محمد علي البار: حول مسؤولية الأطباء - مجلة الأزهر - المجلد ٢٠ - ١٣٦٨ - ٥١ .

(٢) د. أحمد الكتيري - الرسالة المسابقة من ١٦٠ .

المبحث الثالث

عدم تعارض عمليات نقل وزراعة الأعضاء البشرية مع النظام

العام والأداب العامة

تطلب عمليات نقل وزرع الأعضاء البشرية، فضلاً عن توافر رضاء المنقول منه ورضاء المريض بشروطهما سالفة الذكر، أن تجري في إطار من قبول النظام العام والأداب العامة لها، فقد يرضى المنقول منه ويرضي المريض رضاءً تماماً بإجراء عملية النقل من المنقول منه والزرع في جسم المريض لعضو من الأعضاء البشرية، بشرط لا يصطدم مع النظام العام والأداب العامة في المجتمع، ومن ثم يفقد هذا الرضاء من الجانبين أثره^(١)، ويصبح غير ذي هائلة لعدم موافقته للنظام العام والأداب العامة، فالرضاء يتجرد من كل قيمة في الحدود التي يمتد إليها حق المجتمع، فيظل هذا الإعتداد خاصاً للتجريم.

حق الإنسان في الحياة وفي سلامته جسمه^(٢)، مُقيد بحقوق الجماعة التي يعيش فيها، وبالقوانين التي تضعها الدولة للصالح العام، لذلك – كما يقرر البعض^(٣) – تُعتبر القوانين التي تحمي حق الإنسان في سلامته جسده هي قوانين متعلقة بالنظام العام.

لذا فقد إرتقينا أن نتناول موضوع عدم تعارض عمليات نقل الأعضاء البشرية مع النظام العام من خلال استعراض مختصر لفكرة النظام العام والأداب العامة، ثم تطبيق هذه الفكرة على عمليات نقل وزرع الأعضاء البشرية، وذلك في مطلبين، كالتالي :-

المطلب الأول: ماهية فكرة النظام العام والأداب العامة

النظام العام فكرة تستعصي بطبيعتها على التحديد الدقيق، إلا أنه يمكن القول أن النظام العام هو: «مجموعة الأفكار والمبادئ الأساسية التي يقوم عليها كيان المجتمع في أنظمته المختلفة قانونية وسياسية واجتماعية، والتي تُعبر عن مصالحه الأساسية»، فكل نظام من الأنظمة السابقة يقوم على عدد من الأفكار والوجهات التي على ضوئها يمكن تحديد المسار أو الإتجاه

(١) يقرر د. أحمد شوقي أبو خطوة: «أنه لا يُعد مخالفًا للنظام العام رضاء المنقول منه بالتنازل عن جزء من جسمه لزرعه في جسد المريض، متى كان يستهدف تحقيق فرض علاجي وهو شفاء المريض وإنقاذ حياته، فإن الهدف العلاجي يُعتبر هنا بمثابة سبب لرضاء صحيح يُعد به كسب إباحة»، وقد أشار إلى:

Hemard (j) le consentement de victime dans le délit de corps et blessures, In rev. critique de législation et de Jusprudence 1939 p no 15 , p. 300

راجع لسيادته - المرجع السابق من ١٢٢ .

(٢) د. محمود تجيب حستي، الحق في سلامه الجسم، مرجع سابق من ٢٥٧ .

(٣) د. أحمد شوقي أبو خطوة: القانون الجنائي والطب الحديث، مرجع سابق من ١٣١ .

الذي يسلكه هذا النظام .

فمثلاً كل مجتمع له نظام قانوني خاص به من خلال دراسته يمكن الوقوف على عدد من المبادئ والاتجاهات أو النظريات التي تحكمه، بحيث يمكن القول أن هناك اتجاهًا معيناً يميزه. ففي مجال التعاقد قد يأخذ نظام قانوني بإطلاق حرية الأفراد في ذلك وعدم التدخل إلا في أحوال استثنائية بحثة، بينما في نظام آخر تُقيّد فيه حرية الأفراد في مجالات معينة بل قد تنتهي في مجالات أخرى .

وينطبق الأمر نفسه على المجالات الأخرى وسائر الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية وغيرها .

ومن مجموع هذه الأفكار وتلك المبادئ التي تهيمن على هذه الأنظمة، والتي تُعد دعائم لها يتكون النظام العام الذي يتمتع بمراعاته وعدم مخالفته^(١) .

أما الآداب العامة فهي : مجموعة من القواعد الأخلاقية التي تدين بها الجماعة في بيئه معينة وعصر معين ، فهي تعتبر الشق الخطي من فكرة النظام العام، وهي لا تضم كل قواعد الأخلاق بل تضم مجموعة القواعد الأخلاقية التي تمثل الحد الأدنى الذي لا يمكن قبول النزول عنه .

وهذه الفكرة بشقيها (النظام العام والأداب العامة) فكرة مرنة ومتطرفة وتختلف بذلك في تطبيقها زماناً ومكاناً من نظام إلى آخر .

فمن تضييق في النظم الفردية التي تومن بحرية أكبر للفرد، وإتساع في النظم الإشتراكية التي تضع مصلحة المجموع في المقام الأول وتضحي في سبيلها بالمصلحة الفردية، وهذه الفكرة بشقيها - ولعدم تدوينها بما تتضمنه من مصالح - يقع على قاضي الموضوع عبء استخلاص وتحديد ما يُعد من النظام العام والأداب العامة بمعايير موضوعي لا شخصي، خاصعاً في ذلك لرئاسة محكمة النقض، لأن النظام العام والأداب العامة عبارة عن أفكار واحدة داخل نطاق الدولة الواحدة.

تطبيقات فكرة النظام العام :

القواعد القانونية المتعلقة بالنظام العام نجدتها في كل فروع القانون سواء القانون العام أو القانون الخاص.

فلو أخذنا القانون الدستوري مثلاً، لوجدناه يُطل كل اتفاق يتنازل بمقتضاه الشخص عن حقه الانتخابي مقابل مبلغ من المال أو إعطاء صوته لرشح معين مقابل هذا المبلغ .

(١) د. أحمد الكتيري - الرسالة السابقة من ١٦٤ ، د. إبراهيم النسوقي أبوالليل: أصول القانون - دار النهضة العربية بالكويت، مؤسسة الصياغ من ٢٤ .

وفي القانون الإداري يعتبر متعلقاً بالنظام العام كل ما يتصل بالوظيفة العامة، فلا يجوز مثلاً النزول عنها مقابل مبلغ من المال، وكذلك فالقانون المالي أو الضريبي يُبطل كل اتفاق يقصد منه التهرب من أداء الضريبة.

وفي القانون الخاص توجد كثير من قواعد النظام العام، وخاصة القواعد المتعلقة بالأحوال الشخصية، باعتبارها تتعلق بتحقيق مصلحة عامة، ولهذا يقع باطلًا كل اتفاق على تعديل حالة الشخص المدنية وعلاقته بأفراد أسرته.

ولا تخلو قواعد المعاملات المالية من وجود قواعد تتعلق بالنظام العام، رغم طبيعة تلك المعاملات الخاصة، كالقواعد التي تتحقق الحماية للطرف الضعيف في العقد.

ويلاحظ أن قواعد النظام العام أكثر في القوانين العامة منها في القوانين الخاصة، لأن القوانين العامة تحمي مصالح أساسية للمجتمع بعكس القوانين الخاصة التي يقصد بها في الغالب تنظيم المعاملات الشخصية.

وفي النهاية فإن كل اتفاق يخالف النظام العام يعتبر باطلًا بطلاناً مطلقاً، كما أن البطلان المطلق يطال أيضاً كل اتفاق يخالف الآداب العامة، كالاتفاق على إقامة علاقة جنسية غير مشروعة^(١) في بلد إسلامي.

المطلب الثاني: تطبيق فكرة النظام العام والأداب العامة على عمليات نقل وزرع

الأعضاء البشرية:

يُعد مبدأ حماية جسم الإنسان من الاعتداء عليه من النظام العام، لأن حماية الجسد البشري أمر يتطلب الصالح العام، والأصل هو عدم جواز تصرف الشخص في سلامة جسمه، فلا يُعد برضاء الشخص كسبب إباحة في أفعال الاعتداء على سلامة الجسم.

إلا أن الحق في سلامة الجسم كما سبق وأن ذكرنا له جانبان: أحدهما يخص الفرد ذاته والآخر يتعلق بمصلحة المجتمع، فإذا وقفت المساس بسلامة الشخص عند الجانب الفردي، فإن ذلك لا يُعد مخالفًا للنظام والأداب العامة، مadam الهدف من المساس علاجياً، كما لا يُعد برضاء المنقول منه بالتنازل عن عضو من جسمه بغرض إنقاذ شخص آخر من الهلاك.

وعلى ذلك فرضاء الشخص بأي مساس بسلامة جسده يطال الجانب الذي يتعلق بمصلحة المجتمع يُعتبر باطلًا لتعارضه مع قواعد النظام العام ويُخضع للتجريم^(٢).

(١) د. عبد القائم فرج الصدّه: مبادئ القانون - دراسة خاصة لطلبة كلية التجارة - دار النهضة العربية - بيروت، ١٩٧٧ ص ٥٩ - ٦٢ . د. أحمد الكドري - المرجع السابق من ١٦٦ .

(٢) د. محمود نجيب حسني: الحق في سلامة الجسم، من ٢٥٧ .

وتطبيقاً لهذا : « أعتبرت الإصابة الناجمة عن الممارسة برضاء المطرفين إصابات عمدية ^(١) ، وكذلك اعتبرت جريمة يُعاقب عليها « قيام طبيب بإجراه جراحة بتر عضو لشخص بقصد تخلصه من أداء الخدمة العسكرية بناءً على طلب هذا الشخص » ^(٢) .

نخلص من هذا إلى أن حق الإنسان في الحياة وسلامة جسده، تحميها قوانين تتعلق بالنظام العام والأداب العامة، ولا يجوز مخالفتها، لأن ذلك يُعد تديناً على الجانب الاجتماعي للحق في سلامه الجسد الإنساني .

وكما سبق وأوضحنا، فقد قسم فقهاء الشريعة الإسلامية الحقوق إلى عدة أقسام، أساسها قسمان :

الأول : حقوق الله تعالى، والثاني : حقوق العباد، والفقهاء حين يتكلمون عن حق الله تعالى، إنما يقصدون من ذلك حق الجماعة ومصلحتها وحفظ النظام العام فيها، وهذا الحق بما أنه لا يخص الفرد، لهذا فإنه لا يملك إستئصاله ^(٣) .

لذلك لا يُعد برضاء المجنى عليه بالقتل والجرح لتعلق ذلك بالمصلحة ونظامها .
أما إذا استهدف التنازل جزءاً من الجسم، فإن ذلك لا يتعارض مع النظام العام والأداب

(١) Pradal : *Droit penal général* , T.J 1981 précis No . 475 , p. 485

(٢) Dierkens : Op. cit . No 37 , p 32 Bardal : op . cit . p.166

ومن ذلك: قتل المريض برضاء يُعد قتلاً عمداً، أو إجراء الطبيب جراحة لاستئصال مبيض التناول عند المرأة بناء على رضاها ويفتر أن تستلزم حالتها الصحية ذلك، أو فعل الوزير المنوي لدى رجل وريشه، يكن جريمة عمدية يستحق عليها العقاب، وكل ذلك رغم رضاء المجنى عليه في حالة القتل أو في حالة الجراحات (J) Op. Cit

No 19 , p. 302

وراجع في مصر المادة رقم ١٥٧ من قانون الأحكام العسكرية التي تنص على عقاب كل من يُحدث بنفسه جروحاً أو عاهات بقصد التهرب من الخدمة العسكرية، وتنص المادة ١٥٨ من ذات القانون على أن: « يُعاقب الجندي الذي يشرع في قتل نفسه بالجنس، ويُعاقب الضابط بالطرد من القوات المسلحة ». راجع : د. أحمد الكتيري - المرجع السابق ص ١٦٧ .

(٣) د. عبد الرزاق السنوسي؛ مصادر الحق في الفقه الإسلامي، ج ٢ طبعة معهد الدراسات العربية - القاهرة ١٩٥٦ من ١٩، الشيخ محمد أبو زهرة، الجريمة والعقوبية في الفقه الإسلامي، دار الفكر العربي، ١٩٧٤ من ١٥٣ وما بعدها .

ويعقب الدكتور عبد القادر عودة على هذه التقريرة بقوله : « ومع أن الفقهاء يقسمون الحقوق إلى حقوق لله وحقوق للأفراد، إلا أن الكثرين منهم يرون بحق، أن كل ما يمس حق الجماعة الخالص أو حقوق الأفراد الخالص يُعتبر حقاً لله تعالى (أي من حقوق الجماعة ونظمها)، لأن كل حكم شرعاً إنما يُشرع ليُحتمل ويُطبّع، ومن حق الله على عباده أن يمتلأ أوامره ويجتنبوا نواهيه ويعملوا الشريعة، وكل حكم إذن فيه حق لله من هذه الوجهة، وإذا قيل أن حكماً ما يرقى حقاً مजراً للفرد، ففي ذلك كثير من التجاوز، ولا يُعتبر هذا القول صحيحاً على إطلاقه، وإنما يصح على تقييد حق الفرد في الأمور الشخصية، كذلك فإن ما يُعتبر حقاً خالصاً له يمس دون شك مصالح الأفراد، إما عاجلاً وإنما أجيلاً، لأن الشريعة إنما وضعت لتحقيق مصلحة العباد » .

راجع لميادته : التشريع الجنائي الإسلامي، مرجع سابق، ص ٢٠٦ .

العامة، مادام تحقق في هذا التنازل الشروط الآتية :-

الأول : أن يكون بدون مقابل .

الثاني : أن يستهدف التنازل تحقيق غرض علاجي .

الثالث : ألا يعيق هذا التنازل الشخص عن أداء وظائفه الاجتماعية .

فكرة النظام العام والأداب العامة في مجال عمليات نقل وزرع الأعضاء البشرية : أوضحنا سلفاً أن عمليات نقل وزرع الأعضاء البشرية يمكن أن يتحقق لها كافة الضوابط الالزمة لشرعها، إلا أنها مع ذلك لا تصح لإصدارها بقواعد النظام العام والأداب العامة . ويثور التساؤل عن إمكانية وضع معيار محدد بين عمليات نقل وزرع الأعضاء المموافقة للنظام العام والأداب العامة وتلك المخالفة لها ؟ أم أن ذلك المعيار صعب التحديد ؟ وعلى ذلك تُترك مسألة تحديد ما إذا كانت عملية نقل وزرع العضو موافقة للنظام العام والأداب عند التعرض لكل حالة على حدة .

ونري من جانبنا إقتداءً ببعض الفقه (١) أنه يمكن وضع معيار ثابت يُطبق في جميع حالات عمليات نقل وزرع الأعضاء البشرية، فتكون تلك العمليات صحيحة وموافقة للنظام العام والأداب العامة، إذا توافرت لها ثلاثة شروط هي :-

الشرط الأول : أن يقصد من عمليات نقل وزرع الأعضاء البشرية تحقيق هدف علاجي : بمعنى أن يكون الفرض من نقل العضو لزرعه في جسم شخص آخر هو علاج لهذا الشخص الأخير وإنقاذه من الهالك وليس هدفاً آخر، فالشخص الذي يجري عملية بتر لعضو من جسمه في سبيل التخلص من أداء الخدمة العسكرية يعتبر تصرفاً معارضًا للنظام العام، بقالة أنه لا يستهدف علاجاً (٢).

(١) د. أحمد عبدالله الكيندي - المرجع السابق - ص ١٦٩ .

(٢) ومن ثم لا يُعد من النظام العام، مجرد إجراء جراحة تجميل لشخص اعتماداً على عضو من شخص آخر، مادام الهدف منها إجراء تجميل للمنقول إليه العضو، أو إذا كانت عملية نقل العضو تستهدف مجرد زيادة قوة الشخص المنقول إليه أو تقوية قدراته الجسمانية، وقد عرّفت قضية طلبيب نزع من طالب يُدعى بول سلطانوري بعض غددة الجنسية برضائه مقابل مبلغ عشرة آلاف ليرة إيطالية وزرعها لرجل برازيلي يُدعى لايبوتا على طريقة فورنوف (vomoll)، ولكن محكمة نابولي الجزئية قضت ببراءته، استناداً إلى أنه لم يحصل من جراء هذه العملية ضرر للطالب وقررت أن هذه العملية مشروعة، لأن رضاء المجنى عليه يُعتبر الإعتماد على ملامنة جسمه ما دام هذا الإعتماد لا يؤدي إلى عجزه عن القيام بوظيفته الاجتماعية ونزع خصيتي من الخصيتي من أي رجل لا يُحدث أي ضرر، فالطلبيب الذي قام بهذه العملية قد أحدث جرحاً بسيطاً يمكن تبريره برضاء المجنى عليه، ومن ثم لا يُمسّ بالجراح عن نتائجهما ما دام أنه التزم في إجرائهما بالقواعد الفنية، وقد تأيد هذا الحكم استئنافياً وأقرته محكمة النقض .

- راجع: - Cass: 3 Janvier 1834 - annes, 1943 505 -

.Merle et vitu (A) Isolte de droit criminal , tomoi, droit penal general 4e ed , cuius , paris , 1979 , No 43 lp. 536 -

وكذلك فإن عمليات نقل الأعضاء تصطدم مع النظام العام إذا كان هدفها مجرد إجراء التجارب الطبية على الإنسان باعتبارها لا تستهدف غرضاً علاجياً مباشراً ولكن يجوز إجراء التجارب على الحيوانات أو الموتى بشرط معينة، ولكن إذا تطلب الأمر ضرورة إجراء تجربة على إنسان حي لا يوجد بديل لها من العرائق الأخرى، فهنا إضافة إلى توافر شرط رضاء الشخص واتخاذ الاحتياطات الكافية بعدم الإضرار به، فيمكن في رأينا أن تدخل هذه التجربة في نطاق تحقيق هدف علاجي عام لمصلحة البشرية جموعاً وليس لمصلحة مريض محدد، بقالة أنه قد يترتب على نتيجة هذه التجربة شفاء عدد كبير من المرضى المصابين بمرض معين^(١).

الشرط الثاني : ألا يترتب على عملية الاستئصال والزرع ضرر كبير بالنقل منه يمنعه عن أداء وظائفه الاجتماعية :

وهنا فكل عملية نقل مثلاً تؤدي إلى استئصال جزء يترتب عليه وفاة المتأذل تُعتبر باطلة كعمليات استئصال القلب والكبد .

ومن جهة ثانية فإن أي عملية يترتب عليها الحق ضرر كبير بالمتآذل يمنعه عن أداء وظائفه الاجتماعية مثل مزاولة مهنته أو القيام بدوره كرجل، تكون مخالفة للنظام العام، فلا يقبل مثلاً تبرع شخص بعينه الوحيدة الباقية، فيكون كفيناً مقابل أن ينعم شخص آخر بقدرة البصر، أو تؤدي عملية الاستئصال إلى أن يُصبح الشخص عالة على أسرته والمجتمع .

ففي مثل هذه الأحوال تكون العملية مخالفة للنظام العام، حتى ولو استُكمِلت الضوابط

غير أنني أتفق هذا القضاء مع غيري من الفقه، لأن استئصال خصبة واحدة يمكن أن يؤثر في قدرة الفرد على الإنجاب، ويمكن أن تُصنف من عضوه التناسلي وتؤثر على جهازه التناسلي بصفة دائمة، فالخصبة الواحدة لا تقوم بوظائف الخصيتين؛ والا ما خلق الله عزوجل الذكر على هذه الهيئة، وكذلك فقد كان الهدف من هذه العملية ليس تحقيق هدف علاجي وإنما الحصول على مبلغ من المال، إضافة إلى ما تقدم فإن هذه العملية تعتبر معارضة للنظام العام والأداب العامة طبقاً للمعيار الذي اتخذه لسيبن^(٢) :

أوتهما : أنها لا تستهدف غرضاً علاجياً، بل الهدف منها مجرد الكسب المادي .

ثانيهما : أن نقل الخصبة يدخل في نطاق العمليات التي من الممكن أن تؤدي إلى اختلاط الأنساب .

وكون الهدف من عملية نقل الأعضاء أن يكون علاجياً، مما يجعل كافة العمليات التي يكون مجرد القيام بها للكسب المادي، خارجة عن النظام العام والأداب العامة، وخbir مثال على ذلك عمليات تجارة الكلى التي انتشرت هذه الأيام. راجع: د. أحمد الكندري - الرسالة السابقة ص ١٧١، وفي هذا تنص المادة الرابعة من المشروع بتقنين نقل وزراعة الأعضاء البشرية المصري على أن: «لا يجوز نقل أعضاء أو أجزاء منها أو أنسجة من جسم إنسان حي إلى آخر، إلا لضرورة تقتضيها المحافظة على حياة المتقول إليه أو علاجه من مرض جسيم وبشرط عدم إمكانية النقل من ميت، وعدم وجود وسيلة علاجية مناسبة، وألا يترتب على النقل تهديد خطير لحياة المتقول منه، ويحظر نقل الأعضاء أو أجزاء منها أو أنسجة مما يؤدي إلى اختلاط الأنساب » .

(١) أخذ المشروع الكويتي بهذا في قانون زرع الأعضاء البشرية رقم ٥٥ لسنة ١٩٨٧ في المادة رقم ١ حين اشترط استهداف الفرض الملاجي .

الأخرى الالزامية لعمليات زرع الأعضاء .

وقد أخذ بهذا المعيار القانون الكويتي رقم ٥٥ لسنة ١٩٨٧ في شأن زرع الأعضاء، حين اشترط في المادة رقم ٢ ألا يؤدي استئصال المضبوط إلى موت صاحبه أو تعطيل ما له من واجب .

الشرط الثالث : ألا تؤدي عمليات نقل وزرع الأعضاء إلى اختلاط الأنساب^(١) :

يُشترط لصحة عمليات نقل وزرع الأعضاء البشرية، ألا تؤدي إلى اختلاط الأنساب بين المنقول منه العضو والمنقول إليه، حتى لو تحقق في هذا العمل الشرطان الأول والثاني سالفى البيان، لأن نقل الأعضاء التي يمكن أن تحدث اختلاطاً في الأنساب يصطدم بقواعد النظام العام والأداب العامة ذات الطابع الديني والأخلاقي، بقالة أن الشرائع السماوية حددت الزواج بين ذكر وأنثى كطريق واحد للإنجاب يضمن عدم اختلاط الأنساب .

ومن المعلوم أن هناك أعضاء تناصيلية في الذكر والمرأة تستمران في حمل وإفراز الشفرة الوراثية للمنقول منه حتى بعد زراعتها في متلقٍ جديد، وهنا يكون زرعهما محظياً مطلقاً، لأنه يُفضي إلى اختلاط الأنساب وتكون ثمرة الإنجاب غير وليدة من الزوجين المرتبطين بعقد الزواج، ويمتد هذا الإصطدام بقواعد النظام العام والأداب العامة عند نقل العورات المفرطة، التي وإن كانت لا تنقل الصفات الوراثية، إلا أنها تشارك في عملية الإنجاب وتكون الجنين، وعلى ذلك يمكن نقل الأعضاء التناصيلية غير الناقلة للصفات الوراثية^(٢).

ونعرض في السطور القادمة لبعض عمليات النقل التي تصطدم بالنظام العام والأداب العامة، ونعقب ذلك بنماذج من تلك العمليات الموافقة للنظام العام والأداب العامة.

الشرع الأول، نماذج لعمليات نقل وزرع أعضاء تؤدي إلى اختلاط الأنساب

وهي عمليات التلقيح الصناعي عن طريق نقل مني غير الزوج، وهو هنا يتم لإمرأة غير متزوجة أو متزوجة، وهو في الحالتين يصطدم بالنظام العام والأداب العامة لأثاره السيئة والخطيرة بالنسبة للطفل والمجتمع ولتعارضه مع الزواج كنظام اجتماعي وقانوني يهدف إلى توجيه الحياة الجنسية إلى غرضها الاجتماعي كوسيلة للإنجاب ورابطة وثيقة بين الزوجين، ويهدف إلى تقاديم الفوضى في العلاقات الجنسية ومنع اختلاط الأنساب^(٣).

وقد تأكّد ذلك المعنى شرعاً، فلا يجوز التلقيح الصناعي الذي يتم عن طريق تلقيح بويضة

(١) راجع نص المادة الرابعة من المشروع بقانون لنقل وزرع الأعضاء المصري سالف الإيضاح .

(٢) راجع في ذلك الشدة الفقهية الطبية الخامسة، مقال منشور بمجلة العالم الإسلامي، الكويت - ندوة رقم ٢٠ في السنة الأولى ١٤١٠ هجرية من ٧٧ .

(٣) د. أحمد شوقي أبو خطوة، مشار إليه من ١٤٤ وما بعدها، د. حسين إبراهيم أحمد: النظام القانوني للإنجاب الصناعي « دراسة مقارنة » سنة ٢٠٠٦ - مرجع سابق، ص ٣١٤ وما بعدها .

المرأة بمني غير زوجها، أو بنحلة من غير زوجها، لأن الطفل يُنسب إلى الآبوبين، فإذا نسبناه لأمه فقط بدون أب، فمعنى ذلك أنه زنا وإذا نسبناه إلى أمه وصاحب النطفة، فمعنى ذلك أن الرجل اشترك مع المرأة في الولد وهو غير زوج لها.

الفرع الثاني: نماذج تعمليات نقل وزرع أعضاء لا تؤدي إلى اختلاط الأنساب:
وهي التي تأتي عن طريق التلقيح الصناعي بنقل مني الزوج إلى زوجته، وهو نسبة لمملية الجماع الطبيعي بين الزوج وزوجته، فهذا النوع يساعد على الإتحاد الطبيعي بين البويضة والحيوان المنوي (أي تلقيح الحيوان المنوي للزوج ببويضة الزوجة بحيث يُسمح باندماج الخلتين المذكورة والمؤنثة لتكون النطفة المشتركة من الأم والأب ثم تزرع في رحم الزوجة).

وذهبت بعض المحاكم الفرنسية إلى اعتبار هذا العمل غير أخلاقي ومهيناً، فذهبت محكمة ليون في تبرير ذلك: « وأن عجز الزوج لا يبرر إلحاح زوجته عليه باللجوء إلى تلقيحها منه صناعياً لإشباع غريزة الأمومة، لأن موافقته على ذلك، ضعف في صفة تنشأ عن قبوله لهذه الوسيلة المهينة لكرامته... »^(١).

والطفل الذي ينتج عن هذا التلقيح الصناعي الذي يتم برضاء الزوجين ولفرض علاجي هو طفل شرعي مثل أي طفل شرعي جاء نتيجة علاقة جنسية عادلة بين زوجين.

وقد أجازت الشريعة الإسلامية التلقيح الصناعي الذي يتم عن طريق نقل مني الزوج إلى العضو التناسلي لزوجته، وهذه الطريقة تهدف إلى علاج العقم عند الزوجة، وتحقق لها ولزوجها رغبة مشروعة في الإنجاب.

وقد قرر مجلس المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي في إحدى دوراته^(٢): « أن حاجة المرأة المتزوجة وحاجة زوجها إلى الولد يعتبر غرضاً مشرعاً يتبع معالجتها بالأساليب المشروعة من أساليب التلقيح الصناعي، وأن الأسلوب الذي تؤخذ فيه النطفة الذكرية من متزوج ثم تُحقن في رحم زوجته نفسها هي طريقة التلقيح الداخلي أسلوب جائز شرعاً، بعد أن ثبتت حاجة المرأة إلى هذه العملية لأجل الحمل ».

(١) مشار إليه عند د. حميسن إبراهيم أحمد: الرسالة السابقة - نؤمن الموضوع.

Trib. civ., de Lyon - 28 mai 1958 d. 1965 - 440, note Abreton, op. cit., no 101 p.71 -

ييد أن القضاء الأمريكي ذهب إلى أن التلقيح الصناعي لا يُعد مخالفًا للنظام العام والأدب العامة.

Holm (E.J.) *Medical legal aspects of sterilization, official & J.A.M insemination, and abortion* 1958 , p. 648 , etc -

e par dierkens : op. cit. : No. 101 note 3

(٢) انظر: المجمع الفقهي الإسلامي، المنعقد في مكة المكرمة في دورته الثانية خلال النصف الثاني من يناير ١٩٨٥ .

وكانت دار الإفتاء المصرية قد أصدرت هتوى من قبل بهذا الشأن جاء فيه^(١): «علي أن تلقيح الزوجة بذات مني زوجها دون شك في استبداله، واحتلاطه يعني غيره جائزة شرعاً ويثبت النسب، فإذا كان مني رجل آخر غير زوجها فهو محروم شرعاً، ويكون في معنى الزنا ونتائجها، وأخذ بويضة الزوجة التي لا تحمل وتلقيحها يعني زوجها خارج رحمها وإعادتها بعد إخضابها إلى رحم تلك الزوجة دون استبدال أو خلط بمني إنسان آخر أو حيوان لداع طبى وبعد نصح طبيب حاذق ومتمن ياتبع هذا الطريق، هذه الصورة جائزة شرعاً».

نخلص من كل ذلك إلى أن التلقيح الصناعي الذي يتم عن طريق تلقيح بويضة المرأة يعني زوجها، يعتبر مشروعًا متى استهدف تحقيق غرض علاجي مشروع وهو إنجاب الأطفال وهو بذلك لا يخالف النظام العام.

من مجمل ما سبق، فإن أي حالة نقل أعضاء يجب أن تبحث لها عن الشروط الثلاثة للمعيار الذي أخذنا به، فإذا توافرت اعتبرت عملية النقل متوافقة مع النظام العام والأداب العامة، وإن اعتبرت ذات العملية متعارضة مع النظام العام والأداب العامة وكانت باطلة قانوناً وشرعاً^(٢).

(١) هتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٢/٢/١٩٨٠.

(٢) رغم أن عمليات نقل الدم ومشتقاته هي أحدي العلاجات الطبية الحديثة، إلا أن إياحتها لا تتحقق إلا إذا كانت متفقة ومبارىء النظام العام، وهي لا تكون كذلك إلا إذا كان الهدف منها هو الفرض العلاجي، ولذلك إذا خرجت عمليات نقل الدم عن هذا الإطار العلاجي فإنها تكون مخالفة للنظام العام، ولذلك كان الهدف منها الإضرار بالآخرين أو إيدائهم، وهذا يمكن أن يتحقق عندما يتقدم متبرع بالدم في حالات الضرورة وال Kovari، والتي غالباً ما تكون مصحوبة بحالة من الاستعمال تجل الأطباء يشقون الدماء بدون إجراء التحاليل الكافية لحماية إنتشار مرضهم بأسرع وقت ممكن، ويكون هذا انتقال منه مصاب بمرض خطير كالإيدز أو الكبد الوبائي، وهو يعلم جيداً إصابته بهذه الأمراض المنتشرة عبر نقل الدم، ومع ذلك يقدّم على عملية التبرع مجرد إشباع رغبة الإنتقام من المجتمع ياصابة الآخرين بنفس هذا المرض، هنا يكون نقل الدم مخالفاً للنظام العام وجريمة يُعاقب عليها قانون العقوبات، وكذلك يكون نقل الدم مخالفاً للنظام العام إذا كان الهدف من التنازل هو مجرد الحصول على ربح مادي؛ وهو ما حدث في قضية السيد مود التي هزت الأوساط الطبية الأمريكية: قضى عام ١٩٧٤م، أصبح السيد JOHN MOOD ياش محلال كبير في صحته، حيث أثبتت التحاليل أنه مصاب بمرض ابيضاض الدم الذي يؤدي إلى السرطان بالدم، وهذا المرض كان يقتضي سحب عينات دم من المريض وتحليلها، وأنشاء التحليل اكتشف الطبيب انتقال أن دم المريض يحتوي على مواد أولية فريدة من نوعها في العالم وتسمى بعلاج أمراض خطيرة ومرنة مثل السرطان والإيدز، وهذه النتيجة المنشطة قام الطبيب بإستقلالها في تكتم ثام وكان شبكة من المتأمنين مع هذه الحقيقة وبشكل قانوني، وتم عقد مسلسلة من العقود القانونية مع الأشخاص الذين سيتعامل معهم لاستخلاص هذه المواد الأولية وإعادة تصنيعها وطرحها في الأسواق في شكل منتجات دوائية، وتم استقلال المريض على مدار سبع سنوات يأخذ الدم منه بحجية تحليله، واستطاعوا أن يحققا أرباحاً خالية تقدر بثلاثة مليارات دولار أمريكي، فمثل هذه السعويات تُعد غير مشروعة لمخالفتها للنظام العام . راجع: د. رضا عبد الحليم عبد المجيد: المسئولة القانونية عن النفايات الطبية، سنة ٢٠٠٨م . دار النهضة العربية، ص ١٠٢ : من ١٠٥ .

الخاتمة :

هذا وقد انتهينا بتوهيف من عند الله العلي القدير من بحث موضوع الإطار الشرعي والقانوني لنقل وزراعة الأعضاء البشرية «دراسة مقارنة»، وقد حاولت بحث جوانبه المختلفة، وأعرض فيما يلي لأهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال عرض موضوع البحث، والمتمثلة في الآتي:-

- أن جسم الإنسان له معصومية وحرمة من أن يمس بسوء أو يلحق به أذى فالجسم الإنساني وما يحيوه من أعضاء مكرم ومُحَسَّن من قبل الله عز وجل، ومن قبل التشريعات المختلفة، فيما يُسمى بمبدأ حرمة الجسد الإنساني، وما الخروج على هذا المبدأ إلا لضرورة طبية، ومهما أفرز الواقع من استثناءات على هذا المبدأ إلا أنها نجدها استثناءات في نطاق ضيق لأن غرضها النفع لا الإيذاء، ومن ذلك الموضوع محل البحث.
- أن العمل الطبي هو ذلك العمل الذي يقوم به شخص متخصص من أجل شفاء المريض وذلك طبقاً للأصول الطبية المتعارف عليها والمقررة في علم الطب.
- الأصل في العمل الطبي أن يكون علاجياً لا بحثياً.
- يُشترط في العمل الطبي لكي يكون مشروعًا أن يحصل الطبيب على ترخيص من الدولة ممثلة في الوزارة المعنية بجازولة الطب، ويجب على الطبيب إتباع الأصول العلمية الثابتة في علم الطب، وأن يكون تدخل الطبيب العلاجي أو الجراحي بناءً على رضاء وازن المريض، ويلزم الطبيب بتخصير المريض بأخطار العلاج والتدخل الجراحي، وإحاطة المريض بالأثار الجانبية التي يمكن أن تترتب على العلاج والمخاطر العادبة المتوقعة وغير المتوقعة.
- تخضع عمليات نقل وزرع الأعضاء البشرية لضوابط شرعية وقانونية لابد من توافرها كي تتم هذه العمليات موافقة للشرع وللنظام، من هذه الضوابط:
 - ١- رضاء المتنقل منه.
 - ٢- رضاء المريض.
 - ٣- عدم تعارض عمليات نقل وزرع الأعضاء البشرية مع النظام العام والأداب العامة في المجتمع.
 - ٤- إجازة الشريعة الإسلامية لهذه العمليات.



جامعة الطالب

المهارة في تحديد الهدف الدعوي في ضوء الكتاب والسنة

د. خولة بنت يوسف المقبل

الأستاذ المشارك قسم الدعوة في المعهد العالي للدعوة والإحتساب

النقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

هالدعوة إلى الله تطلق من أسم وقواعد مستقاة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسيرة السلف الصالح الذين بلغوا الرسالة ودعوا إلى الإسلام وفق قواعد وأهداف محددة ساروا عليها فوصلوا للمراد بعون الله وتوفيقه

لذا فإن الداعية بحاجة إلى تحديد أهداف دعوته ليتمكن من إيصالها للمدعو بالشكل الصحيح، ثم إلى معرفة مهارات تحديد هذه الأهداف.

وببناء على ذلك قامت فكرة هذه الدراسة والتي تهدف للتعرف على مهارة تحديد الهدف الدعوي في ضوء الكتاب والسنة من خلال ما يلي:

توضيح المراد بالمهارة.

- التعرف على مهارات تحديد الأهداف الدعوية.
- توضيح معنى الهدف الدعوي.
- التوصل إلى أهم الأهداف التي تهم الدعوة.
- طرق تطبيق الأهداف في الدعوة إلى الله .

منهج الدراسة: هذا وسوف أستخدم في هذا البحث المنهج التأصيلي؛ الذي يعتمد على أهم مصادر المعرفة الإسلامية في التوصل إلى نتائج الدراسة، والمنهج الاستقرائي؛ وهو تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها. ^(١)

تساؤلات الدراسة :

ستجيب هذه الدراسة على التساؤلات التالية :

- ١- ما تعريف المهارة؟
- ٢- ما تعريف الهدف؟
- ٣- ما أنواع الأهداف في الدعوة؟
- ٤- ما المهارات المطلوبة للدعاة لتحديد الأهداف في ضوء الكتاب والسنة؟
- ٥- ما طرق تطبيق الأهداف في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة؟

(١) انظر: البحوث الإعلامية، أسسها، أساليبها، مجلاتها، محمد الحيزان (ط١، ١٤١٩هـ)، ص٦. وضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن اليهاني، (دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤١٤هـ)، ص١٧.

تقسيمات الدراسة :

- المقدمة وتشتمل على:

- التعريف بمصطلحات الدراسة.
- أهداف الدراسة .
- تساؤلات الدراسة.
- منهج البحث.
- تقسيم الدراسة.

المبحث الأول: تعريف المهارة والهدف الدعوي ومنهج الإسلام في تحديده

المطلب الأول: المهارة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: الهدف لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: تحديد الأهداف الدعوية من الكتاب والسنة.

المبحث الثاني: مهارات الدعوة:

المطلب الأول : مهارات شخصية

المطلب الثاني: مهارات مكتسبة.

المبحث الثالث: أنواع الأهداف الدعوية في ضوء الكتاب والسنة:

المطلب الأول: هدف عقدي.

المطلب الثاني: هدف شرعي.

المطلب الثالث: هدف أخلاقي .

المبحث الرابع: طرق تطبيق مهارات تحديد الأهداف في الدعوة :

وينقسم إلى مطلبين:

المطلب الأول : الطرق العامة.

المطلب الثاني: الطرق الفرعية الخاصة.

المبحث الأول: المهارة والهدف والمنهج الإسلامي في تحديده**المطلب الأول: المهارة لغة واصطلاحاً.****المطلب الثاني: الهدف لغة واصطلاحاً.****المطلب الثالث: المنهج الإسلامي في تحديد الأهداف الدعوية****المطلب الأول: المهارة لغة واصطلاحاً.**

المهارة لغة هي الحِدْقَ في الشَّيْءِ، والماهر: الحاذق بكل عمل ، وأكثر ما يوصف به السابع المُجِيد ، والجمع مَهَرَةٌ: والماهر: السابع . ويقال مَهَرَتْ بِهَا الْأَمْرُ أَمَهَرْ بِهِ مهارة أي صرت به حاذقاً. قال ابن سيدة^(١): وقد مَهَرَ الشَّيْنَ وَهُنَّ بِهِ يَمْهُرُونَ مَهَرَأً وَمَهَارَةً .

وقالوا: لم تتعل به المهرة ولم تعطله المهرة، وذلك إذا عالجت شيئاً فلن ترافق به ولم تحسن عمله، وكذلك إن غذى إنساناً أو أدبه فلن يحسن. ويقال أيضاً: لم تأت إلى هذا البناء المهرة أبداً لم تأته من قبل وجهه ولم تبنيه على ما كان ينبغي. وفي الحديث: مثل الماهر بالقرآن مثل السفرة ..) والماهر: الحاذق بالقراءة.(^(٢)) والمتمهر: الأسد الحاذق بالافتراض.^(٣)

المهارة اصطلاحاً: هي التمكّن من إنجاز مهمة بكيفية محددة ودقة متاهية وسرعة في التنفيذ.^(٤)
والمهارة Skill: السرعة والدقة في أداء عمل من الأعمال مع الاقتصاد في الوقت المبذول، وقد يكون هذا العمل بسيطاً أو مركباً.^(٥)

ويتبّع التطابق بين المعنى اللغوي والاصطلاхи وهو المراد في هذا البحث.

المطلب الثاني: الهدف لغة واصطلاحاً.

الهدف لغة: كل مرتفع من بناء أو كثيب رمل أو جبل ، والفرض ، والرجل العظيم ، وهدف هدف : دعاء للنسمة إلى الخل، وهدف إليه: دخل، وأهدف عليه : أشرف وإليه لجأ، وله عرض ومهنة دنا وانتصب واستقبل.^(٦)

(١) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل اللغوي أندلسي اصحاب الحكم والمحيط الأعظم . انظر: الأعلام، الزركلي ، دار العلم للعلائين، ٢٠٠٢م).

(٢) لسان العرب، ابن منظور، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ/٢٠٠٢م)، ١٢/١٢٧.

(٣) القاموس المحيط ، الفيروزآبادي، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ)، ص ٦٦٥، والحديث رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن ، سورة يس ، رقم ٤٥٨١.

(٤) ويكيبيديا ، تعريف كلمة مهارات <http://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D9%85%D8%A7%D8%AA%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%8A%D8%A7%D9%84&oldid=11141114>

(٥) معجم المصطلحات التربوية والت نفسية، حسن شحاته وآخرون، (الدار المصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ)، ص ٣٧.

(٦) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، من ١١١٤.

والاهداف الدنيو منك والاستقبال لك والانتصاب. يقال: أهداف لي الشيئ، فهو مهدف، وأهداف لك السحاب والشيئ إذا انتصب؛ والإاهداف الدنيو، أهداف القوم أي قربوا، والهدف المشرف من الأرض وإليه يلجم، والهدف: كل شيء عظيم مرتفع. وفي الحديث: أن النبي صل الله عليه وسلم، كان إذا مر بهدف مائل أو صدق مائل أسرع المشي؛ والهدف كل بناء مرتفع مشرف، وقيل: القرض هو الهدف، وجمع الهدف أهداف، وأهداف على التل أي أشرف.^(١)

الهدف اصطلاحاً: عرف علماء التربية الهدف العام (Target): هو عبارة تصف الناتج التعليمي المتوقع تحقيقه لدى المتعلم.^(٢)
وهو ما يقارب المعنى المراد في هذه الدراسة.

مما سبق اتضح لنا أن المهارة هي: القدرة على التحقيق والهدف هو: الشيء المراد تحقيقه. ومن هذين التصريفين نستطيع تحديد تعريف عام لهذه الدراسة والتي تحمل عنوان المهارة في تحديد الهدف الدعوي وتطبيقاتها في الدعوة إلى الله بأنها: القدرة على تحديد الناتج الدعوي ومن ثم تحديد أمثل الطرق لتحقيق تلك النتائج.

المطلب الثالث: منهج الإسلام في تحديد الهدف الدعوي

في هذا المطلب سنتناول الأدلة من الكتاب والسنّة على منهجية الإسلام في تحديد الأهداف الدعوية من خلال التقسيم الآتي:

أولاً: الأدلة من القرآن الكريم :

سنستعرض الهدف الدعوي القرآني من خلال عرض هدف لبعض الأنبياء الوارد ذكرهم في القرآن الكريم .^(٣) فالأنبياء هم الذين اصطفاهم الله من بني البشر يحملون دعوته لعباده، يبشرؤن من آمن منهم وعمل صالحاً بحسن الثواب والمكافأة في الحياة الدنيا والآخرة وينذرون من كفر وعمل سيئاً بالعقاب وسوء المصير. ^(٤) قال تعالى: **﴿وَمَا زِيلَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ مَأْمَنَ وَاصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْرُقُونَ﴾** الأنعام: ٤٨.

(١) لسان العرب، ابن منظور، ١٥/٥٢، والحديث رواه البهقي، في شعب الإيمان، الثالث عشر من شعب الإيمان وهو باب التوكل بالله عز وجل والتسليم ، رقم ١٢٩٦، ..

(٢) معجم المصطلحات التربوية والت نفسية، حسن شحاته وأخرون، ص ٣٥٥.

(٣) سنذكر بعض الأنبياء الوارد ذكرهم في القرآن الكريم لأننا لعلنا حسراً كاملاً لأهداف جميع الأنبياء في القرآن الكريم لخرج هذا البحث بمعنیات الصفحات وهذا ليس الهدف من البحث إذ أن تبحث أهدافاً أخرى ذكرت في مقدمة البحث لا بد من مراعاتها ، ولعل من أراد الاستزادة في هذه النقطة فعليه الرجوع إلى اكتبه التي تحدث بالتفصيل عن النبوتات وكتب تفاسير القرآن. وسنكتفي بالتحديث عن النبي الله نوح، وابراهيم وشعيب عليهم السلام.

(٤) انظر: الرسل والرسالات، عمر الأشقر، (دار الثقافة، الأردن، ط١، ١٤١٢هـ)، ص ٤٧. ومح الأنبياء في القرآن الكريم، عزيز عبد الفتاح طبارة، (دار العلم للملايين، بيروت)، ص ١١.

لقد كان للأئمّة هدف عام لا وهو توحيد الله وإفراده بالعبادة وهو الهدف الذي سعى له جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، لكن كان لكل نبي هدف خاص به أرسل لقوم: لاجتثاث منكر وغرس معروف لهذا سنستعرض أهداف الأنبياء بالترتيب التالي:

نبي الله نوح عليه السلام:

فَالْمَقَالُ: (وَاللَّهُ جَعَلَ لِكُلِّ أَرْضٍ رِبَاطًا) ﴿١﴾ إِنْتَلِكُمْ مِنْ بَلَادِ فِيمَا يَا ﴿٢﴾ قَالَ رَبُّ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَأَنْتُ عَوْنَى
مِنْ أَنْ أَرْبِزَهُمْ مَالَهُمْ وَوَلَدُهُمْ لَا حَسَارًا) ﴿٣﴾ وَمَنْ كَرِمَ أَنْكَرَ كَبَارًا) ﴿٤﴾ وَقَالُوا لِمَذْدُونَ مَا لَهُمْ كُلُّ لَا مَذْدُونَ رَبًا وَلَا سُوَّا كُلًا وَلَا
يَغُوثُ وَيَعُوْقُ وَيَنْزَرًا) ﴿٥﴾ وَقَدْ أَسْلَأْنَا كَبِيرًا وَلَا يَرُدُّ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا) ﴿٦﴾ إِنَّمَا خَطَبْنَاهُمْ أَنْفَرُهُمْ أَكَارًا فَلَمْ
يَهُدُوا كُلُّمْ بَنْ دُونَ اللَّهِ أَصْمَارًا) ﴿٧﴾ وَقَالَ رَبُّ رَبِّ لَا يَذْرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكُفَّارِ دَيَارًا) ﴿٨﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرُهُمْ يُصْلِوْا
عَيْدَادَكَ وَلَا يَنْدِعُوا إِلَّا فَأَكِيرًا كَفَارًا) ﴿٩﴾ } نوح: ١٩ - ٢٧

لقد حدد نوح هدفه لهذه الدعوة بمهارة مناسبة لحال قومه، نوح عليه السلام ظلل يدعوكوه ليلاً ونهاراً سراً وعلانية ، سلك معهم طريق التهديد والترغيب ، خوفهم من عذاب الله ورغبهم في طاعته، بين لهم أنه لا يرغب في ملك ولا جاه بل هدفه هدايتم، ولا استفاد كافة الوسائل والأساليب الدعوية المتاحة له ، وبعد أن صارت في وجهه كل السبل لإصلاحهم، عندئذ لجأ إلى ربه يشكوكوهم أن هذا الكلام والوعظ والتذكير ، ما نجح فيهم ولا أفاد. بل هم أضلوا بدعوتهم إلى عبادة الأصنام أضلوا بها كثيراً من الخلق . هنا أراد نبي الله نوح تطهير هذه الأرض من هذا الجمود في الفي والتمسك بالضلال والدعوة للعبادة المنحرفة التي بدأت توثر على عامة الناس فدعا رباه أن لا يذرك على الأرض من الكافرين من يدور على وجه الأرض وذكر سبب ذلك في أن بقاء القوم مفسدة محضة لهم ولغيرهم.

وإنما قال نوح ذلك، لأنه مع كثرة مخالفته إياهم، ومزانته لأخلاقوهم، علم بذلك نتيجة أعمالهم، فلهذا استجاب الله له دعوته، فأغرقهم جميعاً ونجى نوحاً ومن معه من المؤمنين.^(١)
من هذا يستفيد الدعوة أن اليأس من المدعون لا يكون إلا بعد استفاذة كافة الطرق المتاحة للدعوة ويذكر أن عليه البلاع ويترك أمر الهدایة لله سبحانه وتعالى ويتوجه لله ويضرع له أن ينقذ أهل التقى من تأثير أهل الكفر والفسور.

نبي الله إبراهيم عليه السلام:

فَالْمَقَالُ: (وَكَذَلِكَ رُؤْيٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ النَّاسِ وَالْأَرْضِ وَلِكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) ﴿١﴾ فَلَمَّا جَاءَ
عَلَيْهِ أَيْمَانُ رَبِّهِ كَوَبِيًّا قَالَ هَذَا يَقِينٌ فَلَمَّا أَقْلَ قَالَ لَا أَجِبُ الْأَقْلَيْتَ) ﴿٢﴾ فَلَمَّا رَأَهُ الْقَسْرَ يَأْرِعُهَا قَالَ هَذَا
رُؤْيٰ فَلَمَّا أَقْلَ قَالَ لَهُنَّ لَمْ يَهُدِيَنِي لِأَكْحُولُكُمْ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ﴿٣﴾ فَلَمَّا رَأَهُمْ يَأْرِعُهَا قَالَ هَذَا رُؤْيٰ

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، المسعدى، ص ٨٢٢، ومع الأنبياء، عريف طبارة، ص ٦٨.

هذا أكثريْ فلما أفلتَ قَالَ يَقُولُ إِنِّي مَمَّا تُشَرِّكُونَ ﴿٦﴾ إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّهِ فَطَرَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ حَيْنَا وَمَا أَنْتَ مُشَرِّكٌ ﴿٧﴾)الأنعم: ٧٥ - ٧٦)

أظهرت الدراسات التاريخية انه في الزمن والبيئة التي عاش فيها نبي الله إبراهيم كان الناس يؤلهون الشمس والقمر والكواكب.

لقد كان الهدف من الدعوة عند نبي الله إبراهيم في هذه الآيات مناظرة لقومه ، وبينان بطلان إلهية الأجرام السماوية وغيرها .

فإبراهيم عليه السلام الذي آمن بالله وحده كان لا يترك فرصة إلا ويحاور فيها قومه وبجادتهم في معبداتهم ، من ذلك تلك المحاورات التي أراد بها بيان بطلان عبادة الكواكب والشمس والقمر ، وأظهار أن العبود بحق هو الله وحده .

ففي عصر نبي الله إبراهيم عليه السلام وجدت عبادة القمر في مدينة اور بلد إبراهيم عليه السلام وكان يطلق على القمر اسم (نانار) ، كما عبدت الشمس وأطلق عليها (شamas) ، كما وجدت عبادة الكواكب وأشهرها كوكب الزهرة التي أطلق عليها (عشتر) ، وكوكب المريخ (مردوخ) .^(١)

حدد نبي الله إبراهيم المنكر المنتشر وبدأ بالدعوة إلى الله بمهارة رائعة متنفسة فقد طبق مهارة التنزل مع الخصم أي: هذا ربي، فهلم تنظر ، هل يستحق الريوبحة؟ وهل يقوم لنا دليل على ذلك، فإنه لا ينبغي لعاقل أن يتخذ إلهه هواه بغير حجة ولا برهان، فالذى يغيب ويختفى عن عبده كيف يعبد؟ ، فإن العبود، لابد أن يكون قائماً بمصالح من عبده، ومديراً له في جميع شؤونه، ولقد قام البرهان القاطع على بطلان ما يعبدون ، فتبرأ من الشرك وأذعن بالتوحيد ، وأقام على ذلك البرهان.^(٢)

وهنا يستفيد الدعاة إلى أهمية التعمق في فكر ومعتقد المدعو والتفكير في إيجاد طرق توصل لهم الدعوة إلى الله من غير تحيط وتعجل في اختيار الوسيلة الدعوية.^(٣)

نبي الله شعيب عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَنْهَرْ شَعِيبًا قَالَ يَقُولُ أَقْبَدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرَهُ وَلَا تَنْصُرُوا الْمُحْكَمَيْانِ وَالْمُبِيزَانِ إِنِّي أَرِنَكُمْ بِغَيْرِ وَلَيْلَ أَنْفَافٍ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ يُوَمِّلُ ثُجِيبَطٍ ﴾^(٤) وَيَقُولُ أَوْلُو

(١) انظر: تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المenan، السعدي، ص: ١٦٩، ابراهيم أبو الأنبياء، عباس العقاد، نقل عن مع الأنبياء، عظيف مليارة، (دار اعلم للملايين ط١٠، ٢٠١٠)، ص: ١١٨.

(٢) انظر: تفسير الكريم الرحمن، السعدي ص: ٢٢٤.

(٣) للاستزادة يمكن الرجوع لكتاب وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها بين التوقف والاجتهاد، حسين محمد عبدالمطلب، (دار الوطن، الرياض، ط١٢١، ١٤٢١هـ).

الْمُكَيَّلُ وَالْبَرَاتِ بِالْقُنْطِيلٍ وَلَا تَبْخُسُوا إِلَّا شَيْءًا هُمْ وَلَا تَمْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٤٧) يَقِيْثُ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كَثَرْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنْعَلْتُكُمْ وَجْهِيْزِيْتُكُمْ قَالُوا يَكْسِبُهُ أَصْلُوْتُكَ ثَأْرُكَ أَنْ تَرْكَ مَا يَكْبِدُ إِمَانَكُمْ أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أُمُّكُمْ مَا تَشَكُّلُ أَنْكَ لَأَنَّ الْكِبِيرَ أَرْشِيدٌ (٤٨) قَالَ يَقُولُهُ أَرْبَيْثُ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتِنِي وَنِنْ رَبِّ وَرَدَقِيْ مِنْهُ زَرْفَا حَسَّا وَمَا أَرِيدُ أَنْ تَخَالِفُكُمْ إِنْ مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ إِنْ أَرِيدُ إِلَّا إِلَصَاحَ مَا أَسْطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا لِأَنَّهُ عَلَيْكُمْ تَوْكِيْتُ وَالْيَوْمِيْتُ (٤٩) هود: ٨٤ - ٨٦

حدد النبي الله شعيب هدفاً للدعوة وسعى إليه بكل وسعه وطاقته ولقد كانت الهدف من دعوة قومه اجتذب منكر التلقييف بالكيل والميزان وقد استطاع أن يصل الدعوة إليهم بطريق مختلفه، ولقد كان أكثرها تأثيراً بهم هي كونه من الصالحين في ذاته إذ كان القدوة لقومه في الصلاح والتقوى لذا نراهم بعدما عجزوا عن ايجاد جانب سلبي في شخص الداعية المائل أمامهم : نحوا منحى عجيباً لا وهو الاستهزاء بحسن سيرته وسريرته فقالوا: هل صلاتك هي التي أثرت في نفسك هجعلتك مرشدأ لنا؟ هل من موجبات استقامتك أن ترك ما يبعد آباًنا لاونترك التلقييف ونوية بالكيل لا
هذا كان رد النبي الله شعيب : إن كنت على يقين وطمأنينة من ربي في صحة ما جئت به، وأعطياني الله من أصناف المال ما أعطياني ، فقلت أنهاكم عن أمر وأفعله أنا .
فالمال موجود عندي وعندكم وكلاًنا يرغب بالزيادة في الخير لكنني منعت نفسي من الحرام
وادعوكم لذلك ايضا.

والمقام هنا مقام تزكية للنفس دفع هذا بقوله وما توهيقي إلا بالله، أي ما يحصل لي من التوفيق لفعل الخير والإنفاق عن الشر إلا بالله تعالى، لا بحولي ولا بقوتي. (١)
فالدعاة لابد أن يحددوا بمهارة الأنبياء أهداف دعواتهم ويصلوا إليها بتوفيق الله حتى يكون القبول للدعوة والبلاغ على أتم وجه.

هذه بعض الأمثلة من القرآن الكريم على مهارة تحديد الهدف الدعوي .

ثانياً الأدلة من السنة النبوية:

لعل في السيرة النبوية من الشواهد على مهارة تحديد الهدف الدعوي الشئ الكثير وسوف نذكر بعض الشواهد من السنة النبوية على ذلك
عن عمر بن سلمة رضي الله عنه قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت يدي تطليش في الصحفة، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا غلام اسم الله وكل بيمينك وكل مما يليك). فما زالت تلك طعمتني بعد. (٢)

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص: ٣٢٧، بـ مع الأنبياء، غريف طهارة، ج: ٢٠٠

(٢) البخاري، أبي عبدالله بن اسماعيل، كتاب الأميمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، ١٠٦٤، ٥٣٧، (بيت الأهقار، الرياض، ١٤١٩هـ).

حدد رسولنا الكريم بمهارته الفائقة الهدف من دعوته لصبي صغير لم يتعود آداب الطعام فذكر له توجيهات أصبحت ديدنه طول حياته.

قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل، حين بعثه إلى اليمن : (إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم هادهم إلى: أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإنهم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإنهم أطاعوا بذلك، فأخبارهم أن الله قد فرض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنىائهم فترد على فقرائهم، فإنهم أطاعوا لك بذلك، هي إياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بيته وبين الله حجاب) ^(١)

حدد الهدف من الدعوة وفق تدرج جميل يصل به الدعوة إلى الغاية من الدعوة فقد بدأ بالعقيدة ثم تدرج إلى الشريعة لكن بعد ماذا؟ بعد: (إإنهم أطاعوا بذلك..) وحذر من منفرات الدعوة والتي تتسبب بنتائج سلبية على الدعوة بكل أركانها.

وعن ابن مسعود قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السامة علينا) ^(٢)

فقد أراد الرسول صلى الله عليه وسلم إيصال الدعوة ووعظ أصحابه لكن ما الهدف من تخول أصحابه بالموعظة وعدم الاستمرارية والإطالة؟
الهدف في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كراهة السامة علينا)

(١) البخاري، كتاب الزكاة، باب أحد الصدقة من الأغنياء، ٥٤١ / ١٤٢٥هـ.

(٢) البخاري، كتاب المعلم، بباب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والمعلم، ٣٩ / ٦٨هـ.

المبحث الثاني : مهارات الدعاة

وينقسم إلى مطلبين

المطلب الأول : مهارات شخصية

المطلب الثاني : مهارات مكتسبة.

المطلب الأول : مهارات شخصية^(١) :

وهي المهارات الأساسية في الدعاة والتي يتحلى بها الداعية ليصل بالدعوة للهدف المرجو منه وهي سمات غرائزية في الداعية لاتطلب بعلم ولا يستلزم منها بمعرفة ومن أهم هذه المهارات: الحساسية المستمرة للأحداث والقدرة على التعرف عليها : وهي تمكنهم من التعرف والإحساس بما يحدث ويدور حولهم من مواقف معينة. والداعية المتميز: هو الذي يكون حساساً للأحداث ومدركاً لها ويستطيع أن يتواافق معها ، حيث يستطيع أن يكون منفتحاً لإدراك الحقائق المادية والمعنوية للمدعى عليهم ويكون قادرًا على الاستجابة للمواقف التي تحدث بطريقة مناسبة.^(٢)

فَالْمُؤْمِنُ كَيْسٌ هُطْلَنَ قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِلْمُتَّسَبِّينَ} الحجر: ٧٥

أي المتأملين المتقربين، الذين لهم فكر ورؤية وقراءة، يفهمون.^(٣)

والقراءة تكون للعبد بحسب قربه من الله، فإن القلب إذا قرب من الله انقطعت عنه معارضات السوء المانعة من معرفة الحق وإدراكه، وكان تلقيه من مشكاة قريبة من الله بحسب قربه منه، وأضاء له من النور يقدر قربه، فإذا في ذلك ما لم يره البعيد المحجوب.^(٤)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اقروا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، ثم قرأ قول الله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِلْمُتَّسَبِّينَ}).^(٥)

- مهارة تحليل وحل المشكلات والحكم على الأمور واتخاذ القرارات:

ترتبط مهمة الداعية ارتياحاً وثيقاً باتخاذ القرارات، ويمكن اتخاذ القرارات بأساليب

(١) في هذا البحث لا أتحدث عن عامة الدعاة بحكم الدعوة فرض على كل مسلم لكنني أتحدث عن الدعاة الرسميين والذين لا بد أن يتتصفوا بعدة صفات للقيام بالدعوة إلى الله في الأقطار المختلفة وقد كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يتخير من أصحابه من هو صالح للقيام في الدعوة في البلدان المختلفة وما كان ذلك إلا لتميزهم بمجموعة مهارات ومزايا تختلف عن غيرهم.

(٢) انظر: عادات التميز لدى الأفراد ذوي المهارات الإدارية العليا، رضا السيد، (الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، القاهرة: ط١٢٠٧٦)، ص.٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص.٢٨٦.

(٤) خطبة للشيخ ناصر الأحمد، بعنوان القراءة والذكاء، <http://www.islamdoor.com/k/121.htm>.

(٥) رواد الترمذى، كتاب تفسير القرآن، ج.٤٤١، ٤٤١.

منطقية، وكمية، أو باستخدام تحليل المميزات والعيوب في الموقف غير المؤكدة أو الغامضة. والداعية المتميز هو الذي يمتلك الحكم العادل على الأمور وعنه الحس والبديهة التي يستطيع بها إيجاد التوازن بين المشاعر المعنوية والحقائق المادية.^(١)

ومن ذلك موقف الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وهو قدوة وإمام الدعاة في اتخاذ القرارات وتحليل المشكلات فلما اعتدى بنو قريطة على امرأة مسلمة واستجذت بالصحابي وقتله اليهود وبذلك نقضوا العهد والميثاق هنا لزم القائد أن يتخذ موقفاً يحسم هذه القضية فما كان من رسول الله عليه أفضل الصلاة والتسليم إلا أن قال لا يُصلِّي أحدُ الفَصَرِ إلَيْنِي قُرِيَطَةً ، فَادْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا تُصَلِّي حَتَّى تَأْتِيهَا ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ تُصَلِّي لَمْ يُرِدْ مِنَا ذَلِكَ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَلْمَعَ يُعْنِفُ وَاحِدًا مِنْهُمْ .^(٢)

- مهارة التعامل مع الآخرين :

الداعية المتميز يستطيع ممارسة مهارات التعامل مع الآخرين المتعددة مثل القدرة على الاتصال الفعال، والتقويض، وحل الصراعات، واستمالة الأفراد وتوجيههم.

ولقد كان رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم القدوة والأسوة في تطبيق مهارة التعامل مع الناس قلم يكن خلقه ترجمان لما يحمل من مشاعر حزن وغضب ورضا وسعادة بل على العكس من ذلك كان يتعامل مع الناس بحسب مشاعرهم فالفاوض والحزين والمهور والفرح كل هؤلاء مروا على شخص رسول الله هتعامل معهم بأسلوب أرضائهم وأسعدتهم وبالمثال يتضح المقال .

فَعَنْ أَنْسِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، قَالَ : كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَلَيْهِ بَرَدٌ تَجَرَّانِي غَلِيلُ الْحَاشِيَةِ ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابٌ فَجَبَدَهُ بِرِدَائِهِ جَبَدَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرَتُ إِلَى صَفَحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَأْتُ بِهَا حَاشِيَةَ الْبَرَدِ مِنْ شَدَّةِ جَبَدَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، مُرِّلِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدِكَ ، فَأَنْتَقْتُ إِلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ ضَحَّكَ ، ثُمَّ أَمْرَ لَهُ بِعَطَاءٍ ..^(٣)

وتعامل الرسول الكريم مع الطفل ومع الكبار في السن ومع المرأة نافحة العقل وكل اعطاء حقه في حسن التعامل فللدعاة القدوة الحسنة في سيرة رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

(١) انظر عادات التمييز لدى الأفراد ذوي المهارات الإدارية العليا، رضا السيد، ص: ١٠.

(٢) رواه البخاري، كتاب المأزي، باب مرجع النبي صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ٩٦٤/٢٨٣٧.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة باب إعطاء من سأل بفتح وغلظة، ١٥٧/٢، ج: ١٧٢٥.

المطلب الثاني : المهارات المكتسبة :

سبق وعرفنا المهارة في مبحث سابق وفي هذا المبحث سنتحدث عن نوع من أنواع المهارات إلا وهو المهارة المكتسبة

فالمهارة المكتسبة: هي المهارة التي تتميّز ذاتياً وتعلّمياً وبالتحفيز الذاتي وهي التي يحرص الإنسان ذاتياً على تعميتها أو نتيجة لضغط المجتمع عليه أو ينميها الآباء في أبنائهم وهذه المهارات يجب أن تتوفر في الداعية ليحسن تحديد وإيصال الأهداف للمدعوين والتي منها:

- المرونة الانفعالية :

يواجه الداعية في دعوتهם ضغوطاً كثيرة، فعلى الدعاة تحمل كل ما يأمر به من مواقف بمروره كافية تمكنه من التعامل الإيجابي مع ما أمر به، ولا نقصد بالمرونة اللامبالاة، بل التحكم بالنفس والانفعالات والتسامح مع الآخرين^(١).

قال تعالى: ﴿فَإِنَّ رَحْمَةَ رَبِّكَ أَكْبَرُ مِمَّا يَرِيدُ الْجِنُّونَ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِطَ الْقَلْبَ لَأَنْتَصَرُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاغْفِتُ عَنْهُمْ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ وَمَا يُرْدُهُمْ فِي الْأَكْمَى إِذَا عَزَّمْتَ فَتُؤْكَلُ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوْكِيدَ﴾ آل عمران: ١٥٩
فالغبط هو الكريه للخلق، وغلظ القلب قسوته وقلة إشفاقه وعدم انفعاله للخير والانقضاض التفرق والمعنى: لو كنت فظاً غليظ القلب لاترقى بهم لترقو من حولك هيبة لك واحتشاماً منك.^(٢)

فمن عائشة رضي الله عنها قالت: ما خير النبي صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يأثم، فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه، والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتي إليه فضل، حتى تنتهي حرمات الله، هينتقم لله.^(٣)

والدعاة في رسولهم الأسوة والقدوة في مرؤونته في التعامل مع الأحداث وهذه من المهارات التي يستطيع أن ينميها الدعاة من خلال قراءة السيرة النبوية والاطلاع على تقاسير كظم الغيط، القراءة في كتب فن التعامل مع الناس عموماً والمدعوين خصوصاً وبائران وال歇بر يصل الداعية إلى مبتغاً .

- الابتكار:

والمراد بهذه المهارة: هي القدرة على إيجاد طرق جديدة ومبتكرة للدعوة بوسائل وأساليب غير تقليدية، فهذا داعية يبحث وي Finch في عصره بما يخدم المدعوين من وسائل وأساليب

(١) انظر: عادات التبيّز، رضا السيد، ص ١١

(٢) فتح القدير، محمد الشوكاني، (دار المعرفة، بيروت)، ٢٩٤ / ١،

(٣) رواه البخاري، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله، ٦٧٩٠ / ٦٧٨٦.

عصيرية مبتكرة، ولكن للدعاة فيه وقفة هليس كل جديد يستعمل كوسيلة للدعوة لأن به جذب للمدعويين ، فالأمر ليس هملا بل هناك قيد يجب أن يضعه الدعاة أمام أعينهم حين استخدام الطرق الجديدة والمبتكرة للدعوة ألا وهو عدم مخالفتها للحدود الشرعية وعدم تخطيها لحاجز الحرام الذي شرعه الله على يد رسوله صلى الله عليه وسلم، فالطرق الدعوية ليست توقيفية بالكلية، ولا اجتهادية على الإطلاق، وإنما فيها ما هو توقيفي وهو المنصوص في الكتاب والسنة، ومنها ما هو اجتهادي، ولكنه مضبوط بضوابط الشرع.^(١)

يقول الدكتور عبد الرحمن المغذوي: (فلا شك أن المتبع لمسيرة الدعوة في تاريخها الطويل يجد أن الأمة الإسلامية وعلى مقدمتها سلف هذه الأمة الصالحة، قد أجمعوا على الأخذ بوسائل الدعوة المشروعة والنافعة، والتي فيها خير واعزار لأهل الحق والإيمان، سواء عن طريق كتاب الله تعالى وما ورد فيه من وسائل وأساليب عظيمة نافعة، أو ما ورد في سنة وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو ما كان تبعاً لذلك ومتمشياً مع مبادئه وحكمه، سواء أكانت وسائل معنوية، أم مادية، أم غير ذلك).^(٢)

- الجد في العمل وترك التوانى والكسل :

وهذه مهارة تدل على علو الهمة ، وعدم التباطؤ والتهاون، فالجد والنشاط في الدعوة إلى الله من أميز المهارات المكتسبة في الدعوة ، فالدعاة كلما دعاهم داعي العمل إلى فعل الخير قاموا إليه بحيوية ونشاط جاد، فهم يكرهون الكسل ويحتقرونه ويستعذدون بالله منه، ويدعون بدعوى الرسول صلى الله عليه وسلم: اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهقري الرجال).^(٣)

وقد ذم الله التكاسل والتبااطؤ في العمل وجعلهما من صفات المناافقين: **قالَ قَعَّانٌ:** (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يَخْتَيِّرُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَيْرُهُمْ وَإِذَا قَاتَمُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يَرَاهُونَ النَّاسَ وَلَا يَذَكُّرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا^(٤)) النساء: ١٤٢
قالَ فَسَالَ: (وَمَا مَنَّهُمْ أَنْ تُفْكِلَ مِنْهُمْ فَقْنَتْهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كُرْهُونَ) التوبه: ٥٤

(١) انظر: وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها بين التوقف والاجتهاد، حسين محمد عبد المطلب، (دار الوطن، الرياض)، ط١٤٢٤هـ، ص٦٥.

(٢) وسائل الدعوة، عبد الرحيم المفتوفي (دار إشبيليا، الرياض، ط١٤٢٠هـ)، ص١٩.

(٣) رواه الترمذى ، كتاب الدعوات، بباب ماجاء في جامع الدعوات عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ٢٤٨٤.

المبحث الثالث: أنواع الأهداف الدعوية في ضوء الكتاب والسنة

وينقسم إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: هدف عقدي.

المطلب الثاني: هدف شرعي.

المطلب الثالث: هدف أخلاقي.

المطلب الأول: هدف عقدي:

سبق في مبحث سابق المراد بالهدف وفي هذا المبحث سنتحدث عن الهدف العقدي كنوع من أنواع الأهداف الدعوية، فمما لا ريب فيه أن تحديد الأهداف يساعد على وضوح الرؤية، فائي عمل ناجح لا بد وأن يكون موجهاً نحو تحقيق أهداف محددة ومقبولة، والا أصبح العمل نوعاً من المحاولة والخطأ التي تعتمد على العشوائية والارتجال وفي هذا ضياع لوقت والجهد والمالي، مما لا تستطيع طاقتنا أن تقبله أو تتحمل عواقبه. هذه العشوائية في حقيقة الأمر هي ما نود أن نتجنبه في قيام الداعي بالدعوة إلى الله.^(١)

والهدف العقدي هو أهم وأساس الأهداف فإذا تحقق هذا الهدف وفق مهارة الدعاة وبتوهيف من رب العباد كان الداعي قد أسس القاعدة للانطلاق فالتوحيد هو أساس الإسلام وفي حديث جبريل عليه السلام: (...يَا مُحَمَّدَ، أَخْبَرْنِيَ عَنِ الْإِسْلَامِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهِدَ أَنَّ لِإِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ...»)^(٢)

وما الفروقات التي غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا لتحقيق الهدف العقدي، وفي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعازد بن جبل، حين بعثه إلى اليمن: (إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى: أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله...)^(٣) فتوحيد الله هو النهاية الكبرى للخلق، (وَمَا خَلَقْتُ لَهُنَّ وَلَأَنَّهُنَّ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) الذاريات: ٥٦

فالعقيدة السليمة شعار المسلم ودثاره، ومبنيه ومنتهاه، ومنهجه وغايته، وهي منهج للفرد والجماعة، والرعاية والرعاية، والحاكم والمحكوم، كما هي منهج للحياة على تعدد مجالاتها،

(١) انظر: ورشة عمل حول "صياغة الأهداف التعليمية". د. يسري مصطفى السيد، جامعة الإمارات العربية المتحدة . كلية التربية، مركز الانتساب الموجه بأبوظبي، ٢٠١٧، <http://www.khsuems.com/yousry/Educational/20Objectives/>

Workshop.htm

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، ٢٩١٠.

(٣) البخاري ، سبق تحريرجه.

واسع حاجاتها، وتجدد أحوالها، وهذه الإحاطة في شمول خصوص الأمة لأمر معبودها، مفهومه من شهادة التوحيد، ومستمد من معناها.^(١)

إذا يتوجب على الدعاة اختيار الهدف الرئيس للدعوة والبدء به، فإن البدء في الدعوة إلى الله تعالى بالأهم فالمهم، والتدرج في الدعوة حسب الأولويات هو من أهم الضروريات التي يجب على الداعية إلى الله تعالى معرفتها والعمل على تحقيقها. وقد دل على ثبوت هذا المبدأ الكتاب والسنة وعمل سلف هذه الأمة الصالح رضوان الله عليهم.

إذ قص الله تعالى علينا في كتابه الكريم قصص الأنبياء وأخبارهم مع أقوامهم، هكأن كل واحد منهم يبدأ بدعة قومه إلى توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له وحده ونبذ الشرك وأهله. قال تعالى عن نوح عليه السلام: **﴿لَقَدْ أَنْسَنَا تُوْحِيدَ إِلَيْنَا قَوْمَهُ فَقَالَ يَقُولُمَّا أَعْبُدُو اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ إِلَّا إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾** الأعراف: ٥٩
وقال تعالى عن هود عليه السلام: **﴿وَلَمَّا كَانُوا أَخَافُمْ هُودًا قَالَ يَقُولُمَّا أَعْبُدُو اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ إِلَّا إِنَّمَا تَنْتَقِلُونَ﴾** الأعراف: ٦٥

وقال تعالى عن صالح عليه السلام: **﴿وَلَمَّا كَانُوا أَخَافُمْ صَالِحًا قَالَ يَقُولُمَّا أَعْبُدُو اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ﴾** الأعراف: ٧٣

وقال تعالى عن عيسى عليه السلام: **﴿إِذَا أَكَرَتْ وَرَبُّكُمْ فَأَبْدَلَهُنَّا صِرَاطَ مُسْتَقِيمٍ﴾** آل عمران: ١٥
وهذا المنهج هو المنهج الذي انتهجه جميع الأنبياء وانتطلق نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم بالدعوة إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده.^(٢)

المطلب الثاني: هدف شخصي:

بعد إرساء العقيدة السليمة في المجتمع لابد من اهتمام الدعاة بالهدف الشرعي وبالطبع هناك ترتيب بين الأهداف فإذا كان المجتمع منحرفاً عن العقيدة يبعد غير الله هنا يبدأ الدعاة بالهدف العقدي ولكن إن كان المجتمع مسلماً وظهرت على بعض أفراده تقسيراً في بعض الشرائع هنا تظهر أهمية الهدف الشرعي وبالطبع مهارة تحديد الهدف مهارة لابد منها في الداعية تطبيقاً لتوجيه رسول الله لمبعوثه إلى اليمن حيث وجده بقوله (...إِنَّهُمْ أَطَاعُوكَ بِذَلِكَ هَأْخِيرُهُمْ...) لقد أوضح الله تعالى أن الشريعة الإسلامية فيها صلاح العباد في الدنيا والآخرة وأوضح لهم الطريق

(١) انظر: مقدمة في هذه أصول الدعوة، شرح حديث جبريل الإسلام والإيمان والإحسان، أحمد سلام، (دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٥هـ)، ص. ٢٦.

(٢) انظر: المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، محمود الرحيلي، (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ)، ص. ٢٢.

وهذاهم الصراط المستقيم، ولذا كانت الحاجة إلى هذه الشريعة عظيمة وهامة.^(١)
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «رسالة الإسلام روح العالم ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم
إذا عدم الروح والحياة والنور»^(٢)

ولقد قامت الشريعة الإسلامية على أساس محددة منها:

- اليسر ورفع الحرج.
- العدل والحق.
- الرأفة والرحمة.
- حفظ مصالح العباد.
- التدرج في التشريع.
- تقديم المصالح ودرء المفاسد.
- الدعوة إلى المعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الثالث: هدف أخلاقي:

الخلق صفة مستقرة في النفس (فطرية أو مكتسبة) ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة.
فالخلق منه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم. والإسلام يدعو إلى محمود الأخلاق، وينهى
عن مذمومها.

وأي مجتمع من المجتمعات الإنسانية لا يستطيع أفراده أن يعيشوا متقاهمين سعداء مالم
ترتبط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة، لذا كانت عنابة الإسلام موجهة لتزكية النفس
وتهدئتها، والمراد من تزكية النفس تطهيرها من نزغات الشر والإثم، وإزالة خط الشيطان منها،
وتتميية فطرة الخير فيها، ومتى حصلت في النفس هذه التزكية غدت صالحة لغرس فضائل
الأخلاق فيها، وتهذيب طباعها تهذيباً مصلحاً ومقولاً وكابحاً ومحاجها، ويهذيب طباع النفس
يتهيأ المناخ النفسي الصالح لتجغير منابع الخير.^(٣)

من أجل ذلك كان تحديد الهدف الأخلاقي في مجتمع الدعوة من أولويات الدعاة وبالطبع
يحتاج لمهارة من قبل الداعية ليحدد الهدف الخلقي المراد تحقيقه في مجتمع معين.

وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «إنما بعثت لأنتم مكارم الأخلاق»^(٤). فقد وضع رسول
الله عليه أفضل الصلاة والسلام هدفاً محدداً للدعوة إلى الأخلاق ألا وهو إتمام مكارم الأخلاق

(١) انظر: الدعوة وصلتها بالحياة، عبد الرحيم المذنوبي، (مكتبة الرشد، الرياض)، ص ١٤٩.

(٢) مجموع هنawi شيخ الإسلام ابن تيمية، ٩٢/٩.

(٣) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني، (دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ)، ص ٣٥-٣٢.

(٤) رواه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٣٧٢).

فالمجتمع العربي كان يتميز بصفات اخلاقية ممدودة منها الكرم وصدق الوعد ونحوه وجاء الإسلام بهدف إتمام هذه الأخلاق.

وهكذا على الدعاة تحديد أهدافهم الدعوية ليتم زرعها في نفوس المدعوين ، وللتكون الأخلاقي للشخصية الإسلامية لابد أن يراعي الدعاة ومهاراة الأهداف التالية:

لابد من استيعاب ملحة كتاب الله تعالى للتخلق به لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خلقه القرآن ولأن كتاب الله مليء بالأخلاق الكريمة والوصايا العظيمة ومنها: **قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** ﴿قُلْ كَمَا تَأْتُوا أَتُلْ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَالَّذِينَ إِنْسَانٌ لَا يَقْتُلُوا أُولَئِكُمْ مَنْ إِنْ لَهُ مَلِكٌ لَّهُنْ بَرُّ فَكُمْ وَلَا تَقْرِبُوا الْوَرَقَيْشَ مَا كَاهَرَ مِنْهَا وَلَا مَبْطُونٌ لَا تَقْلِلُوا أَنفُسَكُمْ أَلَّا يَحْرِمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِيقَةِ وَمَصْنَعُكُمْ يَهُدِي لَكُمْ شَفَوْلَوْنَ﴾ (١) (٢) (٣) الأنعام: ١٥١ - ١٥٢

إن الأخلاق الإسلامية ميزان توزن به شخصية المسلم الداعية وما عليه إلا أن يعرض نفسه عليها ليعلم ما له من تلك الأخلاق .

- إن تهذيب النفس لا يتم حتى تتحلى بالفضائل والأخلاق، فإن النفس مجبرة على أخلاق مهملة وأخلاق مرسلة فالمحمود فيها يؤدب وغير المحمود يهذب والأداب زينة للشخصية الإسلامية يسموها مقادير كبيرة .

- إن تهذيب الأخلاق الباطنية يجب أن تهذب حتى يستقيم الجانب الأخلاقي في الشخصية الإسلامية فالداعية يجب أن يدعو إلى تطهير المدعو باهته وظاهرة من الأخلاق الرديئة ، من بغي وغض وكربياء وحسد..

- يجب أن يحدد الداعية وسيلة لدعوته ألا وهي القدوة الحسنة فالداعية يجب أن يتقرب للناس بالدعوة والعمل وعليه أن يتحلى بالشمائل الكريمة ومكارم الأخلاق من طلاقة الوجه وإفشاء السلام واطعام الطعام وكظم الغيظ ونحوه. (٤)

(٤) انظر: الأهداف الرئيسية للدعاة إلى الله، جاسم مهلهل ، (دار الدعوة، الكويت، ط١٤٠٦، هـ)، ص ١٥٦-١٥٧.

المبحث الرابع: طرق تطبيق مهارات تحديد الأهداف في الدعوة

المطلب الأول: الطرق العامة.

المطلب الثاني: الطرق الفرعية الخاصة.

المطلب الأول: الطرق العامة :

وهي التي تمثل تحقيق الأهداف العامة في الإسلام ويندرج تحتها القيام بمسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند عامة المسلمين ولا يشترط كون القائم بالدعوة يتحلى بشروط معينة بل هي الطرق التي يتبعها المسلمون في دعوتهم بحكم كون الدعوة واجبة على كل مسلم كل بحسبه قال تعالى: ﴿ قُلْ هُنَوْءُ سَبِيلٍ أَذْعُوا إِلَىٰ أَنْوَاعٍ بِصِرَاطٍ أَنَا وَمِنْ أَتَّبَعْتُ وَسِيقَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (يوسف: ١٠٨)

ولتطبيق مهارة تحقيق الأهداف العامة بالنسبة لعامة الناس يحتاج إلى عدد من المهارات ألا وهي:

- تربية الشعور بالمسؤولية الفردية لدى عامة المسلمين: امتثالاً لقول الرسول الكريم «

كلكم راع وكلكم مسؤولة عن رعيته»^(١)

- تربية المبادرة الفردية بإثكار المنكر والغير على حرمات الله والنصح للمسلمين : وهذه المهارة تتبع ماقبلاها فتمت أحسن الشخص بالمسؤولية تجاه الدعوة بادر بها وخير مثال على ذلك ما عمله الصحابة رضوان الله عليهم من مبادرات ذاتية حفظاً للدين وحماية للعقيدة فلم ينتظروا توجيهها من أحد بل بمجرد رؤيتهم لمنكر يفعل أو معروف يترك يبادرون إلى النصح والتوجيه ، وهنا يبرز دور المربى الذي يحرص على غرس هذه المهارة في نفوس ابنائه وطلابه، والنصيحة لها منزلة عالية من الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدين النصيحة»، قال ابن حجر: «الله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم»^(٢)

- تربية المهارات الدعوية:

هناك مهارات عدة يحتاجها عامة الدعاة مثل القدرة على الإقناع والتعرف على مهارات الحوار مع المدعوين ومعرفة أهم أساس الخطابة والإلقاء ومهارات الكتابة والتأليف .

- تربية الصفات الدعوية :

(١) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب من قسوتك بسوقك غيرك، ١٧٦/٨٩٣.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، ٥٥/٨٢.

ظل الدعاة إلى الله صفات وسمات لابد أن تتحقق فيهم وهي لا تتحقق جملة واحدة أو تأتي بالتوجيه المباشر أو التلقين بل لابد من دراستها وتعلمها وتطبيقها.^(١)

المطلب الثاني، الطرق الفرعية الخاصة:

وللمهارة هذه غاية عليا وهي تحقيق العبودية لله تبارك وتعالى، ويجب أن تكون هذه الغاية هي التي تحكم سائر الأهداف، بل يجب أن تكون جميع الأهداف موصولة إليها متحققة لها، وهي غاية دعوة النبي عليه الصلاة والسلام، كما قال تعالى: **﴿وَمَا حَلَّتْ لِجَنَّةً وَالإِنَّ إِلَّا يَعْبُدُونَ﴾** الذاريات: ٥٦ والأمة الإسلامية في الوقت الحاضر تحتاج إلى طاقات فاعلة تسهم في إنقاذها وقيادتها بوجين يبدأ الإعداد الفعلي للدعاة في مرحلة مبكرة فإن ذلك يسهم في تحقيق الأهداف الدعوية بالشكل الصحيح.

ولتطبيق مهارات تحديد الأهداف الدعوية بالطرق الخاصة عدة وسائل منها:

- التذكير بفضل الدعوة وأثارها: فقد استخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المنهج والسلوك فحين بعث عليا رضي الله عنه إلى اليمن قال له: «ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي بك رجلاً خيراً لك من أن يكون لك حمر النعم»^(٢).

- التدريب العملي: فالدعوة إلى الله بخلاف كثير من الأعمال ليست مما يقوم به الإنسان لوحده، بل لابد من داعية ومدعو، ويحتاج لبناء مهارات وقدرات عدة، ومن ثم ليس التناول النظري وحده كافياً في دفع الدعاة للدعوة، بل لابد أن يكون هناك تدريب وممارسة عملية ، فبه يزيد الشوق والألفة والاعتياد، وتزال الرهبة والتردد، ويولد الثقة بالذات.

- دراسة السيرة النبوية وسير الأنبياء والدعاة السابقين: فهي الميدان التطبيقي للدعوة ودراساتها ترك أثراً بالغاً في البناء والإعداد الدعوي، ولها نتائج مهمة منها تقوية العزيمة لدى الدعاة واكتساب الخبرات والتجارب الدعوية وتوطين النفس على الصبر والثبات وعدم الاستعجال في طلب النتائج .

قال تعالى: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِدَهُمْ أَفَلَمْ يَرَوْا أَنَّا أَنْشَأْنَاكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّكُلِّ كِبِيرٍ﴾** الأنعام: ٩٠

فلا غنى للدعاة عن دراسة سير الأنبياء والصالحين والتعرف على منهجهم في الدعوة

(١) انظر: تربية الشباب المسلم للأهداف والوسائل، محمد الديوش، (مدار الوطن للنشر، ط١، ١٤٢٢هـ)، ص ١٢٤-١٢٥هـ.

(٢) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ٣٧٢.

والتأنسي بهم والسير على خطاهم. قال تعالى: **﴿وَكَانُوا يُؤْتَوْنَ مَا كُثُرَ كِبِيرٌ فَمَا وَهَنُوا إِلَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ الْقَوْمِ مَا يَعْلَمُو وَمَا أَسْتَكَانُوا وَأَفْهَمَ بِهِ الصَّدِيرَيْنَ﴾** آل عمران: ١٤٦

* التعرف على جهود أهل الباطل:

إن عرض ما يبذله أهل الباطل من جهد في نشر باطلهم والدعوة إليه أمر يبعث على إثارة الحمية للدين ولوم النفس على التقصير والقواعد وهو منهج قرآني ، ففي أعقاب غزوة أحد حين أصاب المسلمين ما أصابهم ذكرهم الله تبارك وتعالى أن هذا الشأن ليس شأنهم وحدهم هؤلاء الأعداء كذلك: **قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُؤْمِنِينَ: إِنَّمَا يَعْمَلُ أَهْلُ الْبَاطِلِ مَا مَأْتُوا بِهِ وَلَا يَعْلَمُونَ** آل عمران: ١٤٠

لذا فمن النافع والمفيد عرض ما يبذله دعاة الباطل من جهد في دعوتهم لباطلهم كما يفعل المنصرون المقربون عن بلدانهم ويذل للنفس والمال في سبيل دعوة باطلة هي تولد لدى الدعاة الشعور بالحمية وتلويذهم الهم للبذل والمعطاء.^(١)

هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآلـه وصحبه وسلم

(١) انظر: **مقومات الداعية الناجحة في ضوء الكتاب والسنّة**، سعيد التحملاني، (مكتبة الملك فهد، ١٤١٥هـ)، ص ٧١.
و**تربيـة الشـباب الأـهدـافـوالـوسـائـل**، محمد الدويش، ص ١٢١-١١٣.

الخاتمة :

الحمد لله وحده والصلوة والسلام على من لانتي بعده الحمد لله الذي بحمده وبفضلته تم الصالحات وتزيد البركات وتعتم الخيرات
الحمد لله الذي من علي بالكتابة في بحث يحمل عنوان مهارات تحديد الأهداف الدعوية وتطبيقاتها في الدعوة إلى الله والذي أسأل الله أن يجعله مباركا نافعا وقد خلصت منه بعدة نتائج وתוסيات وهي كالتالي:

أولاً: أهم النتائج:

- ١- أن هناك فرقاً بين مهارات تحديد الأهداف في الدعوة وبين الأهداف في الدعوة إذ أن المهارة تعني السرعة والدقة في تحديد الهدف الدعوي ومن ثم تطبيقه على المدعوي بينما الهدف الدعوي يعني الغاية من الدعوة.
- ٢- المهارات يشكل عام على نوعين : مهارة أكاديمية ومهارة شخصية ، فال الأولى مكتسبة والثانية فطرية.
- ٣- للدعوة أهداف ثلاثة يجب أن يسعى إليها الدعاة بالدرج ألا وهي هدف عقدي، وشرعي، وأخلاقي.
- ٤- هناك طرق لتطبيق مهارات تحديد الأهداف في الدعوة منها الطرق العامة التي يجب أن تتوفر في جميع المسلمين ولها أسمها، ومهارات فرعية خاصة للدعاة إلى التوحيد والذين يبذلون الجهد لنشر الدين في جميع أقطار العالم وللدولة المسلمة يد في دعمهم وتأييدهم فهم دعاة رسميون .

ثانياً: التوصيات:

- ١- أهمية التعمق في المهارات الدعوية
- ٢- تحقيق أهداف الدعوة يحتاج إلى دراسة وتأصيل قبل التطبيق.
- ٣- ضرورة تطوير البحث الدعوي والبعد عن النمطية المميتة للبحوث إذ أن البحوث التي تلامس واقع الناس وتنماها مع عصرانية البشر تجلب القراء للاطلاع والاستفادة وتطوير الذات .

فهرس المراجع:

- (١) القرآن الكريم.
- (٢) ابراهيم أبوالأنبياء ، عباس العقاد،(المكتبة المصرية ، مصر ، ٢٠٠٢م)
- (٣) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني،(دار القلم ، دمشق ، ط٢٢٦هـ)
- (٤) الأهداف الرئيسية للدعوة إلى الله، جاسم مهلهل ،(دار الدعوة، الكويت، ط١٤٠٩هـ)
- (٥) تربية الشباب المسلم للأهداف والوسائل، محمد الدويش، (مدار الوطن للنشر ط١٤٢٣هـ).
- (٦) تيسير الكريم الرحمن في تيسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي ، (دار ابن حزم، الرياض).
- (٧) خطبة للشيخ ناصر الأحمد، بعنوان الفراسة والذكاء، <http://www.islamsdoor.com/k/121.htm>.
- (٨) الدعوة وصلتها بالحياة، عبد الرحيم المندوي،(مكتبة الرشد، الرياض).
- (٩) الرسل والرسالات، عمر الأشقر، (دار الفقائض، الأردن، ط٥، ١٤٤٢هـ)
- (١٠) صحيح البخاري، أبي عبد الله بن إسحاق، (بيت الأفكار، الرياض، ١٤١٩هـ)
- (١١) صحيح مسلم، أبو مسلم التسيابوري، (دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط١٤٣٧هـ).
- (١٢) هفت القدير، محمد الشوكاني،(دار المعرفة، بيروت)
- (١٣) القاموس المحيط ، القبروزادي، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٦، ١٤٠٦هـ)
- (١٤) لسان العرب، ابن منظور، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ)
- (١٥) مجلة أحسن عادات التميز لدى الأفراد ذوي المهارات الإدارية العليا، رضا السيد، العدد الأول ،
- (١٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية . (مجمع الملك فهد، الرياض، ١٤٢٦هـ)
- (١٧) معجم المصطلحات التربوية والت نفسية، حسن شحاته وآخرون، (الدار المصرية، بيروت، ط٤، ١٤٢٤هـ)
- (١٨) مقدمة في فقه أصول الدعوة، شرح حديث جبريل الإسلام والإيمان والإحسان، أحمد سلام، (دار ابن حزم، بيروت، ط١٤١٦، ٢٠٢٠هـ).
- (١٩) مقومات الداعية الناجع في ضوء الكتاب والسنة، سعيد القحطاني، (مكتبة الملك فهد، ط٥، ١٤١٥هـ)
- (٢٠) النهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، محمود الرحيلي،(مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٦، ١٤٢٤هـ)
- (٢١) موقع ويكيبيديا
- (٢٢) ورشة عمل حول ” مباغة الأهداف التعليمية ”، د. يسري مصطفى السيد، جامعة الإمارات العربية المتحدة . كلية التربية، مركز الاتصال الموجه بأبوظبي، <http://www.khayma.com/yousry/Educational/20Objectives/20Workshop.htm>
- (٢٣) وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها بين التوقف والاجتهاد، حسين محمد عبدالمطلب،(دار الوطن، الرياض، ط٤، ١٤٢٤هـ.)
- (٢٤) وسائل الدعوة، عبد الرحيم المندوي(دار إشبيليا، الرياض، ط٦، ١٤٢٠هـ)



جامعة الطائف

قسم الله بذاته المقدسة في القرآن الكريم (دلائل وأبعاد) دراسة تفسيرية

د. مي محمد البحريني

المقدمة :

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستقرره، ونعود بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

نزل القرآن العزيز للناس كافة، ووقف الناس منه موقف متباعدة ، فمنهم المصدق ومنهم الشاك ومنهم المنكر، ومنهم الخصم، فجاء القسم في القرآن الكريم لإزالة الشكوك، وإقامة الحجة، وتوكيد الأخبار.

وقد أقسم الله . عز وجل. بنفسه، وبمحلوقاته، مع نهاية عباده عن القسم بغيره، وأقسم الله بنفسه في ثمانية مواضع في القرآن الكريم.

ولأهمية قسم الله بنفسه، لكونه يبرز جانب من إعجاز القرآن الكريم في أسلوبه ونظمه وهو التماض بين القسم وجوايه. اختerte ليكون موضوع لبحثي وسميته بـ (قسم الله بذاته المقدسة في القرآن الكريم دلالات وأبعاد) دراسة تفسيرية.

أهداف البحث :

- ١- خدمة كتاب الله تعالى ، والقيام ببعض الواجب نحوه .
- ٢- كشف وجهاً من وجوه إعجاز القرآن في أسلوبه ونظمه.
- ٣- الإسهام في تجليل معاني الآيات القرآنية التي تتحدث عن قسم الله بذاته المقدسة.

حدود البحث :

هذا البحث يتناول قسم الله بذاته المقدسة، دون غيره من أقسام القرآن.

خطة البحث :

قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد ، وثمانية مباحث، وخاتمة على النحو التالي:
المقدمة: يبيّن فيها أهمية الموضوع، وأهدافه ، وحدود الدراسة ، وخطة البحث .
التمهيد : القسم تعريفه، أركانه.

المبحث الأول: قسم الله بذاته المقدسة في سورة النساء.

المبحث الثاني: قسم الله بذاته المقدسة في سورة يوسف.

المبحث الثالث: قسم الله بذاته المقدسة في سورة سبا.

المبحث الرابع: قسم الله بذاته المقدسة في سورة التغابن.

المبحث الخامس: قسم الله بذاته المقدسة في سورة الحجر.

المبحث السادس: قسم الله بذاته المقدسة في سورة مريم.

المبحث السابع: قسم الله بذاته المقدسة في سورة الذاريات.

المبحث الثامن: قسم الله بذاته المقدسة في سورة المعارج.

التمهيد: القسم، تعريفه وأركانه:

لادة قسم معينان رئيسان:

١- التفريق: (القسم) بسكون السين وجمعه أقسام إفراز النصيب، يقال قسمتْ كذا فَيَسِّمَا وفِسِّمة، وفِسِّمة الميراث وفِسِّمة الغنيمة تفريقها على أربابها^(١).

وفي المصباح المنير: «الاسم القسم بالكسر ثم أطلق على الحصة والنصيب فيقال: هذا قسمي والجمع أقسام مثل حُمْلٌ وأحْمَالٌ، واقتسموا المال بينهم والاسم القسمة وأطلقت على النصيب أيضاً وجمعها قسم»^(٢).

ويقال قاسمته المال: أخذت منه قسمك، وأخذ قسمه، وقسّيمك: الذي يقاسمك أرضاً، أو داراً، أو مالاً بيتك وبينه^(٣).

٢- الحلف واليمين: وهو (القسم) بفتح القاف والسين، وجمعه أقسام.

قال ابن منظور: (القسم بالتحريك: اليمين، وكذلك القسم، وهو المصدر، مثل المخرج، والجمع أقسام، وقد أقسم بالله: حلف له، وتقاسم القوم: تحالفوا)^(٤).

قال الراغب: (وأقسم حَلْفٍ وأصله من القسمة وهي أيمان تقسم على أولياء المقتول ثم صار اسمًا لكل حلف)^(٥).

والعلاقة قوية بين هذين المعنين للقسم، فما جعل القسم إلا للتفريق بين الحق والباطل، والفصل بين الخصومات.

القسم إصطلاحاً:

قال السيوطي: (القسم هو أن يريد المتكلم الحلف على شيء فيحلف بما يكون فيه خراؤه، أو تعظيم لشأنه، أو تنويه لقدرها، أو ذم لغيره ..)^(٦).

(١) المفردات في غريب القرآن من ٤٠٣ مادة (قسم).

(٢) المصباح المنير للقيومي ص ٢٩١ مادة (قسم).

(٣) لسان العرب لابن منظور (٤٧٩/١٢) مادة (قسم).

(٤) لسان العرب لابن منظور (١٢/١٨٠) مادة (قسم) وانظر: الصحاح للجوهرى ٢٠/١١ مادة (قسم)، معجم مقاييس اللغة لابن هارس ٨١/٥ مادة (قسم)، المفردات في غريب القرآن للراغب ٤٠٢ مادة (قسم)، القاموس المحيط للقبروز آبادي ٢/٢٣٢ مادة (قسم).

(٥) المفردات في غريب القرآن للراغب من ٤٠٣ مادة (قسم).

(٦) الإنegan في علوم القرآن للسيوطى ٥/ ١٧٦٨.

وعرفه مناع القطان بقوله: (ربط النفس بالامتناع عن شيء أو الإقدام عليه أو على صحته أو بطلانه بمعنى معظم عند الحال حقيقة أو اعتقاداً) ^(١).

أركان القسم :

للقسم أربعة أركان هي:

الركن الأول ^(٢): فعل القسم (أقسم) أو أخلف.

الركن الثاني: المُقْسِم به، وهو نوعان:

النوع الأول: قسم بالله تعالى.

ولا يكون القسم إلا باسم معظم، وقد أقسم الله تعالى بنفسه في ثمانية مواضع ^(٣) وهي:

قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرِبَّ لَأَبُو مُوسَى﴾ النساء .٦٥

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي وَرِبِّي﴾ يومنس .٥٢

قوله تعالى: ﴿فَوَرِبِّكَ لَنْ شَعَلَنَّهُمْ﴾ الحجر .٩٢

قوله تعالى: ﴿فَوَرِبِّكَ لَنْ حَشَرَنَّهُمْ وَالشَّيْطَنُونَ﴾ مريم .٦٨

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَّ وَرِبِّكَ لَتَأْتِنَّكُمْ﴾ سبا .٢

قوله تعالى: ﴿فَوَرِبِّ الْمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌ﴾ الداريات .٢٣

قوله تعالى: ﴿قُلْ بَلَّ وَرِبِّ الْبَعْشَنِ﴾ التغابن .٧

قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقِيمُ بَرَبِّ الْمَكَرِ وَالْمَكْرِبِ﴾ المعارج .٤٠

النوع الثاني: قسم الله تعالى بمخلوقاته، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ وَالرَّبُّونَ﴾ ^(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَالشَّفَّافُ صَفَّا﴾ ^(٥)، وهو كثير في القرآن.

قال ابن القيم: (وأقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته فعل المسلم أن يحذر من القسم بغير الله وأسمائه وصفاته لما يتربط على ذلك من مخالفة أمر الله وتعظيم غيره سبحانه وتعالى) ^(٦).

(١) انظر: مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص .٢٩٠.

(٢) دراسات في علوم القرآن الكبير آ. د فهد الرومي ص .٤٢١.

(٣) جاء في كثير من علوم القرآن إنها سبعة مواضع، ولم تذكر آية سورة سباء. انظر: البرهان في علوم القرآن للرزكشي ٤٥/٢، الإنegan في علوم القرآن للسيوطى ٧/١٧٠، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص .٢٥٢، الإيجاز والبيان في علوم القرآن للملحاوى ص .١٩٢، علوم القرآن والتفسير د. شحاته ص .٢٩٢، مباحث في إعجاز القرآن د. العمري ص .٢١٤، وذكر د. عدنان محمد ذر زور إنها ثمانية مواضع انظر: علوم القرآن وإعجازه ص .٢٢٢.

(٤) سورة النحل الآية .١.

(٥) سورة الصافات الآية .١.

(٦) البيان في علوم القرآن لابن القهيم .٤٥/١.

ولله أن يحلف بما شاء، أما حلف العباد بغير الله فهو شرك، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»^(١).

الركن الثالث: المقسم عليه. قال ابن تيمية: (والقسم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه فلا بد أن يكون مما يحسن فيه ذلك كالأمور الفانية والخفية إذا أقسم على ثبوتها، هاما الأمور المشهودة الظاهرة كالشمس والقمر، والليل والنellar، والسماء والأرض، وهذه يقسم بها ولا يقسم عليها)^(٢).

والقسم عليه في القرآن الكريم أنواع كثيرة منها التوحيد، والقرآن، وأصول الإيمان وأركانه^(٣). قال ابن القيم: (فهو سبحانه يُقسم على أصول الإيمان، التي يجب على الخلق معرفتها، تارة يقسم على التوحيد، وتارة يقسم على أن القرآن حق، وتارة على أن الرسول حق، وتارة على الجزاء والوعيد والوعيد، وتارة على حال الإنسان)^(٤).

الركن الرابع: أدوات القسم. وهي أداة القسم، أو حروف القسم وهن: (الباء، والواو، والتاء، واللام، ومن).

قال سيبويه: (وللقسم والقسم به أدوات في حروف الجر، وأكثرها الواو ثم الباء، يدخلان على كل محلوف به)^(٥).
ولم يرد القسم في القرآن الكريم إلا بثلاثة أحرف وهي: (الباء، والواو، والتاء)^(٦).

(١) آخرجه الترمذى، كتاب النذور والإيمان، باب: ما جاء في كراهة الحلف بغير الله، ٢٥٣/٥، وصححة الحاكم بـ نيل الأوطار، ٢٢٨/٨.

(٢) مجموع سنن ابن تيمية ٢١٥/١٢.

(٣) من آراء الاستزادة رجع إلى الشیبان في أقسام القرآن لابن القیم (١٥٦-١٩١).

(٤) الشیبان في أقسام القرآن لابن القیم ص.

(٥) الكتاب لسیبويه ٤٩٦/٢.

(٦) المرجع السابق.

المبحث الأول:

قسم الله بذاته المقدسة في سورة النساء:

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرِبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَقَّ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بِيَنْهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مَمَّا فَصَيَّبَتْ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾^(١).

سبب نزول الآية:

١- جاء في الصحيحين^(٢) أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير في شراج^(٣) الحر^(٤) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اسق يا زبير، وأرسل الماء إلى جارك الأننصاري»، فقال الأننصاري: «إن كان ابن عمتك» فتلون وجه النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير: «أمسك الماء حتى يبلغ الجدر^(٥) ثم أرسله»، فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك: ﴿فَلَا وَرِبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَقَّ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بِيَنْهُمْ﴾.

٢- ويرى أنها نزلت في رجل من المنافقين نازع رجلاً من اليهود، فقال اليهودي: يبني ويبنك أبو القاسم، وقال المنافق: يبني وبينك الكاهن^(٦).
وقيل: قال المنافق: يبني وبينك كعب بن الأشرف^(٧).
ويترجح لي في سبب النزول القول الثاني، لأنه أشبه بنسق الآيات، وهي على العموم من يتحاكم إلى غير الله ورسوله، ثم تتناول بمومها قصة الزبير.

وهو ما رجحه الطبراني حيث قال: (وهذا القول أعني قوله من قال: عني به المحاكمان إلى الطاغوت اللذان وصف الله شأنهما في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الظَّرَبَتِ يَرْعَمُونَ أَنَّهُمْ مَاءْمُوا يَسَأَلُ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٨) أولى بالصواب، لأن قوله: ﴿فَلَا وَرِبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَقَّ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا

(١) سورة النساء الآية ٦٥.

(٢) أثرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشرب والمسافة، باب سكر الأنوار من ٤٠٤ برقم ٢٢٥٩، ومسلم في صحيحه مع شرح النووي، كتاب الفضائل، باب وجوب اتباعه (١٥)، برقم (١٠٧/١٥)، برقم (٢٢٧٥).

(٣) شراج: مسائل الماء من الجرار إلى المسؤولية جمع شرج يسكن الراء، انظر: لسان العرب لابن منظور ٢/٣٠٦ مادة (شرح).

(٤) الحر: أرض ذات سجارة سود نخرات كانوا آخرت بالنار، انظر: لسان العرب لابن منظور ٤/١٧٩ مادة (حرر)، المصباح المنير للقيومي ص ٧٦ مادة (حرر).

(٥) الجدي: ما رفع حول المزدعة لتسكك الماء كالجدار انظر: لسان العرب لابن منظور ٤/١٢٢.

(٦) انظر: أسباب النزول للواحدي من ٧٣، معلما التنزيل للبنوي ١/٤٤٩، جامع البيان للطبراني ١٩١/٥، أحكام القرآن لابن العربي ١/٤٧٠، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/٤٢٦، البحار الحفيظ لأبي حيان ٢/٤٠٤، لباب التقى في أسباب النزول للسيوطى من ٧٣.

(٧) انظر: أحكام القرآن لابن العربي ١/٤٧٠، زاد المسير لابن الجوزي ٢/١٤٨، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/٢٦٢.

(٨) سورة النساء، آية: ٦٥.

شَجَرَ يَنْهَمُ ﴿١﴾ في سياق قصة الذين ابتدأ الله الخبر عنهم بقوله: ﴿إِنَّمَا تَرَى إِلَيْكُمْ مِّا يَرَعُمُونَ أَنَّهُمْ أَمْتَوْا يِمَّا أُرْزَلَ إِلَيْكُم﴾، ولا دلالة تدل على انقطاع قصتهم، فالحال يبعض ذلك ببعض ما لم تأت دلالة على انقطاعه أولى^(١).

﴿فَلَا وَرِيَكَ﴾ أقسم بإضافة الرب إلى كاف الخطاب تعظيمًا للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو النتائج راجع إلى قوله: ﴿جَاءَكُمْ﴾^(٢).

واحتاجت الآية إلى القسم لأن الله قد نهى عن هؤلاء المنافقين الإيمان كما يزعمون، في حال يطعنهم الناس مؤمنين، ولا يشعر الناس بكفرهم، فلذلك احتاج الخير للتاكيد بالقسم وبالتوكييد اللفظي، لأنه كشف لباطن حالمهم^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرِيَكَ﴾ اختلاف المفسرين في (لا) على أقوال:

١- هي رد لزعمهم أنهم مؤمنون، والمعنى هنا، أي: ليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا، وهم يخالفون حكمك، ثم استأنف، فقال: ﴿وَرِيَكَ لَا يُؤْمِنُوكَ﴾^(٤).

٢- وقيل: قدم (لا) على القسم اهتماماً بالنفي، ثم كررها بعده تأكيداً للتهم بالنفي، وكان يصح إسقاطه لا الثانية، وببقى أكثر الاهتمام بتقديم الأولى، وكان يصح إسقاط الأولي ويبقى معنى النفي، ويدعى معنى الاهتمام^(٥).

٣- اللام زائدة قال الزمخشري: (لا مزيدة لتأكيد معنى القسم، كما زيدت في ﴿إِنَّمَا تَرَى﴾^(٦) لتأكيد وجوب العلم)^(٧).

قال البغوي: (يجوز أن يكون (لا) في قوله ﴿فَلَا وَرِيَكَ﴾ صلة، كما في قوله: ﴿لَا أَقِيمُ﴾^(٨)، والقول بأنها زائدة مردود لأن حكم التوكيد لا يقدم على المأكيد بل يتأخر عنه^(٩). ويترجح لي القول الثاني لأنهأشبه بنسق الآية.

(١) جامع البيان للطبراني ١٩١/٥.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/٢٦٦، البحر المحيط لأبي حيان ٢/٤٠٥.

(٣) التحرير والتحوير لابن عاشور ٤/١٧٧.

(٤) انظر: جامع البيان للطبراني ١٨٩/٥، زاد المسير لابن الجوزي ٢/١٤٨، التفسير الكبير للرازي ١٠/١٢١، البحر المحيط لأبي حيان ٣/٤٠٥.

(٥) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٢/٧٤، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/٢٦٦، البحر المحيط لأبي حيان ٣/٤٠٥، روح المعاني للألوسي ٥/٩٩، التحرير والتحوير لابن عاشور ٤/١٧٧.

(٦) سورة الحديد من الآية ٢٩.

(٧) الكشف للزمخشري ٢/١٠١.

(٨) سورة القيامة من الآية (١).

(٩) معالم التنزيل للبغوي ١/٤٤٩.

(١٠) انظر: شرح المفصل لابن عباس ٨/١٣٦.

قال ابن عاشور: (وليس (لا) هذه هي التي ترد مع فعل القسم مزيدة والكلام معها على الإثبات نحو (لَا أَقِيمُ^(١)) وفيه غير القسم (إِنَّا يَمْكُرُ أَهْلُ الْكِتَابَ^(٢)) لأن ذلك ليس الكلام معها على النفي، وهذه الكلام معها نفي، فهي تأكيد له على ما اختاره أكثر المحققين خلافاً لصاحب الكشف)^(٣).

جواب القسم (لَا يُؤْمِنُوكَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بِيَمِنَهُمْ لَمْ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَسَلِمُوا أَسْلِيمًا^(٤)).

(حَتَّى يُحَكِّمُوكَ^(٥)) حتى هنا غاية: أي ينتهي عنهم الإيمان إلى هذه الغاية، فإذا وجد بعد الغاية كانوا مؤمنين^(٦). (فِيمَا شَجَرَ بِيَمِنَهُمْ^(٧)).

قال الراغب: (الشَّجَارُ وَالْمَشَاجِرُ وَالتَّشَاجِرُ الْمَنَازِعَةُ)^(٨).

قال ابن عطية: (فِيمَا شَجَرَ بِيَمِنَهُمْ^(٩)) معناه: اختلط والتلف من أمرورهم، وهو من الشجر، شبيه بالتفاف الأغصان، وكذلك الشجير الذي امتزجت مواده بمودة صاحبه^(١٠).
فالآلية عامة في كل أمر وقع بينهم فيه نزاع وتجاذب^(١١).

(لَمْ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا^(١٢)) الحرج: الضيق والتلف والمتشقة^(١٣).

(وَسَلِمُوا أَسْلِيمًا^(١٤)) قال الرازى: (أما التسليم فهو تعديل يقال: سلم فلان أي عويف ولم ينشب به ثانية، وسلم هذا الشيء لفلان، أي خلص له من غير منازع، فإذا ثقلته بالتشديد فقلت: سلم له فعنده أنه سلم له وخلص له، هذا هو الأصل في اللغة)^(١٥).

والمعنى يسلموا لحكمك تسلیماً لا يدخلون على أنفسهم فيه شكأً أو حرجاً.

قال الألوسي: (وَسَلِمُوا أَسْلِيمًا^(١٦)) (أي: ينقادوا للأمر، ويدعنوا له بظاهرهم وباطلتهم كما يشعر به التأكيد)^(١٧).

(١) سورة القيامة من الآية (١).

(٢) سورة الحديد من الآية (٢٩).

(٣) التحرير والتواتر لابن عاشور (١٧٧/٤).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (٧١/٢).

(٥) المفردات في غريب القرآن للراغب من ٢٥٥.

(٦) المحرر الوجيز لابن عطية (٧١/٢).

(٧) البحر المحيط لأبي حيان (٤٠٥/٢).

(٨) معالم الترتيل للبغوي (١٤٩/١)، الكشف للزمخشري (١٠٢/٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٧٤)، زاد المسير (٢)، التفسير الكبير للرازى (١٣١/١٠)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى (٢٦٩/٥)، تفسير النفسى (٢٢٤/١)، روح المعانى (١٤٩)، لاللوسي (١٠٠/٥).

(٩) التفسير الكبير للرازى (١٣١/١٠).

(١٠) روح المعانى للألوسي (١٠٠/٥).

التناسب بين القسم وجواب القسم:

أقسم الله سبحانه وتعالى بلفظ الرب بقوله ﴿فَلَا وَرَبَّكَ﴾ ولفظ الرب لغة «التربية»، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام^(١).

والربوبية تقتضي الرعاية والتربية، و اختيار الأصلح للعباد، ومن ضمن ذلك تشريع ما يصلح للناس من أحكام، ومنها اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والتسليم لحكمه، وفي إضافة الرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ردأ على من طعن في الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يرض بحكمه.

قال ابن عثيمين: (وتأمل المناسبة بين القسم به والمقسم عليه، فالمقسم به ربوبية الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ، والمقسم عليه: هو عدم الإيمان إلا بتحكيم النبي صلى الله عليه وسلم تحكيمًا تاماً يستلزم الانشراح والإنتقاد والقبول، فإن ربوبية الله لرسوله تقتضي أن يكون ما حكم به مطابقاً لما أذن به ربه ورضيه، فإن مقتضى الربوبية أن لا يقره على خطأ لا يرضاه له)^(٢).

المبحث الثاني

قسم الله بذاته في سورة يومن

قال تعالى: ﴿وَسَتِّينَ شَوْنَاتٍ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِنِّي وَرِبِّي إِنَّهُ لَحَقٌ وَمَا أَنْتُ بِمُعْجِزٍ بِهِ﴾^(٣).

مناسبة الآية لما قبلها:

هذه الآية معلوقة على قوله تعالى: ﴿وَقَوْلُونَ مَنْ هَذَا الْوَعْدُ﴾^(٤) وهي حكاية عن فن من أهالين تكذيبهم، فمرة يتظاهرون باستبطاء الوعود استخفاهاً به، ومرة يقبلون على الرسول صلى الله عليه وسلم في صورة المستفهم الطالب هيأسلونه، وهذا العذاب وقيام الساعة حق؟^(٥).

قال ابن كثير: (وهذه الآية ليس لها نظير في القرآن إلا آياتان آخرتان، يأمر الله تعالى رسوله أن يقسم به على من أنكر المعاد في سورة سباء^(٦) و قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِيَ أَسْعَادُ قُلْ بَلْ وَرِبِّي لَتَأْتِيَكُمْ^(٧))^(٨)، وفي التغابن: ﴿رَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يَعْلَمُوا قُلْ بَلْ وَرِبِّي لَتَعْلَمُنَّ مِمَّا عَيْلَمْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٩).

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب ص ١٨٤ مادة (رب).

(٢) رسالة في زكاة الحلي لابن عثيمين ص ١٨.

(٣) سورة يومن آية ٥٣.

(٤) سورة يومن من الآية ٤٨.

(٥) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ١٠٤/١١.

(٦) سورة سباء آية ١٤.

(٧) سورة التغابن آية ٧.

(٨) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٤٢٠.

﴿وَسْتَعْلَمُونَكُم﴾ جاء في المصباح المنير: (أنبأته الخبر وبالخبر ونبأته به أعلنته، والنبيء على فueblo مهمور لأنه أنبأ عن الله) ^(١).

فقوله ﴿وَسْتَعْلَمُونَكُم﴾ بمعنى يستخبرونك ^(٢).
وقيل: يستعجلونك ^(٣).

وكلاهما بمعنى واحد فيستخbir ويستعلم بمعنى معرفة الخبر.

﴿أَنْهُ هُوَ﴾ هذا السؤال من المذكرين على جهة الاستهزاء منهم والإنكار ^(٤).
وبلا عود الضمير في ﴿أَنْهُ هُوَ﴾ قولين:
القول الأول: يعود إلى الشرع والقرآن ^(٥).
القول الثاني: يعود إلى الوعد والعقاب ^(٦).

ويترجح لي القول الثاني، وهو الذي يظهر من سياق الآيات، قال ابن عطية: (وهو الأظاهر) ^(٧).
 قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ قال ابن الجوزي: (وانما أقسم مع إخباره تأكيداً) ^(٨).
اختلاف العلماء في معنى (إي) على قولين:

القول الأول: قال ابن قتيبة (إي) بمعنى (بل) ولا تأتي إلا قبل اليمين صلة لها ^(٩).

القول الثاني: قال سيبويه: (إي والله، ونعم والله، أي أن الاثنين بمعنى واحد في القسم) ^(١٠).
ويترجح لي القول الثاني، قال أبو السعود: ((إي) من حروف الأيمان بمعنى نعم في القسم

(١) المصباح المنير للقيومي ص ٣٤٢ مادة (تبوا).

(٢) انظر: تفسير القرآن لابن المظفر ٢٨٨/٢، مالام التنزيل للبغوي ٢٥٧/٢، الكشاف للزمخشري ٣/١٤٩، المحرر الوجيز لابن عطية ١٢٥/٢، زاد المسير لابن الجوزي ٤/٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/٣٥١، إرشاد المقل السليم لأبي السعود ٤/١٥٤، البحر المحيط لأبي حيان ٥/٢١٦، تفسير القرآن المظيم لابن كثير ٢/٤٢٠.

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ١٢٥/٢.

(٤) الكشاف للزمخشري ٣/١٤٩، إرشاد المقل السليم لأبي السعود ٤/١٥٤، البحر المحيط لأبي حيان ٥/٢١٧، فتح القدير للشوكتاني ٢/٤٥٢.

(٥) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية ١٢٥/٢، التفسير الكبير للرازي ١٧/١٧، البحر المحيط لأبي حيان ٥/٢١٦، فتح القدير للشوكتاني ٢/٤٥٢.

(٦) انظر: مالام التنزيل للبغوي ٢٥٧/٢، المحرر الوجيز لابن عطية ٣/١٢٥، زاد المسير لابن الجوزي ٤/٣، التفسير الكبير للرازي ١٧/١٧، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/٣٥١، البحر المحيط لأبي حيان ٥/٢١٦، تفسير القرآن المظيم لابن كثير ٢/٤٢٠، إرشاد المقل السليم لأبي السعود ٤/١٥٤، روح المعاني للألوسي ١١/١٧٦.

(٧) المحرر الوجيز لابن عطية ١٢٥/٢، واختار هذا القول: أبو حيان في البحر المحيط ٥/٢١٧، والألوسي في روح المعاني ١١/١٧٦.

(٨) ((زاد المسير لابن الجوزي ٤/٣٤)).

(٩) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة من ٤٢٤.

(١٠) الكتاب لسيبوه ٢/٥٠١.

خاصة، كما (هل) بمعنى (قد) في الاستفهام خاصة^(١).

وقال ابن عاشور: «إِي بَكْسِرُ الْهِمْزَةِ حُرْفُ جَوَابِ تَحْقِيقِ مَا تَضْمِنُه سُؤَالٌ سَائِلٌ، فَهُوَ مَرَادُ (نعم) وَلَكِنْ مِنْ خَصَائِصِ هَذَا الْحُرْفِ أَنَّهُ لَا يَقْعُدُ إِلَّا وَيَعْدُهُ الْقَسْمُ»^(٢).

-جواب القسم: ﴿إِنَّهُ لَحَقٌ وَمَا أَشَدِيْمُعْجِزِيْكَ﴾.

فَأَكَدَ اللَّهُ الْوَعْدُ بِهِذَا الْجَوَابِ مِنْ وِجْوهِ^(٣):

١-القسم مع دخول الحرف الخاص بالقسم الواقع موقع نعم.

٢-دخول (إن) المؤكدة.

٣-اللام في (لحق).

٤-إسمية الجملة.

قوله ﴿وَمَا أَشَدِيْمُعْجِزِيْكَ﴾ معجزين أي: مفلتين^(٤).

والمعنى: لستم ممن يعجز، أن يُجازى على كفره^(٥).

قال ابن كثير: (إِي لَيْسَ صِيرَوْتُكُمْ تِرَابًا بِمَعْجَزِ اللَّهِ عَنْ إِعْادَتِكُمْ، كَمَا بَدَأْتُمْ مِنْ الْعَدْمِ)^(٦).
التناسب بين القسم وجوابه:

في القسم بربوبية الله ﴿إِي وَرَقَ﴾ إشارة إلى ما تقتضيه ربوبته من تربية الناس، والقيام بمصالحهم، وبكل ما من شأنه تفعهم دنيا ودين، ومن أعظم ما تستقيم به حياتهم الإيمان بالبعث والجزاء.

وأضاف الربوبية إلى رسوله صلى الله عليه وسلم ردًا على المكذبين له والمستهزئين به فقولهم ﴿أَنْتُمْ هُوَ﴾ هو على جهة الاستهزاء فجاء الجواب ﴿إِنَّهُ لَحَقٌ﴾ تأكيدًا لما أنكروه.

قال الرازمي: (أن من أخبر عن شيء وأكده بالقسم فقد أخرجه عن الهزل وأدخله في باب الجد)^(٧).

(١) إرشاد المقل السليم لأبي السعود ٤/١٥٥.

(٢) التحرير والتواتر لابن عاشور ١١/١٠٥. وهو اختيار كثير من المفسرين، انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/٢١، تفسير القرآن لأبي المظفر ٢/٢٨٨، معلم التنزيل للبنوي ٢/٣٥٧، الكشاف للزمخشري ٢/٤٤، زاد المسير لابن الجوزي ٤/٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/٥٥١، البهر المحيط لأبي حيان ٥/٢١٧، روح المعاني للألوسي ١١/١٧٧.

(٣) فتح القدير ٢/٤٥٢، التحرير والتواتر ١١/١٥٥.

(٤) انظر: تفسير القرآن لابن المظفر ٢/٢٨٨، معلم التنزيل للبنوي ٢/٣٥٧، المحرر الوجيز لابن عطية ٢/١٢٥، المحرر المحيط لأبي حيان ٥/٢١٧، إرشاد المقل السليم لأبي السعود ٤/١٥٤، فتح القدير للشوکانی ٢/٤٠.

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/٢١.

(٦) تفسير القرآن المعلّم لابن كثير ٢/٤٢٠.

(٧) التفسير الكبير للرازي ١٧/٨٠.

المبحث الثالث

قسم الله بذاته المقدسة في سورة سباء،

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا الْسَّاعَةُ قُلْ بَلْ وَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا يَعْرِفُ عَنْهُ مِنْ قَالٌ دَرَقَ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَنْسَفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ شَيْئَنِ ﴾^(١). مناسبة الآية لما قبلها:

لما بين الله عظمته بما وصف نفسه في قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَكُونُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾^(٢). وكان هذا موجباً لتعظيمه وتقديسه والإيمان به، ذكر تعالى في هذه الآية أن من أصناف الناس طائفة لم تقدر ربها حق قدره ولم تعظم حق عظمته، بل كفروا به وأنكروا قدرته على إعادة الأموات، وقيام الساعة)^(٣).

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾^(٤) ويلة المراد بهم قوله^(٥):

القول الأول: أهل مكة^(٦).

القول الثاني: قال مقاتل: قال أبو سفيان لكافار مكة: (واللات والعزى لا تأتينا الساعة أبداً ولا نبعث)، فأمر الله نبيه أن يقسم مقابل قسم أبو سفيان ردًا وتكذيبًا وإيجابًا لما نفاه، ويترجح لي أن المراد بهم الكفارة على العموم فتطلق على كفار مكة وغيرهم.

قال أبو السعود: (أراد بضمير المتكلم جنس البشرية قاطبة لا أنفسهم أو معاصرיהם فقط)^(٧).

﴿ لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ ﴾ أي: لا تأتي بحال من الأحوال، إنكار منهم لوجودها لا مجرد إتيانها في حال تكلفهم أو في حال حياتهم مع تحقق وجودها فيما بعد^(٨). رد الله على الكفار وأمر رسوله أن يقول لهم ﴿ قُلْ بَلْ وَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا يَعْرِفُ ﴾ وهذا القسم لتأكيد الإتيان^(٩).

﴿ بَلْ وَرَبُّكُمْ ﴾

(١) سورة سباء الآية ٢.

(٢) سورة سباء الآية ٢.

(٣) انظر: التحرير والتقوير لابن عاشور ١٠/٢٢.

(٤) ذكر القولان: القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٤/٣٦٠، وابن عطيه في المحرر الوجيز ٤/٤٠٥.

(٥) انظر: فتح القدير للشوكتاني ٤/٣١٢.

(٦) إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٧/١٢١، روح المعانى للألوysi ٢٢/٣٧٥.

(٧) انظر: تفسير النسفي ٢/٣٦٠، إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٧/١٢١، فتح القدير للشوكتاني ٤/٣١٢، روح المعانى للألوysi ٢٢/٣٧٥.

(٨) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٧/١٢١، فتح القدير للشوكتاني ٤/٣١٢.

(بل) حرف جواب مختص بـإبطال النفي، وهو حرف إيجاب لما نفاه كلام قبله، وهو نظير (بل)، أو مركب من (بل) وألف زائدة^(١).

جواب القسم: فأوجب الله ما بعد النفي ﴿لَا تَأْتِنَا الْمُتَعَذِّثُ﴾ بيل على معنى: إن ليس الأمر إلا إتيانها، ثم أعيد إيجابه مؤكداً بما هو الغاية في التوكيد والتشديد، وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل، ثم أكد التوكيد القسمى إمداداً بما اتبع المقسم به من الوصف فقال: (عالم الغيب) لأن عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وبشدة ثباته واستقامته لأنه بمنزلة الاستشهاد على الأمر وكلما كان المستشهد به أرفع منزلة كانت الشهادة أقوى وأكذب والمستشهد عليه أثبت وأرسخ^(٢).

﴿عَلَيْرَ الْغَيْبِ﴾ خص هذا الوصف بالذكر من بين الأوصاف مع أن كل وصف يقتضي العظمة يتأنى به ذلك مما أن له تعلقاً خاصاً بالقسم عليه فإنه أشهر إفراد الغيب في الخفاء فقيه مع رعاية التأكيد حسن الإقسام^(٣).

﴿لَا يَكُرُبُ﴾ أي: لا يغيب عنه ولا يستتر عليه ويعبد^(٤).

﴿مَقْنَعٌ ذَرَقَ فِي الْمَسْكُورَتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْبَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾ أي: لا يغيب عنه ذرة في السماوات والأرض، ولا أصغر من الذرة ولا أكبر منها إلا في علمه سبحانه وتعالى فمن قدر على ذلك فهو قادر على قيام الساعة.

﴿إِلَّا فِي سَكَنَتِ مُبِينٍ﴾ وهو اللوح المحفوظ والمعنى: إلا وهو مثبت في اللوح المحفوظ الذي اشتمل على معلومات الله سبحانه فهو مؤكد لنفي الغروب^(٥).

وجه التناقض بين القسم وجوابه:

إن في إنكار الكفار لقيام الساعة طعن في الرسول صلى الله عليه وسلم المبلغ لهذا القرآن. فأقسم الله بربوبيته لرسوله، والربوبية تقتضي اختيار الأصلح للعباد، والقيام بمصالحةهم وشؤونهم الدنيوية والأخروية ومنها قيام الساعة وفي إضافة المقسم به إلى رسوله صلى الله عليه وسلم انتصاراً لرسوله، ورداً على المكذبين.

(١) التحرير والتغوير لابن عاشور ١١/٢٢.

(٢) انظر: الكشف للزمخشري ٥/٦٠، تفسير التسفي ٢/٣١٧، البحر المحيط لأبي حيان ٧/٣١٤، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٥٤٥، إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٧/١٢١.

(٣) روح المعاني للألوسي ٢/٣٧٦.

(٤) انظر: تفسير القرآن لابن المظفر ٤/٣١٦، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤/٢٦٠، تفسير التسفي ٣/٣١٧، إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٧/١٢١، فتح القدير ٤/٣٢٢.

(٥) جامع البيان للطبراني ٢٢/٧٧، تفسير التسفي ٣/٣١٧، إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٧/١٢١، فتح القدير للشوكتاني ٤/٣١٢، روح المعاني للألوسي ٢٢/٣٧٧.

قال الزمخشري: (جاء بالقسم بالرب للإشارة إلى أن إيقانها من شؤون الربوبية، وأنى به مضافاً إلى ضميره صلى الله عليه وسلم ليدل على شدة القسم)^(١). وأكيد سبحانه وتعالى قيام الساعة بما وصف سبحانه نفسه من الأوصاف التي تدل على قدرته على قيام الساعة.

المبحث الرابع

قسم الله بذاته المقدسة في سورة التفابن:

قال تعالى: ﴿رَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّمْ يَعْتَدُوا مَلَى وَرَبِّ الْعِزَّةِ لَمْ يَعْمَلُوا بِمَا عَلِمُوا وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِسِيرٍ ﴾^(٢). مناسبة الآية لما قبلها: الآية ضرب من ضروب كفر المشركين المخاطبين بقوله تعالى: ﴿أَرَيْتَ كُلَّ نَبِيٍّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾^(٣) وهو كفرهم بإنكار البعث والجزاء^(٤). ﴿رَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

قال عبد الله بن عمر: (الرَّاعِمُ كُنْيَةُ الْكَذَّابِ)^(٥). وقال ابن عطية: (لا توجد «رَاعِم» مستعملة في فصيح من الكلام إلا عبارة عن الكذب)^(٦). ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: أهل مكة^(٧).

قال ابن عطية: ي يريد قوله ثم هي تعم كل كافر بالبعث^(٨). ﴿فُلِّيَّ لَنْ وَرَبِّ الْعِزَّةِ﴾

أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجيب نفيهم بما يقتضي الرد عليه إيجاب البعث، وأن يؤكد ذلك بالقسم^(٩).

(١) الكشف للزمخشري ١٠٦/٥، روح المعاني للألوسي ٣٧٦/٢٢.

(٢) سورة التفابن الآية ٧.

(٣) سورة التفابن الآية ٥.

(٤) التحرير والتنوير لأبن عطية ٢٤٢/٢٨.

(٥) جامع البيان للطبراني ١٣٦/٢٨، روح المعاني للألوسي ٤٢٣/٢٨.

(٦) المحرر الوجيز لأبن عطية ٢١٩/٥.

(٧) الكشف للزمخشري ٦، التفسير الكبير للرازي ٢٠/٢٢، إرشاد المقل السليم لأبي الصمود ٨/٢٥٦، روح المعاني للألوسي ٢٢٢/٢٨، التحرير والتنوير لأبن عاشور ٢٤٢/٢٨.

(٨) المحرر الوجيز لأبن عطية ٢١٩/٥.

(٩) المحرر الوجيز لأبن عطية ٢١٩/٥، وانظر: معلم التنزيل للبيهقي ٤/٢٥٢، التفسير الكبير للرازي ٣٠/٢٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨/١٣٥، فتح القدير للشوکانی ٥/٢٢٦، روح المعاني للألوسي ٢٨/٤٤، التحرير والتنوير لأبن عاشور ٢٤٢/٢٨.

(بن) إثبات لما بعد حرف النفي^(١).

- جواب القسم «لَتَعْشُنَّ مِمَّا لَبَيْتُونَ يَا عَيْلَتُمْ وَذَلِكَ عَلَى أَلْهَيْرِ»^(٢).

وفي تأكيد الجواب «لَتَعْشُنَّ» باللام والنون كأنه قسم بعد قسم^(٣).

«لَمْ لَتَبْتُونَ يَا عَيْلَتُمْ» أي: لتخبرن بجميع أعمالكم جليها وحقيقتها وكبيرها وكم.

قال أبو السعود: (قوله تعالى: «وَرَبِّي لَتَعْشُنَّ مِمَّا لَبَيْتُونَ يَا عَيْلَتُمْ») أي: لتعالين ولتجزون بأعمالكم جملة مستقلة داخلة تحت الأمر واردة لتأكيد ما أفاده كلمة (بن) من إثبات البعث وبيان تحقيق أمر آخر متفرق عنه متوكلا به فقيه تأكيد لتحقيق البعث بوجهين^(٤).

«وَذَلِكَ عَلَى أَلْهَيْرِ»^(٥)

أي: ما ذكر من البعث والجزاء على الله يسير لتحقق القدرة التامة^(٦).

وجه التنااسب بين القسم وجوابه:

في زعم الكفار أن لا بعث طعن في الرسول صلى الله عليه وسلم واستهزاء به.

فأقسم سبحانه وتعالى بربوبيته لرسوله صلى الله عليه وسلم لأن قيام الساعة من شئون الرب وفي إضافة المقسم به إلى رسوله صلى الله عليه وسلم انتصار رسوله ورد على المكذبين بقيام الساعة.

قال ابن عاشور: (الآية وعيد وتهديد بجزاء سيء لأن المقام دليل على أن عملهم سيء وهو تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم وإنكار ما دعاهم إليه)^(٧).

«وَأَكَدَ اللَّهُ قِيامَ السَّاعَةِ بِمَا جَاءَ فِي أَخْرِ الْآيَةِ» «وَذَلِكَ عَلَى أَلْهَيْرِ» فالعسير في متعارف الناس لا يسر على الله^(٨).

(١) التفسير الكبير للرازي، ٢٢/٣٠، البحر المحيط لأبي حيان ٨/٢٨٨، هنح التقدير للشوكتاني، ٢٣٦/٥، التحرير والتلويز لابن عاشور ٢٨/٢٤٢.

(٢) التفسير الكبير للرازي، ٢٢/٣٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٢٧٤.

(٤) إرشاد العقل السليم لأبي السعود، ٢٥٧/٨، روح المعانى للألوسى، ٤٢٤/٢٨.

(٥) إرشاد العقل السليم لأبي السعود، ٢٥٧/٨.

(٦) التحرير والتلويز لابن عاشور ٢٨/٢٤٤.

(٧) انظر: التحرير والتلويز لابن عاشور ٢٨/٢٤٤.

المبحث الخامس

قسم الله بذاته المقدسة في سورة الحجر

﴿فَوَرِكَ لَتَنَاهُمْ أَجَمِينَ ﴾١٧ ﴿عَنَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾١٨﴾

صلة الآية بما قبلها:

قال ابن عاشور: (الفاء في قوله ﴿فَوَرِكَ﴾ للتفريع على ما سبق من قوله: ﴿وَرِكَ﴾
 الساعَةَ لَزِيَّةَ فَاصْبَحَ الصَّفَعَ الْجَبِيلَ ﴾١٩﴾) جواب القسم قوله تعالى: ﴿لَتَنَاهُمْ أَجَمِينَ ﴾٢٠﴾ ﴿عَنَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾٢١﴾
 قوله: ﴿لَتَنَاهُمْ أَجَمِينَ ﴾٢٢﴾

اختلف المفسرون على توجيه السؤال على قولين:

القول الأول: من العلماء^(١) من جعل السؤال متوجهاً إلى المقتسمين^(٢) الذين جعلوا القرآن عضين^(٣).
 ويكون التقدير أنه تعالى أقسم بنفسه أن يسأل هؤلاء المقتسمين مما كانوا يقولونه من اقسام
 القرآن وعن سائر المعاصي.

(١) سورة الحجر الآيات ٩٣-٩٢.

(٢) سورة الحجر الآية ٨٥.

(٣) التحرير والتبيير لابن عاشور ٦٩/١٢.

(٤) انظر: التفسير الكبير للرازي ١٦٩/١٩، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠٩/١، البحر المحيط لأبي حيان ٥/١٠٦، فتح القدير للشوكاني ٢/١٤٣.

(٥) يأ الآية التي قبلها " كما أشرنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين " الحجر ٩٢-٩١ واحتفلت أقوال المفسرين في المراد بالمقتسمين ومردها إلى ثلاثة أقوال، الأول: اليهود والنصارى، وإنما وصفوا بأنهم مقتسمون لأنهم افترضوا كثيرون فأمنوا ببعضها وكفروا ببعضها، أو لأنهم استهزءوا بالقرآن هيقول هذه السورة لي وهذه السورة لك، الثاني: جماعة من كتاب قریش افترضوا القرآن بأقوالهم فقال بعضهم: هذا شعر، وقال بعضهم: هو سحر، وقال بعضهم: كهانة، وقال بعضهم: أساطير الأولين، الثالث: هم قوم صالح تقاسموا لنبته وأهله، فرمتمهم الملائكة حتى قتلتهم، فعلى هذا الاقسام من القسم لا من القسمة، انظر: جامع البيان للطبراني ١٤/٧٥، التفسير الكبير للرازي ١٦٩/١٩، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٥٥٨، أضواء البيان للشافعى ٣/١٢٤، واختصار الطبرى العموم وقال: (إذا لم يكن في التزيل دلالة على أنه عنى به أحد الفرق الثلاثة دون الآخرين، ولا خير من رسول الله ﷺ، ولا يليق طرفة عين)، وكان ظاهر الآية محتملاً ما وصفت، وجب أن يكون مقتضاها بأن كل من افترض كتاباً لله بتکذيب بعض وتصديق بعض، وأفتض على معصية الله ومن حل به عاجل نقمته الله في الدار الدنيا هيئ نزول هذه الآية، فإذا دخل في ذلك لأنهم لأنكالهم من أهل الكفر بالله كانوا عبرة للمتعظين بهم منهم عظة)، جامع البيان للطبراني ١٤/٧٨.

(٦) عضين: قيل هو جم عضو مأخوذ من قولهم عضيت الشيء تضيية، إذا طرقته ومعنى أنهما جعلوا القرآن أعضاء، فقال بعضهم: سحر، وقال بعضهم: كهانة، وقال بعضهم: أساطير الأولين، وقيل: هو جم عضة، يقال عضة وغضين مثل بره وبرين وعزبة وعزمين وأصلها عضة، والمراد بالعصبة الكتب والنبيات، وقيل المراد بالغضين العضة وهو السحر يرىده أنهم سمو القرآن سحراً، انظر: معاجم التزيل لليفوي ٢/٥٨، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/٥٩.

القول الثاني: ذهب بعض أهل العلم^(١)، أن السؤال راجع إلى جميع المكلفين أي: لجميع الخلق المؤمن والكافر.

قال ابن عطية: (فَوَرِبِكَ لَتَشَائِهُمْ كُلُّهُ إِلَى آخر الآية، ضمير عام، ووعيد محض يأخذ كل أحد منه بحسب جرمته وعصيانه، فالكافر يسأل عن لا إله إلا الله، وعن الرسل، وعن كفره وقصده، والمؤمن العاصي يسأل عن تضييعه، والإمام عن رعيته، وكل مكلف بما كلف به)^(٢).
والذي يتراجع له القول الأول، تسياق الآيات.

قال الطبرى: (يقول الله لنبيه محمد فوربك لنسألن هؤلاء الذين جعلوا القرآن في الدنيا عصباً في الآخرة عما كانوا يعملون في الدنيا)^(٣).

(عَنْ أَكْثَارِهِمْ يَعْمَلُونَ) قال ابن المظفر: «جميع الأعمال التي يعملونها الداخلة تحت التكليف»^(٤).
وجه التناقض بين القسم وجوابه:

إن قول المكذبين وزعمهم أن القرآن شعر، وسحر، وكهانة .. ونحو ذلك من الأقوال فيه طعن للقرآن، وفي الرسول المبلغ لهذا القرآن.

«فأقسم الله بذاته وربوبيته مضافاً إلى رسوله صلى الله عليه وسلم على جهة التشريف، وإظهار الحلف به»^(٥).

قال ابن عاشور: «ووصف الرب مضافاً إلى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم إيماء على أن في السؤال المقصى عليه حظاً من التغويه به، وهو سؤال الله المكذبين عن تكذيبهم إياه سؤال رب يخضب لرسوله صلى الله عليه وسلم»^(٦).

(١) انظر: معالم التزيل للبغوي ٥٨/٣، التفسير الكبير للرازى ١٦٩/١٦، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦٠/١٠، تتح القدير للشوكتانى ١٤٢/٢.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ٣٧٥/٣.

(٣) جامع البيان للطبرى ٨١/١٤.

(٤) تفسير القرآن لابن المظفر ١٥٣/٢.

(٥) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ٦٠١/٥، إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٨٢/٥.

(٦) التحرير والتغويه لابن عاشور ٦٩/١٢.

المبحث السادس

قسم الله بذاته المقدسة في سورة مريم:

قال تعالى: ﴿فَوَرِبَكَ لَنْحَشِرُهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنْخَضِرُهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ حَتَّىٰ﴾^(١).

صلة الآية بما قبلها:

لما أقام الله البرهان على البعث بقوله تعالى ﴿أَوْلَىٰ يَذَكُّرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلِ وَلَمْ يَرِكْ شَيْئًا﴾^(٢) وهذه الحجة أجمع العقلاة على أنه لم يكن في حجج البعث أقوى منها، أكدتها بالقسم في هذه الآية^(٣).

قوله تعالى ﴿فَوَرِبَكَ﴾

أقسم الله تبارك وتعالى بنفسه الكريمة أنه لا بد أن يحضرهم جميعاً وشياطينهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله^(٤).

- جواب القسم ﴿لَنْحَشِرُهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنْخَضِرُهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ حَتَّىٰ﴾^(٥) وفي القسم على ذلك دون البعث إثبات له على أبلغ وجه وأكده كأنه أمر واضح غني عن التصریح بعد بيان إمكانه بما تقدم من الحجة البالغة وإنما المحتاج إلى البيان ما بعد ذلك من الأهوال^(٦).

قوله تعالى: ﴿لَنْحَشِرُهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾

المعنى: أن هؤلاء الجاحدين يحضرهم الله مع شياطينهم الذين أغووهם وأضلواهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة^(٧).

وعلف الشياطين على ضمير المشركين، لقصد تحيرهم بأنهم يحرسون مع أحقر جنس وأفسدته، ولإشارة إلى أن الشياطين هم سبب ضلالهم الموجب لهم هذه الحالة^(٨).

﴿ثُمَّ لَنْخَضِرُهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ حَتَّىٰ﴾

قال الزجاج: (جثياً جمع جاث، وجثي، مثل قاعد وقعد وبارك وبروك، والأصل ضم الجيم

(١) سورة مريم، الآية ٦٨.

(٢) سورة مريم، الآية ٦٧.

(٣) انظر: فتح القدير للشوکانی ٢٤٢/٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٢١/٢.

(٥) روح المعاني للألوسي ٧٧/١٦.

(٦) انظر: تفسير القرآن لابن المظفر ٢٠٦/٢، معاجم التنزيل للبلوي ٢٢/٢، جامع البيان للطبراني ٢٤، الكشاف للزمخشري ٤/٤، المحرر الوجيز لابن عطية ٢٦/٤، زاد المسير لابن الجوزي ١٧٦/٥، التفسير الكبير للرازي ٢٠٦/٢١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١، البحر المحيط لأبي حيان ٢٥٦/٦، إرشاد العقل الصاليم لأبي السعود ٢٧٥/٥، أضواء البيان للشنقيطي ٤، ٢٤٢/٤.

(٧) انظر: التحرير والتوری لابن عاشور ٦٧/١٦.

وجائز كسرها إتباعاً لكسرة الآية^(١).

الجئي جمع جاث: من قولهم جث على ركبته يجثوا جثوا والمعنى جاثين على ركبهم لما يصيبهم من هول الموقف وروعه الحساب، أو لكون الجئي على الركب شأن أهل الموقف، كما في قوله تعالى: ﴿وَرَأَى كُلَّ أُثْرَجَاهِيَّةَ﴾^(٢).

فأخبر الله تعالى أنه يحضر هؤلاء المنكرين للبعث مع الشياطين فيجثون حول جهنم وهي قعدة الخائف الذليل على ركبته كالأسير^(٣).

ووجه التناقض بين القسم وجوابه:

بما أن سياق الآيات يشعر باستهزاء هؤلاء المكذبين للبعث، وتكتنفهم للرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ إِذَا مَا يُمْتَلَئُ سَوْفَ أَخْرَجْ حَيَا﴾^(٤).

فأقسم الله بربوبيته لرسوله صلى الله عليه وسلم ، والربوبية تقتضي اختيار الأصلح للعباد، والدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

«ويق إضافة الربوبية للرسول صلى الله عليه وسلم تشريفاً وتمظيناً له»^(٥).

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٧٦/٢

(٢) سورة الجاثية، الآية ٢٨

(٣) فتح الباري للشوكاني ٢٤٢/٢

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية ٢٦/٢

(٥) سورة مريم، الآية ٦٦

(٦) انظر: الكشاف للزمخشري ٤١/١، التفسير الكبير للرازي ٢٠٦/٢١، تفسير النسفي ٤١/٣، البحر المحيط لأبي حيان ١/٢٥٦، إرشاد العقل السليم لأبي المسعود ٢٧٥/٥، روح المانع ٦٠٧/١٦، التحرير والتبيير ٦٧/١٦.

المبحث السابع

قسم الله بذاته المقدسة في سورة الذاريات:

قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّ أَشْمَاءٍ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَعَنِ يَتَّلَ مَا أَكَلُمُ نَطْفَوْنَ﴾^(١).

صلة الآية بما قبلها:

أكد ما أخبرهم به سبحانه وتعالى منبعث وما خلق في السماء من الرزق في قوله تعالى:

﴿وَفِي الْأَسْمَاءِ يَرْدِنُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾^(٢)، وأقسم بنفسه على صحة ذلك^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ أَشْمَاءٍ وَالْأَرْضِ﴾

ـ جواب القسم ﴿إِنَّهُ لَعَنِ يَتَّلَ مَا أَكَلُمُ نَطْفَوْنَ﴾ في قوله: ﴿إِنَّهُ لَعَنِ﴾ في عود الضمير «إنه»

خمسة أقوال^(٤):

القول الأول: إلى القرآن، أي: أن القرآن حق^(٥).

القول الثاني: إلى الدين^(٦)، في قوله تعالى: ﴿وَلَا أَبْيَدُ لَكُمْ﴾^(٧).

القول الثالث: ما ذكر في الآية السابقة: ﴿وَفِي الْأَسْمَاءِ يَرْدِنُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾^(٨) من أمر الرزق^(٩).

القول الرابع: أمر الرسول، أي: ما أتي به النبي صلى الله عليه وسلم حق^(١٠).

القول الخامس: ما وعدوه من الجزاء، والبعث، والنشور^(١١).

ويترجح لي القول الرابع، وهو الذي يظهر من سياق الآيات فقد افتتحت المaura بالقسم على تحقيق البعث والجزاء وكذلك ما بعدها من الآيات.

قال أبو حيان: (والذي يظهر أنه عائد على الإخبار السابق من الله تعالى فيما تقدم في هذه

(١) سورة الذاريات آية ٢٢.

(٢) سورة الذاريات آية ٢٢.

(٣) انظر: المعرف الوجيز لابن عطية ١٧٧/٥، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤١/١٧.

(٤) ذكر الأقوال الأربعية أبو حيان في البحر المحيط ١٩٥/٨، والألوسي في دروح المعانى ٦٦/٢٧.

(٥) انظر: التفسير الكبير للرازي ٢٨/١٧٩، فتح القدير للشوكتاني ٨٥/٥.

(٦) التفسير الكبير للرازي ٢٨/١٧٩.

(٧) سورة الذاريات آية ٦.

(٨) سورة الذاريات آية ٢٢.

(٩) انظر: معانى القرآن وإعرابه للزجاج ٤/٤٤، معالم التنزيل للبغوي ٤/٢٣١، جامع البيان للطبرى ٢٦/٢٤١، الكشاف

للزمخشري ٥/٦١١، زاد الممیر لابن الجوزي ٧/٢٠٧، تفسير التفسي ٤/١٨٤، إرشاد العقل السليم لأبي المسعود

٨/١٣٩، فتح القدير للشوكتاني ٥/٨٥.

(١٠) انظر: الكشاف للزمخشري ٥/٦١١، زاد الممیر لابن الجوزي ٧/٢٠٧.

(١١) معانى القرآن وإعرابه للزجاج ٤/٤٤، الكشاف للزمخشري ٥/٦١١، تفسير التفسي ٤/١٨٤، البحر المحيط لأبي

حيان ٨/١٩٥، التحرير والتواتر لابن عاشور ٢٧/٢٢.

السورة من صدق الموعود ووقوع الجزاء^(١).

﴿يَتَلَّ مَا أَكْثَمْ نَطَقُونَ﴾

شبه سبحانه وتمالى تحقيق ما أخبر عنه من أمر البعث والجزاء بتحقيق نطق الآدمي.

قال الفراء: (إنه لحق كما أن الآدمي ناطق)^(٢).

قال بعض الحكماء: كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره،

ذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له، ولا يقدر أن يأكل رزق غيره^(٣).

وجه التناقض بين القسم وجوابه:

أقسم سبحانه وتمالى بربوبيته، لأن البعث والحساب هي من مقتضيات الربوبية وفي القسم بربوبية الله مضاقة إلى السماوات والأرض، أكبر دليل على صدق ما يوعدون من البعث والجزاء، فخلق السماوات والأرض وتسخير ما فيها من المخلوقات من الحيوانات والجمادات وسائر صنوف الموجودات فمن قدر على ذلك كله هو قادر على البعث والجزاء.

(والقسم برب السماء والأرض أعظم قسم بأعظم مقسم به على أجل مقسم عليه، وأكدر سبحانه الإخبار بهذا القسم ثم أكد بتشبيهه بالأمر الحق الذي لا يشك فيه ذو حسنة سليمة)^(٤).

المبحث الثامن

قسم الله بذاته في سورة المعارج:

قال تعالى: ﴿كَلَّا لَّا حَفَّنَاهُمْ بِمَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا أَقِيمُ بَيْنَ الشَّرِيقَيْنَ لِتَنْبِيَهِنَّ ﴿٢٧﴾ عَلَى أَنْ يُنَبَّئُ
خَيْرَنَّهُمْ وَمَا لَهُمْ بِسَبِيلٍ﴾^(٥).

صلة الآية بما قبلها:

قال ابن عاشور: (الآية انتقال من إثبات الجزاء إلى الاحتجاج على إمكان البعث ببطأ لشبههم الباعثة على إنكاره، وهو الإنكار الذي ذكر إجمالاً بقوله المتقدم آنفاً ﴿إِنَّمَا يَرَوْنَهُ يَوْمًا
وَرَبَّهُ فِيَّ﴾^(٦) فاحتاج عليهم بالنشارة الأولى)^(٧).

قال ابن القيم: (أقسم سبحانه برب المشارق والمغارب، وهي إما مشارق النجوم ومقاربها، أو

(١) البحر المحيط لأبي حيان ١٩٥/٨.

(٢) معانى القرآن للفراء ٢، ٨٥/٢.

(٣) معالم التنزيل للبغوي ٤، ٢٢١/٤، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٢/١٧.

(٤) أسلوب الشرط والقسم تصريح عمر شوحن ١٢.

(٥) سورة المعارج، الآيات من ١١-٢٩.

(٦) سورة المعارج ٦-٧.

(٧) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٦٥/٢٩.

مشارق الشمس ومغاربها، أو كل موضع من الجهة مشرق ومغرب، فلذلك جمع في موضع، وأفرد في موضع، وتنقسم في موضع آخر^(٨).

فقوله ﴿بِرَبِّ الْشَّرْقِ وَالْغَربِ﴾ يعني مشرق كل يوم من أيام السنة ومغاربه^(٩).

فوله تعالى: «فلا أقسام»:

ظاهره التقى، والحال أنه أقسام، بدليل جواب القسم بهذه^(١٠).

قال ابن كثير: (أني بـ(لا) في ابتداء القسم ليدل على أن المقسم عليه تقى، وهو الرد على زعمهم الفاسد في تقى يوم القيمة، وقد شاهدوا من عظيم قدرة الله ما هو أبلغ من إقامة القيمة، وهو خلق السماوات والأرض)^(١١).

جواب القسم: ﴿إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾ ﴿عَلَّمْنَا نُبَيِّنُ خَيْرَهُمْ وَمَا يَخْنُونَ يَسْبِيُونَ﴾.

(قسم الله في هذه الآية بمخلوقاته على إيجاب قدرته على أن يبدل خيراً من ذلك العالم، وأنه لا يسبقه شيء إلى إرادته)^(١٢).

وقد اختلف المفسرون في المراد بالتبديل في قوله تعالى: ﴿بَيْوَلْ خَيْرَهُمْ﴾ على قولين:

القول الأول: خلق أمثل منهم، وأطوع الله حين عصوه وبهلك هؤلاء.

قال ابن القيم: (فحديث وقع التبديل بخير منهم فهو إخبار عن قدرته على أن يذهب بهم ويأتي بأطوع وأبقى له منهم في الدنيا)^(١٣).

وهو مذهب جمهور المفسرين^(١٤)، وهو ما يظهر لي.

القول الثاني: يوم القيمة يعيدهم الله بأبدان خير من أبدانهم^(١٥).

﴿وَمَا يَخْنُونَ يَسْبِيُونَ﴾

أي: بمخلوبين أن أردنا ذلك بل نفعل ما أردنا لا يفوتنا شيء، ولا يعجزنا أمر، ولكن مشيئتنا

(٨) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم من ١١٢.

(٩) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٧٥/٥، معالم التنزيل للبغوي ٣٦٦/٤، زاد المسير لابن الجوزي ٩٥/٨، التفسير الكبير للرازي ٢٦٤/٥، روح المعاني للألوسي ٩٧/٢٩.

(١٠) أضواء البيان للشنقيطي ٤٢٠/٨.

(١١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٢٢/٤.

(١٢) انظر: الكشف للزمخشري ٢١١/٦، المحرر الوجيز لابن عطية ٣٧١/٥، البحر المحيط لأبي حيان ٤٧٢/٨.

(١٣) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم من ١١٤.

(١٤) انظر: تفسير القرآن لأبي المظفر ٥٢/٦، معالم التنزيل للبغوي ٣٦٦/٤، جامع البيان للطبراني ٢٩٥/١٨، المحرر الوجيز لابن عطية ٣٧١/٥، زاد المسير لابن الجوزي ٩٥/٨، التفسير الكبير للرازي ١١٧/٣٠، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٩٥/١٨، تفسير النسفي ٢٩٢/٤، إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٣٥/٩، روح المعاني للألوسي ٩٧/٢٩.

(١٥) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٢٢/٤، التحرير والتتوير لابن عاشور ١٦٧/٢٩.

وسبق علمنا اختتنا تأخير عقوبة هؤلاء وعدم تبديلهم بخلق آخر^(١).

وجه التناصب بين القسم وجوابه:

أقسم الله برب المشارق والمغارب على إثبات البعث والجزاء.

قال ابن عاشور: (القسم بالله بعنوان ربوبيته المشارق والمغارب معناه ربوبيته العالم كله، لأن العالم منحصر في جهات شرقي الشمس وغربيها)^(٢).

وعليه فعلى معنى القول الأول أن المراد بالتبديل في الدنيا يكون التناصب أن قسم الله برب المشارق والمغارب دلالة على قدرة الله على هذا التبديل وأن يأتي بخير منهم وأطوع لله، وعلى القول الثاني أن التبديل يوم القيمة فإن الله أقسم بربوبيته للمشارق والمغارب ومن مقتضيات الربوبية البعث والجزاء والحساب.

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨، ٢٩٥، تفسير التصفي ٤/٢٩٢، فتح القدير للشوكاني، ٢٩٥/٥، التحرير والتتوير لابن عاشور ٢٩/٢٦٨.

(٢) التحرير والتتوير لابن عاشور ٢٩/٢٦٦.

الخاتمة :

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات.

أهم النتائج :

- ١- أن الله أقسم بذاته في ثمانية مواضع في القرآن الكريم، والباقي كله قسم بمحلوقاته.
- ٢- أن معرفة التناوب بين القسم وجوابه يتوقف على عدة أمور منها معرفة مقاصد القرآن، وموضوعات السورة، وأسباب النزول، وسياق الآيات، وفهم معاني المقسم به ودلائلها.
- ٣- أقسم الله بربوبيته مضافة إلى السماء والأرض في موضع واحد لإثبات البعث والجزاء قال تعالى: ﴿فَرَبِّ الْأَنْعَامِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَعَلِيٌّ﴾ الذاريات ٢٢.
- ٤- أقسم الله بربوبيته مضافة إلى المشارق والمغارب في موضع واحد لإثبات قدرته سبحانه وتعالى، وعلى الجزاء والبعث قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الشَّرِيقِ وَالْكَرِيبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾ سورة المعارج ٤١.

وأخيراً لهذا جهد المقل بذلك فيه قصارى جهدي، فما كان من صواب فمن الله، وما كان فيه من خطاً فمن تقصير، واستقرر الله من ذلك.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع:

- (١) الإنقاذ في علوم القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ.
- (٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١١هـ.
- (٣) أسباب النزول، للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: أimen صالح شعبان، دار زمز، الرياض، دار الحديث، القاهرة.
- (٤) أسلوب الشرط والقسم من خلال القرآن الكريم، ، دار الفكر، عمان ، صبحي عمر شو، الأردن، ط١، ٢٠٠٩م.
- (٥) الإيجاز والبيان في علوم القرآن، محمد الصادق قمحاوي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.
- (٦) البحر المعيط، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: د. عبد الرزاق المهدى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- (٧) البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، خرج حدثه وعلق عليه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٨م.
- (٨) تأويل مشكل القرآن، عبد الله بن مسلم بن هبة، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٩٥٤م.
- (٩) التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم الجوزية، المكتبة المصرية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
- (١٠) تفسير التحرير والتلخيص، محمد الطاهر ابن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
- (١١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥م.
- (١٢) تفسير القرآن، لأبي المظفر السمعاني، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.
- (١٣) التفسير الكبير أو مفاتيح النعيب، للإمام محمد الرازى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
- (١٤) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الننان، لعبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا الوريح، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- (١٥) جامع البيان في تفسير القرآن، لابن جرير الطبرى، ضبط وتعليق: محمود شاكر، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان.
- (١٦) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد القرطبي، دار الفكر، بيروت، ط٢.
- (١٧) دراسات في علوم القرآن الكريم، أ.د. فهد الرومي، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ٢٠٠٧م.
- (١٨) رسالة في زكاة الحلي، لابن عثيمين، دار ابن خزيمة.
- (١٩) روح المانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، للألوسى، تحقيق: د. السيد محمد السيد وسيد إبراهيم عمران، دار الحديث، القاهرة.
- (٢٠) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
- (٢١) سنن الترمذى، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذى، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا، (بدون تاريخ).
- (٢٢) شرح المفصل، موقف الدين يعيش بن علي بن يعيش، إدارة الطباعة المغربية، مصر، (دون تاريخ).

- (٢٢) صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله بن إسماعيل البخاري، المكتبة الفعصرية، بيروت، ٢٠١٠م.
- (٢٤) صحيح مسلم بشرح النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
- (٢٥) علوم القرآن واعجازه وتاريخ توثيقه، د. عدنان محمد زيدور، دار الأعلام، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٥م.
- (٢٦) علوم القرآن والتفسير، د. عبد الله محمد شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة المكتبة الثقافية، ١٩٧٥م.
- (٢٧) فتح القدير الجامع بين قهي الرواية والدررية من علم التفسير، للشوکانی، دار المعرفة، بيروت.
- (٢٨) القاموس المحيط، للفيروز آبادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩١م.
- (٢٩) الكتاب، سيفويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخارجى، مصر، ط٢، ١٩٧٧م.
- (٣٠) الكشاف عن حفاظات غواصين التنزيل وعيون الأقاويل في وجهه التأويل، للزمخنرى، تحقيق وتعليق ودراسة: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العيكان، الرياض، ١٤١٨هـ.
- (٣١) لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣م.
- (٣٢) لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٢م.
- (٣٣) مباحث في إعجاز القرآن، د. أحمد جمال العمري، مكتبة الشباب، مصر، ١٩٨٠م.
- (٣٤) مباحث في علوم القرآن، مناج القطنان، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٩٨١م.
- (٣٥) مجموع الفتاوى ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، مطباع الرياض، ط١، ١٤٨١هـ.
- (٣٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشفاعة محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- (٣٧) المصباح المثير، أحمد محمد القيوبي الحموي، راجعه: أحمد جاد، دار الفد الجديدة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.
- (٣٨) معالم التنزيل، للبغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر وعثمان ضميرية، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤١٤هـ.
- (٣٩) معاني القرآن واعرابه، للزجاج، شرح وتحقيق: الدكتور عبد الجليل عبد شلبي، دار عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- (٤٠) معاني القرآن، لأبي ذكريا يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٣م.
- (٤١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٢٨٩هـ.
- (٤٢) المفردات في غريب القرآن، للرأغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سعيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.
- (٤٣) نظم الدرر في تناسب الآيات وال سور للبقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.
- (٤٤) نيل الأوطار شرح منقى الأخبار من أحاديث سيد الأخبار، محمد الشوکانی، مطبعة مصطفى الباجي الحلي، مصر، طـ الأخيرة.

٤

التربية



جامعة الطائف

المحاورات التدريسية لمعلمات التلמידات ذوات الإعاقة الفكرية في ضوء نظريات التعلم

د. ناصر بن سعد العجمي

جامعة الملك سعود / كلية التربية / قسم التربية الخاصة

أ. نوره بنت محمد الخرجي

جامعة الملك سعود / كلية التربية / قسم التربية الخاصة

ملخص الدراسة

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على الممارسات التدريسية لعلماء التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية التي تتم في ضوء نظريات التعلم، والتحقق من أثر متغير الخبرة التدريسية، والمؤهل التعليمي، والمرحلة التعليمية، وتصنيف التلميذة ذات الإعاقة الفكرية على هذه الممارسات التدريسية. ولتحقيق هدف الدراسة تم تصميم أداة الدراسة (الاستبانة)، وقد قام بإعدادها الباحثان بالاستفاده من الإطار النظري والدراسات السابقة، وفي ضوء ما تم صياغته من أهداف وأسئلة الدراسة، وقد شملت عينة الدراسة (١٦٦) معلمة من معلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية في معاهد وبرامج التربية الفكرية التابعة لوزارة التربية والتعليم بمدينة الرياض. وقد أوضحت نتائج الدراسة استناد ممارسات معلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية في التدريس إلى النظرية السلوكية بالمرتبة الأولى وبدرجة موافقة كبيرة، بينما جاءت ممارسة النظرية الاجتماعية في المرتبة الثانية وبدرجة موافقة متوسطة، وأخيراً جاءت النظرية البنائية في المرتبة الثالثة وبدرجة موافقة متولدة أيضاً، كما أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية في استجابة معلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية حول درجات ممارسة كل محور من محاور نظريات التعلم الثلاث لصالح مجموعة العلماء ممن سنوات خيرهن (أكثر من ١٠ سنوات)، كما أظهرت النتائج أيضاً وجود فروق ذات دلالة إحصائية في استجابة معلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية حول درجة ممارسة كل محور من محاور نظريات التعلم الثلاث تبعاً لمتغير تصنيف التلميذة ذات الإعاقة الفكرية لصالح مجموعة معلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية اللاتي يدرسن تلميذات قابلات للتعلم، أما فيما يتعلق بمتغير المؤهل التعليمي، ومتغير المرحلة التعليمية فلم يكن لها أي أثر يذكر على الممارسات التدريسية لعلماء التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية في ضوء نظريات التعلم.

الكلمات المفتاحية: الإعاقة الفكرية، الممارسات التدريسية، نظريات التعلم.

Abstract

This study aimed at recognizing teaching practices of intellectual disability teachers which occur in the light of learning theories. It also aimed at verifying the effect of teaching experience, qualification, grade level , and classifying students with intellectual disabilities according to these practices. To achieve the goal of this study, a questionnaire was designed by the researchers using the theoretical framework and previous studies in the light of the articulated objectives and questions of the study. Sample of the study consisted of (166) female teachers who teach students with intellectual disability in the institutions and programs of intellectual education run by the Ministry of Education in Riyadh. Findings of the study showed that intellectual disability teachers depend firstly on the behavioral theory in their teaching and most of them agreed about this. The social theory came second with medium agreement. The constructive theory came in the third place with medium agreement, too. Results revealed that there are statistical significant differences in the responses of intellectual disability teachers about the degree of practicing each dimension of the three learning theories for teachers whose experience is more than 10 years. Results also showed that there are statistical significant differences in the responses of intellectual disability teachers about the degree of practicing each dimension of the three learning theories according to classifying intellectual disability students for the group of teachers who teach students who are able to learn. For the qualification variable and the grade level variable, they didn't have any effect on teaching practices of intellectual disability teachers which occur in the light of learning theories.

Key words: intellectual disability, teaching practices, learning theories.

مقدمة الدراسة :

تأتي الممارسات التدريسية في طليعة الأمور التي تستحق الكشف والمراجعة والتدقيق والتطوير باعتبارها المسؤولة مباشرة عن تطوير العملية التعليمية التربوية؛ إذ إن إعداد أفضل المنهج وتشييد أحدث الأبنية المدرسية وتجهيزها بأحدث المختبرات الحاسوبية والتقنية لا يكفل أن تكون الممارسات التدريسية سوية، وأن تكون مخرجات العملية التربوية بالمستوى المطلوب والآمن، مالم يكن المعلم الذي يعد حجر الزاوية الأساسي معداً إعداداً علمياً وتربوياً ومقتعمًا بعمله ومحتمساً له، وذلك لضمان توظيف التجهيزات والتحضرات التي يتم إعدادها بشكل فعال في الممارسات التدريسية، وهذا يدل على أهمية كشف واقع الممارسات التدريسية والبحث في طرق تطويرها (القاديري، ٢٠٠٤). وبعد الإلام بنظريات التعلم من أهم متطلبات العملية التعليمية، ومن أهم اشتراطات إعداد المعلم الجيد، فمن دونها لن يستطيع المعلمون فهم طبيعة عملية التعلم والوصول إلى أهدافهم التربوية، وهذا ما أكدته المقوشي (٢٠٠١) إلى صعوبة التعليم بدون أن تكون لدى المعلمين المبادئ الأولية التي تعتمد على أسس نظرية عن الكيفية التي يتم بها التعلم، حتى لا تقصر جهودهم فقط على ضبط الفصل أو تحديد الواجبات والفروض التي ينبغي على الطلاب القيام بها. ومن هذا المنطلق يسعى الباحثان في الدراسة الحالية إلى الكشف عن هذه الممارسات التدريسية لمعلمات التلميذات ذات الإعاقة الفكرية، وما تستند إليه من نظريات التعلم من خلال عبارات إجرائية تعكس أهم الأساس والمبادئ التي تقوم عليها هذه النظريات، ومن بين النظريات التعليمية الكثيرة اختارتها الباحثان في هذه الدراسة ثلاثة نظريات تمثل أهم الاتجاهات التي حاولت تفسير عملية التعلم، وتعتبر من أشهر نظريات التعلم وأكثرها استخداماً وممارسة وفعالية في مجال تعليم ذوي الإعاقة الفكرية، ومن ثم تقديم الخطوط العريضة والتطبيقية للممارسات التدريسية لكل نظرية. وهذه النظريات هي: النظرية السلوكية، النظرية البنائية، والنظرية الاجتماعية.

مشكلة الدراسة :

أكَدَ هارون (٢٠٠٧) أن عملية تعليم ذوي الإعاقة الفكرية مختلف المهارات التي تساعدهم على التفاعل بإيجابية مع بيئتهم الطبيعية والاجتماعية من الأمور الشائكة لدى الكثير من المعلمين في مجال التربية الفكرية، وذلك يرجع إلى عدم تمكن هؤلاء المعلمين من استخدام أنسُب استراتيجيات التدريس القائمة على المبادئ المستخلصة من نظريات التعلم، والقائمة على الفهم السليم لخصائص هؤلاء التلاميذ الفريدة . وتعُد معرفة الأطر النظرية التي تستند إليها الممارسات التدريسية للمعلمين خطوة أولى في مراجعة نوع السلوك الذي يحدث داخل حجرة

الدراسة، كما أن الكشف عن هذه الأطهار يساعد مؤسسات إعداد المعلمين في التأمل في طبيعة برامج إعداد المعلمين، وهل تكسب تلك البرامج المعلمين المهارات والمعرف اللازمتين التي تتبعق من هذه النظريات، ومن ثم الاستفادة منها في الواقع العملي (الصغير والنحاس، ٢٠٠٢) . وتأسساً على ما تقدم، ونظرأً لندرة البحوث والدراسات التي تعنى بتحديد الأسس النظرية العلمية التي تستند إليها ممارسات المعلمين في الوطن العربي، وبالخصوص ممارسات معلمي ذوي الإعاقة الفكرية، ونتيجة لما تمسه الباحثان خلال عملها في معاهد وبرامج التربية الفكرية من أن معلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية يعمن إلى استخدام ممارسات تدريسية يألفنها أو عن طريق التقليد والزملاء المهنيين بعلمات آخريات، ولذلك فإن هذه الدراسة تسعى إلى الكشف عن هذه الممارسات وما تستند إليه من أسس نظرية علمية من خلال الإجابة على السؤال التالي : ما مدى الممارسات التدريسية لعلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية التي تتم في ضوء نظريات التعلم في مدينة الرياض ؟

أمثلة الدراسة :

تسعى الدراسة الحالية إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ١- ما مدى الممارسات التدريسية لعلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية التي تتم في ضوء نظريات التعلم في مدينة الرياض ؟
- ٢- ماهي أكثر نظريات التعلم ممارسة في التدريس لدى معلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية ؟
- ٣- هل تختلف الممارسات التدريسية لعلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية في ضوء نظريات التعلم تبعاً (لتغير الخبرة التدريسية للمعلمة، ومتغير المؤهل التعليمي للمعلمة، ومتغير تصنيف التلميذة ذات الإعاقة الفكرية، ومتغير المرحلة التعليمية للتلמידة ذات الإعاقة الفكرية) ؟

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة الحالية إلى التعرف على ما يلى:

- ١- الممارسات التدريسية لعلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية التي تستخدم في ضوء نظريات التعلم.
- ٢- أكثر نظريات التعلم ممارسة في التدريس لدى معلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية.
- ٣- أثر المتغيرات التالية (الخبرة التدريسية للمعلمة، ومتغير المؤهل التعليمي للمعلمة، ومتغير تصنيف التلميذة ذات الإعاقة الفكرية، ومتغير المرحلة التعليمية للتلמידة ذات الإعاقة الفكرية).

الإعاقة الفكرية) في الممارسات التدريسية لعلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية في ضوء نظريات التعلم .

أهمية الدراسة :

الأهمية النظرية :

تتمثل الأهمية النظرية لهذه الدراسة في قلة البحوث والدراسات العربية وال محلية التي تناولت الممارسات التدريسية لعلمي التلاميذ ذوي الإعاقة الفكرية في ضوء النظريات التعليمية، فقد تقييد الدراسة الحالية في أن تكون إضافة للمعرفة في مجال نظريات التعلم وما تتبثق منها من ممارسات لتدريس ذوي الإعاقة الفكرية، وتتوفر هذه الدراسة مقياس يمكن الاعتماد عليه في الكشف عن الممارسات التدريسية لعلمي التلاميذ ذوي الإعاقة الفكرية وتفسيرها في ضوء نظريات التعلم.

الأهمية التطبيقية :

تكمن الأهمية التطبيقية لهذه الدراسة في أنها تقدم وصفاً للممارسات التدريسية لعلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية القائمة على نظريات التعلم في داخل الفصل، وهذا ما يساعد القائمين على إعداد برامج التدريب للمعلمات في إدارة التربية الخاصة بوزارة التربية والتعليم في تطوير برامج تدريبية للمعلمات تهتم بالنظريات التعليمية وممارساتها التدريسية والتطبيقية داخل الفصل، وكذلك تساعد نتائج هذه الدراسة في توجيه القائمين على البرامج التربوية في مؤسسات إعداد معلمي التربية الخاصة في استخدامات مقررات دراسية تربط بين نظريات التعلم وبين الأساليب التدريسية التي تتبثق منها، وتتوفر هذه الدراسة مقياساً لممارسات التدريس وفق نظريات التعلم قد يساعد المشرفين التربويين ومصممي المناهج الدراسية في الاستفادة منه في تقويم السلوك التدريسي لعلمي التلاميذ ذوي الإعاقة الفكرية .

حدود الدراسة :

حددت الدراسة بالمحددات التالية:

الحدود الموضوعية :

اقتصر موضوع الدراسة على الممارسات التدريسية لعلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية التي تتم في ضوء نظريات التعلم (النظريّة الملوكيّة، النظريّة البنائيّة، والنظريّة الاجتماعيّة) وهل تختلف هذه الممارسات تبعاً لتغير الخبرة التدريسية للمعلمة، المؤهل التعليمي للمعلمة، تصنيف التلميذة ذات الإعاقة الفكرية، والمرحلة التعليمية للتلميذة ذات الإعاقة الفكرية.

الحدود المكانية :

افتصر تطبيق هذه الدراسة على معاهد وبرامج التربية الفكرية للبنات التابعة لوزارة التربية والتعليم بمدينة الرياض الحدود الزمنية: تم تطبيق الدراسة في الفصل الدراسي الثاني لعام ١٤٣٦-١٤٣٥هـ.

الحدود البشرية :

شملت هذه الدراسة معلمات التربية الفكرية في معاهد وبرامج التربية الفكرية التابعة لوزارة التربية والتعليم بمدينة الرياض.

مصطلحات الدراسة :**الممارسات التدريسية :**

يعرفها زيتون (٢٠٠٦) بأنها: «القدرة على أداء عمل أو نشاط معين ذي علاقة بتحصيل التدريس وتنفيذ وتقديمه، وهذا العمل قابل للتحليل لمجموعة من السلوكيات المعرفية والحركية والاجتماعية، ومن ثم يمكن تقديره في ضوء معايير الدقة في القيام به، وبسرعة إنجازه، والقدرة على التكيف مع المواقف التدريسية المتغيرة، بالاستعانة بأسلوب الملاحظة المنظمة، ومن ثم يمكن تحسينه من خلال البرامج التدريبية». ويعرفها الباحثان إجرائياً في هذه الدراسة بأنها: السلوكيات والأنشطة والإجراءات التي تقوم بها معلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية داخل الصف الدراسي أثناء تقديم المادة التعليمية، والتي تؤدي إلى حدوث التعلم، والتي سيتم قياسها من خلال استبيان ممارسات معلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية التدريسية في ضوء نظريات التعلم من إعداد الباحثان.

نظريات التعلم :

عرفها الزغول (٢٠١٤) على أنها: «محاولات منتظمة لتوليد المعرفة حول السلوك الإنساني وتتنظيمها وتجميعها في إطار من الحقائق والمبادئ والقوانين بهدف تفسير الظاهرة السلوكية والتبيّن بها وضبطها».

النظرية السلوكية :

عرفها الزغول (٢٠١٤:٤٤) على أنها: «مجموعة من النظريات تنقسم إلى فئتين النظرية الارتباطية، وتمثل هذه النظرية كلاً من بافلوف وواطسون وجثري، وتركز هذه النظريات على أن التعلم هو بمثابة تشكيل ارتباط من خلال الاقتران بين مثيرات بيئية واستجابات معينة، وتحتختلف هذه النظريات فيما بينها في تفسير طبيعة الارتباطات وكيفية تشكلها، والقسم الثاني

هي النظريات الوظيفية وتمثل كلاً من ثورنديك وهل وسكتر، وتؤكد على الوظائف التي يؤديها السلوك مع الاهتمام بعمليات الارتباط التي تتشكل بين المثيرات والسلوك. **النظريـة البنـائية:**

عرفها زيتون (١٩٩٨: ١٤) كما يلي: «يتمثل أساس النظرية البنائية في استخدام الأفكار التي تستخدم في إثارة اهتمام التلميذ لتكوين خبرات جديدة، ولذلك يحدث التعلم عند تعديل الأفكار لدى التلميذ، أو إضافة معلومات جديدة إلى بنيته المعرفية أو إعادة تنظيم هذه الأفكار الكامنة في البنية المعرفية، وهذا يعني أن النظرية البنائية تركز على المعرفة والمعلومات التراكبة، والبنية المعرفية لدى التلميذ والعمليات التي تحدث فيها».

النظـريـة الاجـتماعـية:

عرفها الزغول (٢٠١٠: ٢٣٩) كالتالي: «هذه النظرية تعرف بأسماء أخرى مثل نظرية التعلم باللحظة والتقليد أو نظرية التعلم بالتمذجة، وهي من النظريات الانتقائية التوفيقية؛ لأنها حلقة وصل بين النظريات المعرفية والسلوكية (نظريات الارتباط - المثير والاستجابة)». يرجع الفضل في تطوير الكثير من أفكار هذه النظرية إلى عالمي النفس أيلرت باندورا وولترز (Bandura & Walters, 1963)، وفيها يؤكدان مبدأ الحتمية التبادلية في عملية التعلم من حيث التفاعل بين ثلاثة مكونات رئيسة، وهي: السلوك والمحولات المرتبطة بالشخص والمحولات البيئية.

معلـمات التـلمـيـدـات ذـوات الإـعـاقـة الـفـكـرـية:

يقصد بهم جميع المخصوصين في التربية الخاصة على مستوى البكالوريوس على الأقل مسار إعاقة فكرية، وفي حالة عدم توفر هذا المؤهل، فيشترط أن يكون حاصلاً على مؤهل تربوي جامعي على الأقل، بالإضافة إلى دبلوم تربية خاصة (مسار إعاقة فكرية) لا تقل مدتها عن سنة دراسية كاملة، وفي حال عدم توفر هذين المؤهلين المذكورين، فيشترط أن يكون حاصلاً على دبلوم معلمين بالإضافة إلى دبلوم تربية خاصة (مسار إعاقة فكرية) مع خبرة لا تقل عن سنتين في تدريس المعاقين فكريًا (القواعد التنظيمية لمعاهد وبرامج التربية الخاصة ١٤٢٢هـ). وعرف الباحثان معلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية إجرائياً بأنهن: جميع المعلمات اللاتي يقمن بتعليم وتدريب التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية في معاهد وبرامج التربية الفكرية التابعة لوزارة التربية والتعليم بمدينة الرياض.

التـلمـيـدـات ذـوات الإـعـاقـة الـفـكـرـية :

عرفتهم الجمعية الأمريكية للإعاقة الفكرية والنمائية (American Association for the Development of Intellectual Disabilities) 2010.

” بأنهم الأفراد الذين يوجد لديهم قصور ذو دلالة على حد سواء في الأداء الفكري والسلوك التكيفي، والتي تغطي العديد من مهارات الحياة اليومية والاجتماعية والتكيفية، وهذا القصور يظهر قبل بلوغ الفرد سن 18 عاماً ”. وعرف الباحثان التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية إجرائياً بأنهن: التلميذات المقبولات في معاهد وبرامج التربية الفكرية التابعة لوزارة التربية والتعليم بالرياض، وتقع درجة ذكائهن ما بين 75 إلى 55 درجة على اختبار وكسنر أو ما بين 72 إلى 52 على اختبار ستانفورد بيئيه لدى التلميذة القابلة للتعليم، وما بين 54 إلى 4 درجة على اختبار وكسنر أو 51 إلى 36 درجة على اختبار ستانفورد بيئيه لدى التلميذة القابلة للتدريب، وتقع أعمارهن من 21-6 سنة ليُكنَّ مؤهلاتٍ لدخول معاهد وبرامج التربية الفكرية للحصول على التعليم والتدريب فيها ليُكنَّ معتمداتٍ على أنفسهن.

الإطار النظري والدراسات السابقة :

أ-مفهوم الإعاقة الفكرية:

اهتم بدراسة الإعاقة الفكرية عدد من العلماء والمخصصين في جميع الميادين المعرفية، مما أدى إلى ظهور الكثير من التعريفات المختلفة للإعاقة الفكرية، وبالتالي اختلاف المحركات التي يستندون عليها في تعريفهم لهذا المفهوم، وتصنيف هئاته. فالمجال العلمي ينظر إلى الأعراض الفسيولوجية باعتبارها محكماً أساسياً لتعريف حالة الإعاقة الفكرية، وكذلك علماء الاجتماع اعتبروا أن الصلاحية معياراً في التعريف، أما علماء النفس فأعتبروا درجة الذكاء هي المعيار الأساسي للحكم بوجود الإعاقة من عدمها، وفي المجال التربوي، فإن علماء التربية يرون أن الإعاقة الفكرية تنتج من عاملين، أولهما: عدم مناسبة البيئة التعليمية للاستجابة لاحتياجات التعليمية للفرد، وثانيهما: قصور الوعي المجتمعي في تفهمه لمتطلبات الإعاقة الفكرية، وتوفير الطرق المناسبة ل التعليم وتدريب هذه الفئة (الإمام والجوابدة، ٢٠١٠). ومن المعروف أن الأطفال هم أول مجموعة من المهنيين ممن تعاملوا مع الإعاقة الفكرية، ولقد تعاملوا مع هذه الظاهرة من خلال وجهة نظر طلبية بحثة؛ حيث يشير تعريفهم إلى أن الإعاقة الفكرية هي: «إعاقة تقسم بقصور واضح في الأداء الوظيفي العقلي بسبب عدم اكتمال عمر الدماغ سواء كانت تلك الأسباب قبل الولادة أو بعدها أو أثناءها، والتي تظهر قبل سن الثامنة عشرة» (الفرماوي والنمساج، ٢٠١٠) ونتيجة لهذا للتباين في تعريف الإعاقة الفكرية والانتقادات التي وجهت للتعريفات في المجالات المختلفة فقد قالت الجمعية الأمريكية للتخلف العقلي (سابقاً) (American Association of Mental Retardation ، AAMR) تبني التعريفات التي جمعت ما بين التعريف السيكوبوري والتعريف

الاجتماعي كتعريف هير (Heber, 1961) وتعريف جروسمان (Grossman, 1983) إلى أن أصدرت الجمعية الأمريكية للتلذخ العقلي (AAMR) عام (١٩٩٢) تعريفها، والذي ينص على أن الإعاقة العقلية تمثل عدداً من جوانب القصور في أداء الفرد والتي تظهر دون سن ١٨، وتمثل في التدني الواضح في القدرة العقلية عن متوسط الذكاء، يصاحبها قصور واضح في اثنين أو أكثر من مظاهر السلوك التكيفي مثل: مهارات الاتصال اللغوي، المعاية الذاتية، الحياة اليومية الاجتماعية، التوجيه الذاتي، الخدمات الاجتماعية، الصحة والسلامة، الأكاديمية وأوقات العمل والفراغ (الروسان، ٢٠٠٢). وقد قامت الجمعية الأمريكية للتلذخ العقلي (AAMR) بتعديل اسمها عام (٢٠٠٢) لتصبح الجمعية الأمريكية للإعاقات الفكرية والنفسية (AAIDD) (American Association on Intellectual and Developmental Disabilities) وأصدرت تعريفها الحديث للإعاقة الفكرية لعام (٢٠١٠)، وقد جاء في الصيغة الآتية: "توصف الإعاقة الفكرية بذلك القصور الواضح في كل من الأداء الوظيفي الفكري، وكذلك السلوك التكيفي الذي يتجسد في المهارات التكيفية المفاهيمية والاجتماعية والعملية، وتظهر هذه الإعاقة قبل سن الثامنة عشرة". مما سبق يمكن القول أن تعريف الجمعية الأمريكية جاءت كمحاولة لفهم ظاهرة الإعاقة الفكرية من زوايا متعددة ومتكلمة، وهذا التكامل في النظرية يجعل مفهوم هذه الإعاقة شاملأً للعديد من عناصر التعريف السابقة (الطبي، والسيكومترى، والاجتماعي) مما يؤكد أن تعريف الجمعية الأمريكية لا زالت تحظى بالقبول لدى الكثير من المهنيين والمؤسسات المهنية في العالم؛ لأنها - فعلاً - غلت الكثير من الجوانب التي أهملتها بقية التعريف.

نظريات التعلم:

استعرض الباحثان الجوانب النظرية المتعلقة بالنظريات الثلاث: النظرية السلوكية، النظرية البنائية، والنظرية الاجتماعية للتعرف على مفاهيمها، والأسس والمبادئ التي تقوم عليها، وأهم الممارسات التدريسية التي تتم في ضوئها

أ-النظرية السلوكية:

تشمل مجموعة النظريات السلوكية هاتين من النظريات هما: النظريات الارتباطية، وتضم نظرية بافلوف وواطسون وجثري، وتؤكد هذه النظريات على أن التعلم هو بمثابة تشكيل ارتباطات من خلال الاقتران بين مثيرات بيئية واستجابات معينة، وتحتفظ فيما بينها في تفسير طبيعة الارتباطات وكيفية تشكلها. أما الفئة الثانية فهي النظريات الوظيفية وتضم نظرية ثورنديك وهل، وسكنر، وتؤكد هذه النظريات على الوظائف التي يؤديها السلوك مع الاهتمام بعمليات الارتباط التي تتشكل بين المثيرات والسلوك (الزغول، ٤٤، ٢٠١٠). وبعد ب.ف.سكنر (B.F.Skinner) (١٤٣٧ـ١٤٢٧هـ)

(Skinner) المنظر الرئيس لعلم النفس الشرطي، كما تطبق نظريته في التعلم الشرطي الإجرائي على نطاق واسع في التعليم بالمدارس، وبعد " Skinner" من أشد المدافعين عن التعلم المبرمج، وعن تشكيل سلوك الطالب من خلال التعزيز الإيجابي (الصغير والنحasier ، ٢٠٠٢). وتقوم نظرية Skinner على عدد من الافتراضات، وهي كما يلي (فايد ، ٢٠١٠ ، ٧٢:٢٠١٠) :

- ١- معدل عدد الاستجابات التي تصدر عن الكائن الحي في ظل التعزيز المتقطع أكبر منه في حال التعزيز المستمر.
- ٢- يختلف معدل الاستجابة باختلاف جدول التعزيز المستخدم (فترة ثابتة، متغيرة، نسبة ثابتة، متغيرة).
- ٣- يمكن برمجة سلوك الكائن الحي من خلال عملية التسلسل والتشكيل .
- ٤- يمكن تشكيل الاستجابات التي تصدر عن الكائن الحي في الاتجاه المرغوب باستخدام أساليب التعزيز الملائمة .
- ٥- تتوقف استجابات الكائن الحي للمثيرات المعززة لا على نوع التعزيز أو حجمه، وإنما على أهميته النسبية .
- ٦- التعزيز القائم على التغيير أكثر فاعلية في تشكيل السلوك من التعزيز القائم على الشبات.

بــ النظرية البنائية:

تحظى النظرية البنائية والتعلم والتعليم البنائي بقبول واسع لدى التربويين، وما تقدمة من أفكار وتوجهات في التعليم والتعلم، وتعد اتجاهًا حديثًا، واكتسبت أهمية لأثرها الواضح في نواتج التعلم، ولتطبيقاتها وممارساتها الفاعلة في التدريس (البارادي ، ٢٠١٤) . ويعتبر العالم جان بياجيه (Jean piaget) أهم المنظرين؛ فقد وضع نظرية متكاملة ومنفردة حول النمو المعرفي، ولهذه النظرية شأن أساسيان مترابطان، يطلق على أولهما الحتمية المنطقية، ويطلق على ثانيةهما البنائية، ويفترض الشق الأول بافتراضات بياجيه عن العمليات المنطقية وبنصنيفه لمراحل النمو العقلي، أما الشق الثاني فهو يختص بمسألة بناء المعرفة، وفيه أوضح بياجيه مبدأ المعرفة، بمعنى أن المتعلم قد بنى معرفته، فإذا صاح تصوره البنائي لاكتساب المعرفة الجديدة هو جهد المتعلم أثناء التعلم باستراتيجيات النظرية البنائية التي يمارسها المعلم (زيتون وزيتون ، ٢٠٠٢:٨٤) . ومن أبرز مبادئ النظرية البنائية في التعلم ما يلي:

- ١- المتعلم لا يستقبل المعرفة ويلاقاها بشكل سلبي، لكنه يبنيها من خلال نشاطه ومشاركته الفعالة في عملية التعلم والتعليم.

- يحضر المتعلم فهمه المسبق إلى مواقف التعلم ويؤثر هذا الفهم في تعلمه للمعرفة الجديدة (يعنى أن معلوماته وخبراته السابقة تلعب دوراً مهمّاً في تشكيل أسس التعلم اللاحق)، وعندما يكون هذا الفهم المسبق غير صحيح ومتجرد في عقله ويقاوم التغيير فإنه يؤثر سلباً على تعلم معرفته الجديدة.

- يبني المتعلم معنى ما يتعلمه بنفسه بناءً ذاتياً، حيث يشكل المعنى داخل بنية المعرفة بناءً على رؤية خاصة به، فالآفكار ليست ذات معانٍ ثابتة لدى الأفراد. (زيتون وزيتون، ٢٠٠٢).

جـ- النظرية الاجتماعية:

تعرف هذه النظرية بأسماء أخرى، مثل نظرية التعلم باللاحظة والتقليد، أو نظرية التعلم بالتمذجة وهي من النظريات الانتقائية التوفيقية؛ لأنها حلقة وصل بين النظريات المعرفية والسلوكية (نظريات الارتباط- المثير والاستجابة، فهي - في تفسيرها لعملية التعلم - تستند إلى توليفة من المفاهيم المختلفة المستمدّة من تلك النظريات (الزغول، ٢٠١٠). ويقصد بالتعلم الاجتماعي اكتساب الفرد أو تعلمه لاستجابات أو أنماط سلوكية جديدة من خلال موقف أو إطار اجتماعي، فالتعلم الاجتماعي القائم على الملاحظة يقوم على عمليات من الانتباه القصدي بدقة تكفي لاستدخال المعلومات والرموز والاستجابات المراد تعلمها في المجال المعرفي الإدراكي، فالفرد يتعلم عن طريق الملاحظة، ويستقبل بدقة الأنماط السلوكية التي تصدر عن التمودج الملاحظ، بما فيها إيماءاته أو تلميحاته الصامتة وخصائصه المميزة لاستدخال المعلومات والاستجابات المراد تعلمها داخل المجال الإدراكي المعرفي للفرد الملاحظ، وتؤثر عمليات الانتباه القصدي هذه على انتقاء أو اختيار ما ينبغي الانتباه له واستدخاله من أنماط سلوكية تصدر عن التمودج ما يجب اكتسابه وتعلمها وما يمكن إهماله أو تجاهله (الشراقي، ٢٠١٠) ويرجع باندورا ولترز (Bandura & Walters, 1963) الفضل في تعلم المعايير الاجتماعية والمهارات الأكاديمية إلى الملاحظة؛ حيث يتعلم الفرد من خلال ملاحظته لسلوكيات الآخرين الكثير من المعايير الاجتماعية والمهارات الأكاديمية. ويرى باندورا (Bandura, 1997) أن معظم السلوك البشري يتم تعلمه من خلال ملاحظة الفرد النماذج السلوكية وتقليدها، فمن طريق ملاحظة الفرد المتعلم لسلوك الآخرين تكون لديه فكرة عن كيفية أداء السلوك، وفي فرص لاحقة فإن هذه المعلومات التي تم مشاهدتها من خلال الملاحظة والمخزننة في الدماغ تعمل كدليل للتصرف. وهناك العديد من التطبيقات التربوية في مجال تعلم الطلبة، والتي تعتمد على مبادئ النظرية الاجتماعية، وهي (قطامي وقطامي، ٢٠٠٦).

- يمكن للمعلم استخدام نماذج وتطبيقات وخاصة عندما تكون الأهداف قائمة على عناصر مشتركة من الأنشطة المعرفية والحركية والمهارية .
- الاتساق في التعزيز، يعني أن لا يثاب سلوك في مرة ويعاقب في مرة أخرى، كما أنه لا يعني ضرورة التعزيز في كل مرة يأتي فيها التلميذ بسلوك سليم .
- استخدام نماذج للأداء الصحيح إلى جانب نماذج للأداء الخاطئ معاً في نفس الوقت، فالطالب الذي أداوه غير مرضٍ يستفيد من مقارنة نماذج الأداء الخاطئ بنماذج الأداء الصحيح مما يؤدي إلى تعديل سلوك الأداء الخاطئ إلى الأداء الصحيح.
- نمذجة السلوك المراد إكسابه للطلاب في ظروف مماثلة للظروف التي سيؤدي فيها الطالب المهارة المطلوبة .
- استثناء انتباه الطلاب من حيث السعة والأمد من خلال عرض نماذج أدائية صامدة للمهارات المراد إكسابها للطلاب مع استخدام الأفلام والشراائح والنماذج والشفافية الملائمة.
- عمل تطبيقات في البداية على بعض الطلاب عندما يكون الهدف هو إكساب الطلاب بعض أنماط السلوك التعاوني القائم على الحوار كتقمص بعض الشخصيات التاريخية والروائية، وتشكيل السلوك المراد نمذجة سلوكها على بعض الطلاب مع تقديم النموذج الصحيح لكل نمط سلوكي من خلالها.

الممارسات التدريسية

مفهومها وأهميتها:

يؤكد كثير من المربين والباحثين التربويين مثل برونر (Bruner) وريبونسون وأوزيل (Ausubel & Robinson) على أهمية دور المعلم في إنجاح عملية التعليم الصفي، ويتأثر هذا الدور بشخصية المعلم ودافعاته ومعرفته المتعمقة بالمادة، وقدراته على تنظيم بيئة تعليمية مناسبة (زيتون، ٢٠٠٧: ٤٠). وقد عرف المقطري (٢٠٠٠) الممارسات التدريسية بأنها: هي تلك الأداءات والنشاطات التعليمية من أقوال وأفعال يقوم بها المعلم أثناء تنفيذ الدروس داخل غرفة الصف، وعرفها (حميدة ، ٢٠٠٠: ١٢) بأنها: الأداء الذهني الحركي الذي يتبعه المعلم في أثناء التدريس مع مراعاة الدقة والسرعة والاستمرارية لهذا الأداء.

ويعرّفها (زيتون، ٢٠٠٦، ١٢: ٢٠٠) بأنها: قابلية التحليل لمجموعة من الملوكيات (الأداءات) المعرفية، الحركية، الاجتماعية، ومن ثم تقييمها في ضوء معايير الدقة في القيام بها، وبراعة إنجازها، والقدرة على التكيف مع المواقف التدريسية المتغيرة، بالاستعانة بأسلوب الملاحظة

المنظمة، ومن ثم يمكن تحسينها من خلال البرامج التدريبية.

ويشير ريد (Raid, 1999) إلى أن الممارسات الصحفية تتطلب من المعلم معرفة تامة بالمناهج وأيديولوجياتها، وطرق التدريس، والطالب وكيفية التعامل معه، ومعرفة عميقة بالمحظى، وطرق التقويم واتساق المحتوى وبيئات التعلم مع حاجات الطلاب لتحقيق تعلم فعال.

ويرى روس (Ross, 2000) أن الممارسات التدريبية للمعلم تكون مبنية على أيديولوجيات محكمة تؤثر بطريقة مباشرة وغير مباشرة على ممارساته التدريبية في غرفة الصد، ويتفق كيلي (Kelly, 2004) مع روس في أن هناك عدة أيديولوجيات تختلف المناهج وتؤثر في تكوينها، وبالتالي فإن ذلك ينعكس مباشرة على الغرفة الصحفية وطرق تدريس المعلمين وممارساتهم التدريبية، وتعكس هذه الأيديولوجيات نظريات التعلم التي تستند إليها النماذج المتبعة في المواقف الصحفية، وما تنطوي عليه من ممارسات تدريبية مختلفة.

يرى قتليل (١٩٩٣: ٨٩) «أن الممارسات التدريبية ترتكز على أربعة أساسيات، تتلخص فيما يلي: التخطيط للتدريس، تنفيذ التدريس، تقويم التدريس، إدارة الفصل وتنظيمه».

ويشير شوق (١٩٩٨: ٢٥) إلى «أن التخطيط للتدريس هو وصف إجرائي لأفضل الفعاليات والوسائل والأدوات والمواد والأنشطة التي سوف تستخدم لتحقيق أهداف تدريبية وكيفية توظيفها وإعدادها، وعليه فإن أي عمل يحتاج إلى إنجاز لا بد من وضع خطة تأسيبه».

الدراسات السابقة :

راجع الباحثان عدداً من الدراسات السابقة، إلا أنهما لم يتمكن من العثور على دراسات سابقة تناولت بشكل مباشر ممارسة معلم التلميذ ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة للتدريس في ضوء نظريات التعلم، ومعظم ما تواجد من دراسات ارتبطت بممارسات المعلمين التدريبية للنظرية البنائية ونظريات الذكاءات المتعددة وفعالية هذه الممارسات المستمدّة من هذه النظريات على تحصيل التلاميذ، وأثر برامج تدريبية للمعلمين قائمة على نظريات التعلم على ممارساتهم التدريبية، كما استعرض الباحثان بعض الدراسات التي اهتمت بالكشف عن واقع الممارسات التدريبية للمعلمين وتبينها من معلم لآخر تبعاً لعدد من المتغيرات، وذلك لأهميتها في تطوير العملية التعليمية، وفيما يلي استعراض لأهم الدراسات العربية والأجنبية التي تمكن الباحثان من العثور عليها: قام كلّ من الجوالدة والقمش ومقابلة (٢٠١١) بدراسة هدفت إلى التعرف على مستوى ممارسة معلم الطالبة المهووبين للذكاءات المتعددة في الغرفة الصحفية، بالإضافة إلى التعرف على الاختلافات في الممارسات الصحفية المرتبطة بهذه النظرية لدى معلم الطالبة المهووبين باختلاف المتغيرات جنس المعلم، التخصص، المؤهل التعليمي،

تكونت عينة الدراسة من (٥٤) معلماً ومعلمة من مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز، ولتحقيق أهداف الدراسة طور الباحثون أداة لقياس مستوى ممارسة معلمي الطلبة المراهقين للذكاءات المتعددة في الفرقة الصفية تكونت من (٥٦) فقرة، وأشارت النتائج إلى أن الذكاءات المتعددة الممارسة لدى أفراد عينة الدراسة الأكثر ممارسة الذكاء المنطقي الرياضي وأقلها ممارسة الذكاء الاجتماعي، وأظهرت النتائج تفوق الإناث في بعد الذكاء اللغوي وتفوق الذكور في بعد الذكاء المكاني والاجتماعي، وأما فيما يتعلق بدلالة الفروق حسب متغير تخصص المعلمين لم تظهر المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للذكاءات المتعددة السبعة موضوع الدراسة الحالية فروق ذات دلالة إحصائية، وحسب دلالة الفروق وحسب متغير المؤهل العلمي جاءت الفروق في بعدي (الذكاء الموسيقي والذكاء الاجتماعي) لصالح المعلمين ذوي المؤهلات العلمية (دراسات عليا). وأجرى العليمات (٢٠١٠) دراسة هدفت إلى التعرف على درجة ممارسة معلمي المرحلة الأساسية الأولى في الأردن للكفايات المهنية في ضوء معايير الوطنية لتنمية المعلمين مهنياً من وجهة نظر المديرين والمرشرين التربويين، ولتحقيق هذا الهدف تم بناء استبانة مكونة من (٥٢) فقرة موزعة على ستة مجالات، تكونت عينة الدراسة من (٧٥) مديرًا ومديرة، و(١٢) مشرفاً ومسفراً، وأظهرت النتائج أن درجة ممارسة معلمي المرحلة الأساسية الأولى للكفايات التدريسية في ضوء المعايير الوطنية لتنمية المعلمين مهنياً كانت متوسطة. كذلك أجرى كارا (Kara. 2009) دراسة كان الهدف منها هو إظهار كيف تؤثر معرفة المعلمين المرشحين للتدرس وهم في السنة الثانية من كلية التربية عن نظريات التعلم على اتجاهاتهم نحو التعلم، وقد تكونت عينة الدراسة من (١٥٠) طالباً من طلاب كلية التربية في السنة الثانية في جامعة اديامان في (تركيا)، وكانت أداة الدراسة مقياس للاتجاهات يتكون من (٤٠) فقرة، وقد تم إعطاء هؤلاء الطلاب مجموعة من الاتجاهات نحو التعلم كاختبار قبلي وبعدى بعد تقديم موضوع نظريات التعلم، وقد بنت نتائج الاختبار البعدي أن وحدة نظريات التعلم ساعدت الطلاب على فهم طبيعة التعلم بشكل أفضل، وأصبحوا أكثر افتتاحاً على التعلم وتوقعاتهم أعلى عن قوائد التعلم، وأقل قلقاً فيما يتعلق بالتعلم . وقد قام أبو هولا والدولات (٢٠٠٩) بدراسة هدفت إلى استقصاء تصورات معلمي العلوم عن نظريات التعلم وعلاقتها بمعمارياتهم التعليمية، وقد قام الباحثان بتحليل وثائق الأداء للمعلمين المشاركين كما تم ملاحظة عدد من الحصص الصفية لدى ستة معلمين يدرسون العلوم في مديرتين من مديريات التربية والتعليم في محافظة عمان، وقد توصلت نتائج الدراسة إلى أن معلماً واحداً من المعلمين أظهر تصورات واضحة عن نظريات التعلم بينما لم يظهر الخمسة الآخرون أي تصورات، وأن امتلاكهم أو عدم امتلاكهم تصورات عن نظريات التعلم قد انعكس

على ممارساتهم التعليمية، كما أن معلماً واحداً اكتسب نظرية التدريسية من خلال معرفته لمبادئ نظريات التعلم، أما الآخرون فقد اكتسبوها من خلال التقليد والزماله المهنية . وأجرى الحربي (٢٠٠٤) دراسة يعنون درجة استخدام معلمي العلوم لأفكار النظرية البنائية بالتدريس في المملكة العربية السعودية، وتكونت عينة الدراسة من (٧٢) معلماً ومعلمة يدرسون العلوم في المرحلة الثانوية، وصمم الباحث أداة للملاحظة الصفيحة مستندة إلى النظرية البنائية، وقد دلت النتائج إلى أن معلمي العلوم في السعودية قليلاً ما يوظفون أفكار النظرية البنائية أثناء تدريسهم . وكذلك أجرى كلّ من بورمان وإيفانز (Burman & Evans, 2003) دراسة هدفت إلى تحسين مهارات القراءة لدى عينة من تلاميذ المرحلة الابتدائية من ذوي صعوبات التعلم في القراءة حيث أعد الباحثان استراتيجية تدريسية تعتمد أساليبها وأنشطتها التعليمية على نظرية الذكاءات المتعددة، تكونت عينة الدراسة من (٢٧) طالباً في الصف الثاني، ولأغراض القياس القبلي تم تطبيق اختبار تحصيلي في القراءة ثم تحليل إجابات الطلاب، وتم إجراء مسح للأباء لمعرفة مدى وعيهم بالمشكلات القرائية التي يعاني منها أبناؤهم والأساليب التي يتبعونها في الدراسة، كذلك إجراء مسح لمعرفة اتجاهات الطلبة نحو القراءة ومدى الدعم الذي يتلقونه من والديهم لمواجهة الصعوبات القرائية التي يعانون منها، ثم تم تطبيق البرنامج التعليمي المبني على نظرية الذكاءات المتعددة لتدرس القراءة لمدة (١٢) أسبوعاً، وقد بينت النتائج أن الأساليب والأنشطة التعليمية القائمة على نظرية الذكاءات المتعددة قد أدت إلى تحسن ملحوظ في القياس الباعدي لمهارات القراءة لدى أفراد عينة الدراسة مقارنة بالقياس القبلي . وقامت نولين (Nolen, 2003) بدراسة هدفت إلى فحص قدرة تلاميذ المرحلة الابتدائية على فهم المقررات الدراسية التي يدرسوها من خلال أساليب التدريس القائمة على نظرية الذكاءات المتعددة، ومن أهم النتائج التي أسفرت عنها الدراسة أن أساليب التدريس القائمة على هذه النظرية كانت فعالة في زيادة فهم أفراد عينة الدراسة لمقرراتهم الدراسية، مما أدى إلى رفع مستوى تحصيلهم الدراسي . قام الصفيير والنصار (٢٠٠٢) بدراسة هدفت إلى التعرف على ممارسات المعلمين التدريسية في ضوء نظريات التعلم والفرق بين هذه الممارسات فيما تبعها عدد من المتغيرات، وهي المؤهل والتخصص والمرحلة التعليمية، وقد اختارت الدراسة ثلاث نظريات النظرية السلوكية، والنظرية المعرفية، والنظرية الإنسانية، ولتحقيق هذا الهدف فقد تم توزيع استبيانه على عينة عشوائية مؤلفة من (٣٥) معلماً لجمع بيانات الخاصة بالدراسة، وقد أظهرت نتائج الدراسة استناد ممارسات المعلمين التدريسية إلى النظرية الإنسانية أكثر من النظريات الأخرى، كما أظهرت نتائج الدراسة فروقاً ذات دلالة إحصائية بين المعلمين ذوي

المؤهلات الأعلى من البكالوريوس والمعلمين ذوي المؤهلات الأقل من البكالوريوس فيما يتعلق بالنظيرية المعرفية لصالح المعلمين ذوي المؤهلات الأعلى من البكالوريوس، أما فيما يتعلق بمتغير المرحلة التعليمية فلم يكن له أثر يذكر على ممارسات المعلمين في ضوء نظريات التعلم، وأظهر متغير التخصص فروقاً بين المجموعات؛ حيث جاءت الفروق بين معلمي التربية البدنية والفنية من جهة ومعلمي الاجتماعيات من جهة أخرى فيما يتعلق بالنظيرية الإنسانية لصالح معلمي الاجتماعيات.

المنهج والإجراءات:

منهج الدراسة:

لقد تم استخدام المنهج الوصفي المسحي في هذه الدراسة، وقد تم اختياره؛ نظراً لملاءمته موضوع الدراسة الحالية وأهدافها، وهو ما يعرفه (عبيدات، ٢٠٠١، ٢١٩) بأنه: «المنهج الذي يعتمد على دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع، ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً ويعبر عنها تعبيراً كيفياً وتعبيرأ كبيباً».

مجتمع الدراسة:

يتكون مجتمع الدراسة من جميع معلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية للمرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية في معاهد برامج التربية الفكرية بمدينة الرياض (بنات) والبالغ عددهن (٢٦٧) معلمة، موزعات على معاهدين، و(٣٦) برنامج دمج للتربية الفكرية للعام الدراسي ١٤٣٥-١٤٣٦، وهي مجموع معاهد وبرامج التربية الفكرية للبنات بمدينة الرياض للمرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية (إدارة التربية والتعليم بمنطقة الرياض، ١٤٣٦-١٤٣٥).

عينة الدراسة:

تم اختيار عينة عشوائية من معلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية في مدينة الرياض (بنات)، وقد بلغ عددها (١٦٦) معلمة من معلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية بنسبة (٦٢٪) من مجتمع الدراسة.

خصائص أفراد عينة الدراسة :

يمكن توضيح عينة الدراسة في ضوء متغيرات الدراسة كما في الجداول (١، ٢، ٣، ٤) توضح توزيع عينة الدراسة حسب متغيرات سنوات الخبرة، والمؤهل العلمي، وتصنيف الطالبة، والمرحلة الدراسية.

جدول (١)

يبين توزيع أفراد عينة الدراسة حسب عدد سنوات الخبرة

النسبة المئوية	المددة	عدد سنوات الخبرة
%١٢,٠٥	٢٠	أقل من ٥ سنوات
%٢٦,٥١	٤٤	من ٥ - ١٠ سنوات
%٦١,٤٥	١٠٢	أكثر من ١٠ سنوات
%١٠	١٦٦	الإجمالي

يتضح من الجدول السابق أن أكثر أفراد العينة من معلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية ممن خبرتهن (أكثر من ١٠ سنوات) نسبة مئوية (%)٦١,٤٥، ثم يليهن من خبرتهن (من خمس - عشر سنوات)، وذلك بنسبيه مئوية (%)٢٦,٥١، وأخيراً يأتي من خبرتهن (أقل من خمس سنوات) بنسبيه مئوية (%)١٢,٠٥) مما يدل على أن أكثر أفراد عينة الدراسة من معلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية ممن لديهن خبرة كبيرة في هذا المجال.

جدول (٢)

يبين توزيع أفراد عينة الدراسة حسب المؤهل التعليمي

النسبة المئوية	المددة	المؤهل التعليمي
%٢,٤١	٤	أقل من بكالوريوس
%٩٣,٣٧	١٥٥	بكالوريوس
%٤,٢٢	٧	ماجستير
%١٠	١٦٦	الإجمالي

يتضح من الجدول السابق أن معظم أفراد العينة من معلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية ممن مؤهلن التعليمي البكالوريوس، وذلك بنسبيه مئوية (%)٩٣,٣٧، ثم يأتي حملة الماجستير بنسبيه مئوية (%)٤,٢٢، وأخيراً يأتي من مؤهلن التعليمي أقل من البكالوريوس، وذلك بنسبيه مئوية (%)٢,٤١).

جدول (٣)

يبين توزيع أفراد عينة الدراسة حسب تصنيف الطالبة

تصنيف الطالبة	العدد	النسبة المئوية
قابلات للتعليم	١٢٢	%٧٣,٤٩
قابلات للتدريب	٤٤	%٢٦,٥١
الإجمالي	١٦٦	%١٠٠

يتضح من الجدول السابق أن معظم أفراد العينة من معلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية اللاتي يدرسن طالبات القابلات للتعليم؛ حيث كانت نسبتهن المئوية (%٧٣,٤٩)، ثم يأتي أفراد العينة ممن يدرسن طالبات القابلات للتدريب، وذلك بنسبة مئوية (%٢٦,٥١).

جدول (٤)

يبين توزيع أفراد عينة الدراسة حسب المرحلة الدراسية

المرحلة الدراسية	العدد	النسبة المئوية
الابتدائي	١٠٥	%٦٣,٢٥
المتوسط	٤٠	%٢٤,١٠
الثانوي	٢١	%١٢,٦٥
الإجمالي	١٦٦	%١٠٠

يتضح من الجدول السابق أن أكثر أفراد العينة من معلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية اللاتي يدرسن طالبات المرحلة الابتدائية حيث كانت نسبتهن المئوية (%٦٣,٢٥)، ثم يأتي أفراد العينة ممن يدرسن طالبات المرحلة المتوسطة وذلك بنسبة مئوية (١٠٪)، وأخيراً يأتي من يدرسن طالبات المرحلة الثانوية بنسبة مئوية (%١٢,٦٥).

أداة الدراسة :

قام الباحثان بإعداد أداة الدراسة، وذلك للحصول على المعلومات بتصميم استبانة، وذلك للاء منها للمنهج البحثي المستخدم؛ وهو المنهج الوصفي؛ لتحديد مدى الممارسات التدريسية لعلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية التي تتم في ضوء نظريات التعلم، مستقيمة من الإطار النظري والدراسات السابقة، وبالرجوع لعدد من المقاييس التي ترتبط بأهداف الدراسة؛ وهي مقاييس ممارسات المعلمين التدريسية في ضوء نظريات التعلم (الصفيير والنصار، ٢٠٠٢)، ومقاييس التدريس البنائي (ريان، ٢٠١١)، ومقاييس الممارسات الصحفية التدريسية من منظور بنائي (هندى والتعميمي، ٢٠١٢)، ومقاييس التدريس البنائي (الخالدي، ٢٠١٣)، كما تم الرجوع

إلى ما كتب في الأدبيات العربية والأجنبية عن التطبيقات التربوية في التربية الخاصة المبنية من نظريات التعلم (السلوكية والبنائية والاجتماعية).

وأشتمل الاستبيان على جزأين لتحقيق أهداف الدراسة، كما يلي:

الجزء الأول: وتضمن جمع معلومات عن عينة الدراسة توضح المتغيرات التالية: (المؤهل التعليمي، والخبرة التدريسية، والمرحلة التعليمية التي تقوم بتدريسها، وتصنيف التلميذة ذات الإعاقة الفكرية التي تقوم المعلمة بتدريسها) كما سبق إيضاحها. **الجزء الثاني:** وتضمن هذه الجزء (٢٢) عبارة موزعة على ثلاثة أبعاد، وهي: ١- بعد النظرية السلوكية: وتكون من (٦) عبارات، اشتملت على أهم التطبيقات التربوية المبنية من هذه النظرية، والتي تمارس مع التلميذات ذات الإعاقة الفكرية. ٢- وبعد النظرية البنائية: وتكون من (١٠) عبارات، واحتسبت على أهم التطبيقات التربوية المبنية من هذه النظرية، والتي يمكن أن تمارس في التدريس مع التلميذات ذات الإعاقة الفكرية وتتلاعماً مع قدراتهن. ٣- وبعد النظرية الاجتماعية: وتكون من (٧) عبارات، اشتملت على أهم مبادئ النظرية الاجتماعية في الممارسة في تدريس التلميذات ذات الإعاقة الفكرية.

صدق الأداة :

يقصد بالصدق: «شمول الاستماراة لكل العناصر التي يجب أن تدخل في التحليل من ناحية، ووضوح فقراتها ومفرداتها من ناحية ثانية، بحيث تكون مفهومة لكل من يستخدمها» (العساف، ١٤٢٧هـ : ٣٦٩). وقد قام الباحثان بالتأكد من صدق أداة الدراسة من خلال القيام بالتالي:

١- الصدق الظاهري لأداة الدراسة:

للتعرف على مدى صدق أداة الدراسة في قياس ما وضعت لقياسه، تم عرضها على (٨) من المحكمين المتخصصين في مجال التربية الخاصة وعلم النفس من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات السعودية. لبيان مدى انتفاء الفقرة للمحور الذي وضعت فيه، وبيان مدى دقة الصياغة من حيث سلامة اللغة ووضوح معانيها. وقد تم الأخذ بمخالحظات المحكمين، وتم اعتماد العبارات التي تم الاتفاق عليها من قبل المحكمين، والتي تزيد عن نسبة (٨٥٪) فأكثر، والملحق رقم (٢) يوضح قائمة أسماء لجنة التحكيم.

٢- صدق البناء الداخلي:

(الاتساق الداخلي): لحساب صدق البناء الداخلي للاستبيان تم التطبيق على عينة استطلاعية مكونة من (٤٠) معلمة من معلمات التلميذات ذات الإعاقة الفكرية، وذلك بحساب معامل ارتباط بيرسون بين الدرجة لكل عبارة والدرجة الكلية للبعد الذي تتنمي إليه، وأيضاً

معامل الارتباط بين كل محور والدرجة الكلية للاستيانة، وتم استخدام لذلك برنامج (SPSS) والجدول التالي توضح ذلك:

جدول (٥)

يبين معاملات ارتباط بيرسون لعبارات المحور الأول: النظرية السلوكية وبين الدرجة الكلية للبعد

مستوى الدلالة الإحصائية	معامل الارتباط بالمحور	رقم العبارة	مستوى الدلالة الإحصائية	معامل الارتباط بالمحور	رقم العبارة
**, ., **	., ٧٤	٤	**, ., **	., ٦٧	١
**, ., **	., ٧٥	٥	**, ., **	., ٧٩	٢
**, ., **	., ٨٢	٦	**, ., **	., ٧٨	٣

* يعني مستوى الدلالة (٠٠,٠٥)، ** يعني مستوى الدلالة (٠١,٠٥)

يتضح من الجدول السابق أن معاملات الارتباط بين العبارات والدرجة الكلية بعد النظرية السلوكية معاملات جيدة ومقبولة، حيث كانت كلها دالة عند مستوى دلالة أقل من (٠٠,٠٥).

جدول (٦)

يبين معاملات ارتباط بيرسون لعبارات المحور الثاني: النظرية البنائية وبين الدرجة الكلية للبعد

مستوى الدلالة الإحصائية	معامل الارتباط بالمحور	رقم العبارة	مستوى الدلالة الإحصائية	معامل الارتباط بالمحور	رقم العبارة
**, ., **	., ٦٥	٦	**, ., **	., ٧٠	١
**, ., **	., ٨٤	٧	**, ., **	., ٦٣	٢
**, ., **	., ٦٩	٨	*, ., ١٥	., ٢٨	٣
**, ., **	., ٦٥	٩	**, ., ٤٤	., ٤٥	٤
*, ., ١٣	., ٣٩	١٠	**, ., **	., ٦٠	٥

* يعني مستوى الدلالة (٠٠,٠٥)، ** يعني مستوى الدلالة (٠١,٠٥)

يتضح من الجدول السابق أن معاملات الارتباط بين العبارات والدرجة الكلية بعد النظرية البنائية معاملات جيدة ومقبولة، حيث كانت كلها دالة عند مستوى دلالة أقل من (٠٠,٠٥).

جدول (٧)

يبين معاملات ارتباط عبارات المحور الثاني: النظرية الاجتماعية
ويبين الدرجة الكلية للبعد

مستوى الدلالة الإحصائية	معامل الارتباط بالمحور	رقم العبارة	مستوى الدلالة الإحصائية	معامل الارتباط بالمحور	رقم العبارة
**، .٠٠	.٦٨	٥	**، .٠٠	.٦٢	١
**، .٠٠	.٧٤	٦	**، .٠٠	.٨١	٢
**، .٠٠	.٦٧	٧	**، .٠٠	.٦٧	٣
			**، .٠٠	.٦٠	٤

* يعني مستوى الدلالة (.٠٥)، ** يعني مستوى الدلالة (.٠٠).

يتضح من الجدول السابق أن معاملات الارتباط بين العبارات والدرجة الكلية بعد النظرية الاجتماعية معاملات جيدة ومقبولة، حيث كانت كلها دالة عند مستوى دلالة أقل من (.٠٥).

ثبات الأدلة:

المقصود بثبات أدلة الدراسة أنها تعطي النتائج نفسها تقريرًا لو تكرر تطبيقها أكثر من مرة على نفس الأشخاص في ظروف مماثلة (العساف، ١٤٢٧: ٢٦٩).

وقد تم حساب ثبات الاستبابة وذلك بالتحليل على عينة استحلابية مكونة من (٤٠) معلمة من معلمات التلميذات ذات الإعاقة الفكرية، وذلك باستخدام كل من معامل ألفا كرونباخ Cronbach's Alpha كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول (٨)

يبين حساب ثبات الاستبابة باستخدام معامل ألفا كرونباخ

معامل ثبات ألفا كرونباخ	عدد العبارات	المحور
.٨٣	٦	المحور الأول: النظرية السلوكية
.٨٤	١٠	المحور الثاني: النظرية البنائية
.٨٥	٧	المحور الثالث: النظرية الاجتماعية
.٨٦	٢٢	الدرجة الكلية للأستبابة

يتضح من الجدول السابق ارتفاع ثبات معظم محاور الاستبابة باستخدام معامل ثبات ألفا كرونباخ حيث انحصر معامل الثبات بين (.٨٣، .٨٦) وهي معاملات ثبات مرتفعة أو مقبولة، كما يتضح ارتفاع معامل ثبات الاستبابة على جميع الأبعاد (الدرجة الكلية) حيث بلغ (.٨٦، .٨٦).

مما يدل على قبول ثبات الاستيانة بشكل عام.
ولتسهيل تقسيم النتائج تم استخدام الأسلوب التالي لتحديد مستوى الإجابة على بدائل المقياس، حيث تم إعطاء وزن للبدائل: (كبيرة = ٤، متوسطة = ٢، متوسطة = ٢، لا أمarsن = ١)، تم تصنيف تلك الإجابات إلى أربع مستويات متساوية المدى من خلال المعادلة التالية: طول الفتنة = (أكبر قيمة - أقل قيمة) ÷ عدد بدائل المقياس = (٤ - ١) ÷ ٤ = ٠,٧٥، لتحصل على مدى المتوسطات التالية لكل وصف أو بديل.

جدول (٤)

يبين توزيع مدى المتوسطات وفق التدرج المستخدم في أداة البحث

مدى المتوسطات	الوصف
٤ - ٢,٢٦	كبيرة
٢,٢٥ - ٢,٥١	متوسطة
٢,٥٠ - ١,٧٦	قليلة
١,٧٥ - ١	لا أمarsن

نتائج الدراسة ومناقشتها :

أولاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الأول: ما مدى الممارسات التدريسية لعلماء التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية التي تم في ضوء نظريات التعلم؟ وللإجابة على السؤال السابق وللتعرف على مدى الممارسات التدريسية لعلماء التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية التي تم في ضوء نظريات التعلم، تم حساب التكرارات والنسبة والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والترتيب للمتوسط الحسابي لبيانات كل من المحاور الثلاثة (المحور الأول: النظرية السلوكية، المحور الثاني: النظرية البنائية، المحور الثالث: النظرية الاجتماعية) من وجهة نظر أفراد العينة من علماء التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية، كما هو موضح فيما يلي:

**المحور الأول: النظرية السلوكية؛
جدول (١٠)**

**يبين التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات المسابية والانحرافات المعيارية والترتيب للمتوسط
الحسابي لعيارات المحور الأول: النظرية السلوكية**

رقم العينة	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	لا أمارس	قليلة	متوسطة	كبيرة	العبارة	م
٦	٠,٤٧	٣,٧٦	+	٣	٢٤	١٢٩	ك	أقوم بتحليل المهمة التعليمية الكلية إلى خطوات قصيرة ومتسلسلة.
			+	١,٨١	٢٠,٤٨	٧٧,٧١	%	
١	٠,٤٢	٣,٨٦	١	١	١٩	١٤٥	ك	أحدد الأهداف المطلوبة للدرس قبل البدء بعملية التدريس.
			٠,٦	٠,٦	١١,٤٥	٨٧,٣٥	%	
٥	٠,٦٢	٣,٧٨	٦	١	١٦	١٤٢	ك	أركز على ضرورة التدرج في المهام التعليمية من السهل إلى الصعب.
			٣,٦١	٠,٦	٩,٦٤	٨٦,١٢	%	
٤	٠,٤٧	٣,٧٩	+	٤	٢٧	١٣٥	ك	أقدم التعزيز المناسب للتلמידة عند حدوث الاستجابات الصحيحة بشكل فوري.
			+	٢,٤١	١٦,٣٧	٨١,٣٣	%	
٢	٠,٤٢	٣,٨٤	+	٣	٢١	١٤٢	ك	أعتقد أن التكرارات في التدريب على المهارة المتعلمة يجعلها أقل عرضة للتسيان.
			+	١,٨١	١٢,٦٥	٨٥,٥٤	%	
٣	٠,٤	٣,٨٢	+	١	٢٧	١٢٨	ك	أقدم الميسرات التعليمية المساعدة التي تسهل على التلميذة الوصول إلى الإجابة الصحيحة.
			+	٠,٦	١٦,٢٧	٨٢,١٣	%	
	٠,٤٧	٣,٨١	المتوسط العام للمحور					

المحور الثاني، النظرية البنائية:**جدول (١١)**

يبين التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والترتيب للمتوسط الحسابي لمعبارات المحور الثاني: النظرية البنائية

الرتبة	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	النسبة المئوية	غير ممارس	قليلة	متوسطة	كبيرة	المعيار	م
١.	٠,٧٥	١,٦٩	٧٣	٤٢	٣٤	١٧	ك	أبدأ ب تقديم الدروس للتلמידات من خلال مشكلة حقيقة تثير تساؤلاتهن واهتمامهن.	١
			١٢,٩٨	٢٥,٢٠	٢٠,٦٨	١٠,٢٤	%		
٢	٠,٧٣	٢,٢٧	٦٦	٢٥	١٨	٤٧	ك	أشجع التلميذات على العمل التعاوني والعمل من خلال مجموعات.	٢
			٣٩,٧٥	٢١,٠٨	١٠,٨٦	٢٨,٣١	%		
٣	٠,٣٩	٢,٨٧	-	٣	١٦	١٤٧	ك	أراضي خصائص التلميذات وما يلارزمهن من احتياجات تدريسي.	٣
			-	١,٨١	٩,٦٤	٨٨,٥٥	%		
٤	٠,٥٦	٢,٢٥	٥١	٦٤	٤٨	٢٢	ك	أمنح فرصة للتلמידات كي يتوصلن بأنفسهن لإيجابيات الأسئلة المقيدة لهن.	٤
			٣٠,٧٣	٢٦,٥٠	٢٨,٩٢	١٣,٨٥	%		
٥	٠,٦٨	١,٨١	٩٢	٢٨	٢٤	١١	ك	أمنح فرصة للتلמידات للتحاور في عملية التعلم وعرض آسئلتهن وأفكارههن.	٥
			٥٦,٠٨	١٦,٨٦	٢٠,٨٤	٦,٦٢	%		
٦	٠,٦٤	٢,٦٦	٣	٦	٢٥	١٢٢	ك	أعرض إنجازات التلميذات أمام زميلاتهن في مكان يارز داخل الصفت أو داخل المدرسة.	٦
			١,٨١	٢,٦١	٢١,٠٨	٧٣,٤٩	%		
٧	٠,٨٦	١,٨٦	٦٤	٧٧	٨	١٧	ك	أعطي الفرصة لاشتراك التلميذات في وضع قوانين السلوك في الصفت الدراسية.	٧
			٣٨,٥٠	٤٦,٣٦	٤,٨٢	١٠,٢٤	%		
٨	٠,٤٤	٢,٨٢	-	٤	٢٢	١٤٠	ك	أربط الموضوع المقرر على التلميذات بحياتهن وخبراتهن السابقة حول الموضوع كي يكون التعلم أكثر فاعلية.	٨
			-	٢,٤١	١٣,٢٥	٨٤,٣٤	%		

النحو	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	لامارسن	قليلة	متوسطة	كبيرة	العبارة		%
٧	٠,٦٩	٢,٠٢	٣٤	١٠٠	٢٥	٧	ك	أعتقد أن استراتيجية التعلم بالاقرأن طريقة فعالة في تعلم التلميذات ذات الإعاقة الفكرية.	٩
			٢٠,٤٨	٦٠,٢٤	١٥,٠٦	٤,٢٢	%		
٢	٠,٤٥	٢,٧٧	-	٢	٣٤	١٣٠	ك	أقوم أداء التلميذات بصفة مستمرة وأساليب متنوعة.	١٠
			-	١,٢	٢٠,٤٨	٧٨,٢١	%		
	٠,٦٢	٢,٩٨	المتوسط العام للمحور						

المحور الثالث: النظرية الاجتماعية :

جدول (١٢)

يبين التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والتقارب للمتوسط الحسابي لعبارات المحور الثالث: النظرية الاجتماعية

النحو	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	لامارسن	قليلة	متوسطة	كبيرة	العبارة		%
٢	٠,١١	٢,٨٢	-	٢	٢٥	١٣٩	ك	أقوم بتطبيق المهارة وأداء النموذج أمام التلميذات كي يتلمن بشكل أفضل.	١
			-	١,٢	١٥,٦	٨٢,٧٢	%		
١	٠,٣٥	٢,٨٩	-	٢	١٤	١٥٠	ك	أعزز التلميذات عند تأدية المهارة المطلوبة بشكل صحيح.	٢
			-	١,٢	٨,١٣	٩٠,٣٦	%		
٤	٠,٥٨	٢,٧١	١	٨	٢٩	١٢٨	ك	احرص أن لا تشاهد التلميذات سلوكيات غير مرغوبية كي لا يؤثر على سلوكيهن.	٣
			٠,٦	٤,٨٢	١٧,٤٧	٧٧,١١	%		
٦	٠,٧٦	٢,٥٣	٥٤	١٥	٥٢	٤٥	ك	أعرض على التلميذات نماذج للأداء الخاطئ ونماذج للأداء الصحيح في نفس الوقت للمقارنة بينهما.	٤
			٣٢,٥٣	٩,٠١	٢١,٣٣	٢٧,١٠	%		
٥	٠,٦	٢,٧٤	٣٢	٢٥	٤٣	٥٦	ك	احرص على تمثيل المهارات المطلوبة للتلמידات في نفس المكان ونفس الظروف التي ستؤدي فيه التلميذة المهارة المطلوبة.	٥
			١٩,٢٧	٢١,٠٨	٤٥,٩	٣٣,٧٣	%		

العبارة	كثيرة	متوسطة	قليلة	لا تمارس	المحسبي	الاتجاهات المباري	نوعية
اعتقد أن التعلم بالتمددية استراتيجية فعالة في تعليم مهارات الحياة اليومية للتلميذات ذوات الإعاقة الفكرية.	كثيرة	١٣٤	٢٨	٤	٠	٢,٧٨	٠,٤٧
	%	٪	٪	٪	٪	١٦,٨٧	٢,٤١
أعرض على التلميذة نماذج مرئية (الفيديو أو الآي باد ...) للتدريب على المهارة المطلوبة	كثيرة	٢٠	٢٧	٥٨	٥١	١,٨٦	٠,٥٨
	%	٪	٪	٪	٪	١٦,٢٧	٢٤,٩٢
المتوسط العام للمحور							
٠,٥٤							

توصلت نتائج هذا السؤال إلى ما يلي :

- كما يتضح من جدول رقم (١٠) أن أفراد عينة الدراسة موافقون - بدرجة كبيرة - على ممارسة التدريس من قبل معلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية في ضوء النظرية السلوكية، وجاءت أعلى العبارات على هذا البعد (أحد الأهداف السلوكية للدرس قبل البدء بعملية التدريس) بمتوسط حسابي (٢,٨٦)، كما جاءت العبارة (أعتقد أن التكرار في التدريب على المهارة المتعلمة يجعلها أقل عرضة للتنسیان) في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (٢,٨٤)، ويدرجة موافقة كبيرة، وجاءت العبارة (أقدم الميسرات التعليمية المساعدة التي تسهل على التلميذة الوصول إلى الإجابة الصحيحة) في المرتبة الثالثة بمتوسط حسابي (٢,٨٢) ويدرجة موافقة كبيرة.
- كما توصلت نتيجة هذا السؤال وكما يشير جدول رقم (١١) إلى أن أفراد عينة الدراسة موافقون بدرجة متوسطة على ممارسة التدريس من قبل معلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية في ضوء النظرية البنائية. وجاءت العبارة (أراعي خصائص التلميذات وما يلزمهن من احتياجات في تدريسي) في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (٢,٨٧)، ويدرجة موافقة كبيرة، وجاءت العبارة (أربط الموضوع المقرر على التلميذات بحياتها وخبراتها السابقة حول الموضوع كي يكون التعلم أكثر فعالية) في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (٢,٨٢) ويدرجة موافقة كبيرة، كما جاءت العبارة (أقوم أداء التلميذات بصفة مستمرة وأساليب متنوعة) في المرتبة الثالثة بمتوسط حسابي (٢,٧٧) ويدرجة موافقة كبيرة.
- كما توصلت النتائج وكما يشير جدول رقم (١٢) إلى أن أفراد عينة الدراسة موافقون - بدرجة متوسطة - على ممارسة التدريس من قبل معلمات التلميذات ذوات الإعاقة

الفكرية في ضوء النظرية الاجتماعية، وأن أعلى العبارات على هذا البعد جاءت العبارة (أعزز التلميذات عند تأدية المهارة المطلوبة بشكل صحيح) في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (٣,٨٩). ويدرجة موافقة كبيرة، وجاءت العبارة (أقوم بتطبيق المهارة وأداء النموذج أمام التلميذات كي يتعلمون بشكل أفضل) في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (٢,٨٢). ويدرجة موافقة كبيرة، كما جاءت العبارة (أعتقد أن التعلم بالنمذجة استراتيجية فعالة في تعليم مهارات الحياة اليومية للتلميذات ذوات الإعاقة الفكرية) في المرتبة الثالثة بمتوسط حسابي (٢,٧٨). ويدرجة موافقة كبيرة.

السؤال الثاني: ما هي أكثر النظريات التعليمية ممارسة في التدريس لدى معلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية؟ وللإجابة على السؤال السابق وللتعرف على أكثر النظريات التعليمية ممارسة في التدريس لدى معلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية، وذلك من وجهة نظر أفراد العينة من معلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية يمكننا ترتيب محاور النظريات الثلاث حسب المتوسطات الحسابية كما يلي:

(جدول ١٣)

يبين ترتيب محاور النظريات التعليمية الثلاث حسب المتوسطات الحسابية لدرجات ممارستها من وجهة نظر أفراد الدراسة من معلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية

المرتب	درجة الممارسة	المتوسط الحسابي	المحور	%
١	كبيرة	٣,٨١	النظيرية السلوكية	١
٢	متوسطة	٢,٩٨	النظيرية البنائية	٢
٣	متوسطة	٢,١٩	النظيرية الاجتماعية	٢

توصلت نتائج هذا السؤال إلى أن درجة ممارسة النظيرية السلوكية جاء بالمرتبة الأولى بمتوسط حسابي (٣,٨١)، ويدرجة موافقة كبيرة، بينما جاءت ممارسة النظيرية الاجتماعية من وجهة نظر عينة الدراسة في المرتبة الثانية بدرجة موافقة متوسطة بمتوسط حسابي (٢,١٩)، وأخيراً جاءت في المرتبة الثالثة درجة ممارسة النظيرية البنائية بمتوسط حسابي (٢,٩٨)، ويدرجة موافقة متوسطة أيضاً . وقد اختلفت نتيجة هذا السؤال من أسئلة الدراسة مع نتيجة دراسة الصغير والنصار (٢٠٠٢) التي أظهرت نتائجها أن ممارسات المعلمين التدريسية تعتمد إلى النظيرية الإنسانية أكثر من النظريات الأخرى.

السؤال الثالث: هل تختلف الممارسات التدريسية لمعلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية تبعاً لكل من المتغيرات (الخبرة التدريسية، المؤهل التعليمي، تصنيف الطالبة ذات الإعاقة الفكرية، المرحلة التعليمية)؟ للإجابة على السؤال السابق وللوقوف على الفروق ذات الدلالة

الإحصائية إن وجدت حول الممارسات التدريسية لمعلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية، والتي تُعزى لاختلاف المتغيرات (الخبرة التدريسية، المؤهل التعليمي، تصنيف الطالبة ذات الإعاقة الفكرية، المرحلة التعليمية) سنقوم بإجراء اختبار التباين أحادي الاتجاه (One-way ANOVA) للوقوف على الفروق التي ترجع لاختلاف المتغيرات (الخبرة التدريسية، المؤهل التعليمي، المرحلة التعليمية)، بينما سنقوم بإجراء اختبار (T. test) لعينتين مستقلتين مع متغير (تصنيف الطالبة ذات الإعاقة الفكرية)، وهذا ما يتضح فيما يأتي:

متغير الخبرة التدريسية:

جدول (١٤)

نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي (ANOVA) للفروق بين استجابات أفراد العينة حول الممارسات التدريسية لمعلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية، والتي ترجع إلى اختلاف متغير الخبرة التدريسية

المتغير	تصنيف الطالب	مجموع مربعات التباين	درجات الحرارة	متوسط التربيعات	قيمة F	مستوى الدلالة
النظريّة السلوكيّة	بين المجموعات	٩٦,٦	٢	٤٨,٢٩	١٩,٥٥	** , .٠٠
	داخل المجموعات	٤٠٢,٧	١٦٣	٢,٤٧		
النظريّة البنائيّة	بين المجموعات	٩٧,١	٢	٤٨,٥٧	٣,٣٨	* , .٠٤
	داخل المجموعات	٢٤٦٦,٩	١٦٣	١٦,٨٢		
النظريّة الاجتماعيّة	بين المجموعات	٧٢,٨	٢	٣٦,٣٨	٧,٠٨	** , .٠٠١
	داخل المجموعات	٨٧٣,٢	١٦٣	٥,١٤		

* يعني مستوى الدلالة (٠٠,٠٥)، ** يعني مستوى الدلالة (٠٠,٠١)

جدول (١٥)

نتائج المقارنات البعدية لبيان الفروق حول محاور النظريّات التدريسية لمعلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية الثلاث، والتي ترجع إلى اختلاف متغير الخبرة التدريسية باستخدام اختبار شيفيلد

المتغير	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	أقل من ٥ سنوات	من ٥ - ١٠ سنوات	١٠ - ٥ سنوات
النظريّة السلوكيّة	٢٠	٢٠,٨٠	٢,٠٧	-	-	-
	٤٤	٢٢,٠٠	١,١٦	٢٢,٣٩	٢٢,٣٩	٢٢,٣٩
	١٠٢	٢٢,١٩	١,٢٨	٢٠,٣٨	٢٠,٣٨	٢٠,٣٨
النظريّة البنائيّة	٢٠	٢٥,٨٥	٢,٢٣	-	-	-
	٤٤	٢٠,٩٨	٢,٦١	٢٠,٣٧	٢٠,٣٧	٢٠,٣٧
	١٠٢	٢١,٢٥	٢,١٢	٢٠,٤٠	٢٠,٤٠	٢٠,٤٠
النظريّة الاجتماعيّة	٢٠	١٧,٨٨	٢,٥٥	-	-	-
	٤٤	٢١,٢٢	٢,٧٧	٢١,٢٢	٢١,٢٢	٢١,٢٢
	١٠٢	٢١,٢٩	٢,٩٦	٢٠,٨٨	٢٠,٨٨	٢٠,٨٨

* يعني مستوى الدلالة (٠٠٥)، ** يعني مستوى الدلالة (٠٠١)

متغير المؤهل التعليمي:

جدول (١٦)

نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي (ANOVA) للفرق بين استجابات أفراد العينة حول الممارسات التدريسية لعلمات التلميذات ذوات الاعاقة الفكرية، والتي ترجع إلى اختلاف متغير المؤهل التعليمي

المتغير	مصدر التباين	مجموع مربعات	درجات الحرارة	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
النظيرية	بين المجموعات	٦,٣	٢	٣,١٣	١,٠٣	٠,٣٥٨
	داخل المجموعات	٤٩٣,٠	١٦٣	٢,٠٢		
السلوكية	بين المجموعات	٢,٨	٢	١,٤٠	٠,٠٩	٠,٩١٣
	داخل المجموعات	٢٥١١,٣	١٦٣	١٥,٤١		
البنائية	بين المجموعات	٤,٧	٢	٢,٣٥	٠,٤٢	٠,٧٠٠
	داخل المجموعات	٩٠٥,٣	١٦٣	٥,٥٥		

* يعني مستوى الدلالة (٠٠٥)، ** يعني مستوى الدلالة (٠٠١)

متغير المرحلة التعليمية:

جدول (١٧)

نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي (ANOVA) للفرق بين استجابات أفراد العينة حول الممارسات التدريسية لعلمات التلميذات ذوات الاعاقة الفكرية، والتي ترجع إلى اختلاف متغير المرحلة التعليمية

المتغير	مصدر التباين	مجموع مربعات	درجات الحرارة	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
النظيرية	بين المجموعات	٠,٦	٢	٠,٣٠	٠,١٠	٠,٩٠٦
	داخل المجموعات	٤٨٨,٦	١٦٣	٣,٠٦		
السلوكية	بين المجموعات	٢٨,٧	٢	١٩,٣٦	١,٢٨	٠,٢٨٢
	داخل المجموعات	٢٤٧٥,٣	١٦٣	١٥,١٩		
البنائية	بين المجموعات	٤,٢	٢	٢,١١	٠,٢٨	٠,٦٨٥
	داخل المجموعات	٩٠٥,٨	١٦٣	٥,٥٦		

* يعني مستوى الدلالة (٠٠٥)، ** يعني مستوى الدلالة (٠٠١)

متغير تصنیف الطالبة ذات الإعاقة الفكرية :

جدول (١٨)

دراسة الفروق بين متوسطات استجابات أفراد العينة حول الممارسات التدريسية لعلمات التلميذات ذات الإعاقة الفكرية، والتي ترجع إلى اختلاف متغير تصنیف الطالبة ذات الإعاقة الفكرية
باستخدام اختبار T . test لعينتين مستقلتين

المحور	تصنيف الطالبة	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	درجة الحرارة	قيمة ت	مستوى الذلالة
النظريّة السلوكيّة	قابلات للتعليم	١٢٢	٢٢,١٠	١,٣١	١٦٤	٢,٤١	٠,٠٢
	قابلات للتدريب	٤٤	٢٢,١٦	٢,٤٧	١٦٤		
النظريّة البنائيّة	قابلات للتعليم	١٢٢	٣٦,٤٢	٣,٦٣	١٦٤	٢,٩٦	٠,٠٠٤
	قابلات للتدريب	٤٤	٣٤,٤٣	٤,٧٩	١٦٤		
النظريّة الاجتماعيّة	قابلات للتعليم	١٢٢	٢٦,٣٨	٢,٠١	١٦٤	٢,٩١	٠,٠٠٥
	قابلات للتدريب	٤٤	٢٥,٠٠	٢,٩٠	١٦٤		

* دالة إحصائيّاً عند مستوى الدلالة (٠٠,٠٥)، ** دالة إحصائيّاً عند مستوى الدلالة (٠٠,٠١)
كانت نتائج هذا السؤال وكما يتضح من الجداول (١٤-١٥-١٦-١٧-١٨) السابقة ما يلي:
وجود فروق ذات دلالة إحصائيّة عند مستوى دلالة (٠٠,٠٥) في استجابة أفراد العينة من
علمات التلميذات ذات الإعاقة الفكرية حول درجات ممارسة كل محور من محاور النظريّات
التدريسية الثلاث، وكانت كما يأتي: توجد فروق ذات دلالة إحصائيّة حول كل من المحورين
(النظريّة السلوكيّة، النظريّة الاجتماعيّة) بين مجموعة أفراد العينة ممن سنوات خبرتهن
(أقل من ٥ سنوات) من ناحية وبين مجموعة أفراد العينة ممن سنوات خبرتهن (من ٥ - ١٠
سنوات) أو (أكثر من ١٠ سنوات) من ناحية أخرى، وكانت هذه الفروق لصالح مجموعة أفراد
العينة ممن سنوات خبرتهن (من ٥ - ١٠ سنوات) أو (أكثر من ١٠ سنوات). أي أن كل من
مجموعتي أفراد العينة ممن سنوات خبرتهن (من ٥ - ١٠ سنوات) أو (أكثر من ١٠ سنوات)
أكثر ممارسة لكل من المحورين (النظريّة السلوكيّة، النظريّة الاجتماعيّة) من مجموعة أفراد
العينة ممن سنوات خبرتهن (أقل من ٥ سنوات). لا توجد فروق ذات دلالة إحصائيّة حول أي
محور من محاور النظريّات التدريسية ترجع لاختلاف متغير المؤهل التعليمي، أي أنه لا يوجد تأثير
لتغيير المؤهل التعليمي حول أي محور من محاور النظريّات التدريسية. لا توجد فروق ذات دلالة
إحصائيّة حول أي محور من محاور النظريّات التدريسية ترجع لاختلاف متغير المرحلة التعليمية،
أي أنه لا يوجد تأثير لتغيير المرحلة التعليمية حول أي محور من محاور النظريّات التدريسية.

توجد فروق ذات دلالة إحصائية حول كل من المحورين (النظرية السلوكية، النظرية الاجتماعية) عند مستوى (٠١)، وأيضاً حول محور النظرية البنائية عند مستوى (٠٥). ترجع لاختلاف متغير تصنيف الطالبة ذات الإعاقة الفكرية، وكانت جميع هذه الفروق لصالح مجموعة أفراد العينة من معلمات التلميذات ذات الإعاقة الفكرية الالاتي يدرسن تلميذات قابلات للتعليم أي أن مجموعة أفراد العينة من معلمات التلميذات ذات الإعاقة الفكرية الالاتي يدرسن تلميذات قابلات للتعليم أكثر ممارسة لنظريات التدريس الثلاث عن مجموعة أفراد العينة من معلمات التلميذات ذات الإعاقة الفكرية الالاتي يدرسن تلميذات قابلات للتدريب.

توصيات الدراسة :

- في ضوء ما توصلت إليه الدراسة الحالية من نتائج، يمكن وضع التوصيات على النحو الآتي:
- ١- تلبية الاحتياجات التدريبية لمعلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية على استخدام تطبيقات النظرية الاجتماعية والنظرية البنائية: حيث كانت درجة الموافقة على ممارسة مبادئ النظريتين في تعلم التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية متوسط بشكل عام.
 - ٢- تدريب معلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية على استخدام تطبيقات التقنيات التعليمية الحديثة كالحاسب الآلي والإي بادي في التدريس؛ لأنها حصلت على درجة موافقة بدرجة قليلة.
 - ٣- تزويد معلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية بالنشرات التربوية والمعلومات التي توضح أهمية استخدام مبادئ نظريات التعلم بشكل عام والنظريتين: (الاجتماعية، والبنائية) في تعلم التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية بما يتاسب مع خصائص التلميذات وقدراتهن.
 - ٤- تدريب معلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية الالاتي يشرفن على التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية القابلات للتدريب على آليات استخدام نظريات التعلم في عملية تدريب هذه الفئة بما يتاسب مع قدراتهن؛ حيث إنهم يمارسن نظريات التعلم بدرجة أقل من معلمات التلميذات ذوات الإعاقة الفكرية القابلات للتعلم.
 - ٥- يجب إضافة مقررات دراسية في مستوى البكالوريوس والماجستير في قسم التربية الخاصة تكون متخصصة في نظريات التعلم، وتهدف إلى مساعدة المتعلمين على تمكينهم من توظيف مبادئ هذه النظريات في تعليم التلاميذ ذوي الإعاقة الفكرية .
 - ٦- أن يكون الإشراف التربوي على معلمات تلميذات التربية الفكرية حسب المرحلة التعليمية بحيث تختلف مشرفة المرحلة الابتدائية عنها في المرحلة الثانوية، حتى تقدم خدمات إشرافية تتناسب مع حاجات كل مرحلة تعليمية.

المراجع :

- إدارة التربية والتعليم (١٤٣٥-١٤٣٦). إحصائية معاهد وبرامج التربية الفكرية لوزارة التربية والتعليم.
- الرياض: شعبة نظم المعلومات والدعم الفني.
- الادارة العامة للتربية الخاصة (١٤٢٢هـ). القواعد التنظيمية لمعاهد وبرامج التربية الخاصة التابعة لوزارة التربية والتعليم، الرياض: مطابع الادارة العامة للتربية الخاصة.
- الإمام، محمد والجوايدة، فؤاد (٢٠١٠). الإعاقة المقلية ومهارات الحياة في ضوء نظرية العقل، عمان: دار الثقافة.
- الجوالدة، فؤاد والقمش، مصطفى ومقابلة، عاطف، (٢٠١١). مستوى ممارسة معلمي الملاية الموهوبين للذكاءات المتعددة في القرفة الصيفية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية.
- الحربي، عبدالله، (٢٠٠٤). درجة استخدام معلمي العلوم لأفكار النظرية البنائية في التدريس في المراحلة المريمية السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الهاشمية، الأردن.
- حميدة، إمام (٢٠٠٠). مهارات التدريس، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق للنشر.
- الحالدي، جمال (٢٠١٢). درجة ممارسة معلمي التربية الإسلامية ومعلماتها للتدريس البنائي، مجلة جامعة يابل، ١، ٢١.
- الخطيب، جمال (٢٠٠١). أولياء أمور التلاميذ المتعاقدين: استراتيجية العمل وتدربيتهم ودعمهم، الرياض: أكاديمية التربية الخاصة.
- الروسان، هاروق (٢٠٠٢). مقدمة في الإعاقة المقلية، عمان: دار الفكر.
- ريان، عادل (٢٠١١). مدى ممارسة معلمي الرياضيات للتدريس البنائي وعلاقتها بمعتقدات قاعليتهم التدريسية، مجلة جامعة القدس المفتوحة، ١(٢٤)، ٨٥-١١٢.
- الزغول، عماد عبد الرحيم (٢٠١٠). نظريات التعلم، عمان: دار الشروق.
- زهران ، نورا (٢٠١١). فاعلية الانشطة اللغوية القائمة على النظرية البنائية في تعميم مهارات الفهم القرائي لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية، مجلة البحث العلمي في التربية، ١(١٢)، ١٤٨١-١٥١٦.
- زيتون، حسن حسين (٢٠٠٦). مهارات التدريس: رؤية في تنفيذ التدريس، القاهرة: عالم الكتاب.
- زيتون، عايش (٢٠٠٧). النظرية البنائية واستراتيجيات تدريس العلوم، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- زيتون، كمال عبد الحميد (١٩٩٨). فاعلية استراتيجية التحليل البنائي في تصويب التصورات البديلة عن القوة والحركة لدى دارسي الفيزياء ذوي اساليب التعلم المختلفة، مجلة التربية العلمية، ١، ٤.
- السرطاوي، زياد الشخص، عبد العزيز وعبدالجبار، عبد العزيز (٢٠٠٠). الدمج الشامل لذوي الاحتياجات الخاصة: مفهومه وخلفيته النظرية، دولة الإمارات العربية المتحدة، العين: دار الكتاب الجامعي.
- السليم، ملاك (٢٠٠٤) . فاعلية نموذج مقترن لتعليم البنائية في تعميم ممارسات التدريس البنائي لدى معلمات العلوم وأثرها في تعديل التصورات البديلة لفاهيم التغيرات الكيميائية والحيوكيميائية لدى طالبات الصف الأول متوسط بمدينة الرياض، مجلة جامعة الملك سعود للعلوم التربوية والدراسات

- الإسلامية، ١٦، (٢) ٦٨٧-٦٦١.
- سلیمان، سعیحة وأحمد سمية (٢٠١٤). درجة ممارسات الطالبات المعلمات بجامعة الطائف للمهارات التدريسية المكتسبة من برنامج الدبلوم التربوي في الموقف التعليمي بمدارس التدريب. مجلة عالم التربية، ٤٥(٣)، ١٩١-٢٢٦.
- سلیمان، علي (٢٠٠٠). نظريات التعلم وتطبيقاتها في التربية الخاصة. الرياض: مكتبة الصفحات الذهبية.
- شبان، رجب وعفيفي، أحمد محمود (٢٠٠٧م). الممارسات التدريسية لعلمي المرحلة الإعدادية في ضوء نموذج أبعاد التعليم مارزانو: دراسة استكشافية. مجلة القراءة والمعرفة - مصر ، ١٩(٦).
- الشرقاوي، أنور (٢٠١٠). التعلم نظريات وتطبيقات. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية .
- شوق، محمود (١٩٩٨). الاتجاهات الحديثة في تحضير المناهج الدراسية. القاهرة: دار الفكر العربي.
- الصفير، علي والنصار، صالح (٢٠٠٢). ممارسات المعلمين التدريسية في ضوء نظريات التعلم. مجلة القراءة والمعرفة . (١٨)، ٣٤-٦١.
- عيادات، ذوقان (٢٠٠١م). البحث العلمي. عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع.
- العساف، صالح بن حمد (١٤٢٧هـ). المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية . الطيبة الرابعة، الرياض : العبيكان.
- العليمات، حمود (٢٠١٠). درجة ممارسة معلمي المرحلة الأساسية في الأردن للكفايات المهنية في ضوء المعايير الوطنية الحديثة لتنمية المعلمين مهنياً. مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، ١٨(٢)، ٢٦٥-٢٩٨.
- عبدالهادي، جودت (٢٠٠٠). نظريات التعلم وتطبيقاتها التربوية. عمان: الدار العلمية الدولي ودار الثقافة للنشر والتوزيع .
- هذايد، حسين (٢٠١٠). التعلم نظريات وتطبيقات. الرياض: دار الزهراء
- الفرماوي، حمدي والنساج، وليد (٢٠١٠). الإعاقة العقلية (الاضطرابات المعرفية والاتصالية). عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.
- القربيوتى، عبد المطلب (٢٠٠٥). ميكولوجية ذوي الاحتياجات الخاصة وتربيتهم. القاهرة: دار الفكر العربي.
- القادرى، سليمان (٢٠٠٤). نحو نهج جديد لتطوير الممارسات التدريسية لعلمي العلوم. رسالة التربية، (٥)، ٦٢-٦٩.
- قطامي، يوسف وقطامي، نایفة (٢٠٠٦). ميكولوجية التعلم الصفي. عمان: الشروق للطباعة والنشر والتوزيع .
- قدليل، يس (١٩٩٣). التدريس وإعداد المعلم. الرياض: دار الفشور الدولي .
- كوسة، سوسن (٢٠١٢). الممارسات التدريسية لأعضاء هيئة التدريس لقرارات الرياضيات في ضوء معايير الجودة الشاملة. دراسات عربية في التربية وعلم النفس، ٢(٢٥)، ١٤٣-١٨٠.
- محمد، عبد الصبور (٢٠٠٧). ضعفية التعلم باللاظحة في إكساب وتحسين بعض مهارات السلوك التكيفي لدى الأطفال المختلفين عقلياً. مجلة كلية التربية بالزقازيق، (٥٦)، ٢٠١-٢٤٣.
- المقطري، فيصل (٢٠٠٠). مستوى الممارسات التعليمية الصحفية لمعلمي العلوم في المرحلة الثانوية. مجلة

- الدراسات الاجتماعية، (١٠)، ٥-٩.
- المقوشي، عبدالله (٢٠٠١). الأسس النفسية لتعلم وتعليم الرياضيات: أساليب ونظريات معاصرة. الرياض: مكتبة التربية العربي لدول الخليج.
- هارون، صالح (٢٠٠٧). نموذج استراتيجية مقترنة لتدريس وتدريب التلميذ المتخلف عقلياً. المجلة العربية للتربية، (١١)، ١٢٦-١٠٢.
- الوايلي، عبدالله (١٩٩٢). السلوك المدعوي لدى المتخلفين عقلياً، طبيعته وأساليب علاجه. مركز البحوث التربوية، كلية التربية، جامعة الملك سعود: الرياض.
- الوهري، محمود (٢٠٠٢). درجة معرفة معلمي العلوم للنظرية البنائية وأثر تأهيلهم الأكاديمي والتربوي وتجسيدهم عليها. مجلة مركز البحوث التربوية، (٢٢)، ١٢-٦.
- يحيى، خولة (٢٠٠٦). إرشاد ذوي الاحتياجات الخاصة. عمان: دار الفكر.
- American Association on Intellectual and Developmental Disabilities (AAIDD) . (2010). Definition of Intellectual Disability.
- ALBallhan,E (2006)-Multiple intelligences styles in relation to improved reading academic performance in Kuwaiti middle school. Middle East studies. Kuwait university.
- Brown,D., & Rose,T.(1995). Self -reported classroom impact of teachers theories about learning and obstacles to implementation. Action in teacher Education,17(1),20-29.
- Burman,T.,& Evans, D.(2003)-Improving reading skills through multiple intelligences and parental involvement. <http://Searcher.epnet.com/cgi-bin/epnet.cgi?direct=true&db=eric&an=ED478515>.
- Bandura,Albert (1977).Self-efficacy: Toward a unifying theory of behavioral change psychological Review.vol.84,no.2,pp.191-215.
- Bandura, Albert & Walters ,R.H.(1963).Social Learning and Personality development ,New York :Holt ,Rinehart and Winston.
- McIntre,1.1 & Blacher,j(2006)-Behavior Disorders in children. Journal of intellectual disability Research :vol .50, p 184-1980.
- Moussiaux ,S.& Norman,J.(1997).Constructivist teaching practices perceptions of teachers and students. From:<http://www2.ed.psu.edu/cl/journals/97/pap32.htm>.
- Nolen,J.(2003).Multiple Intelligences in Classroom. Issues of Education.
- Neffsky,P. (1997).The effectiveness of authentic assessment and multiple intelligence theory with an individual with developmental disability. Dissertation abstract international MA135106.P.1590,des.
- Raid ,W (1999).Curriculum as Institution and Practice. Lawrence Erlbaum Associates: Mahwah, New Jersey.
- Ross,A.(2000) Curriculum Construction and Critique. London: Flamer Press.



جامعة الطفاف

توكيد الذات لدى طلاب المرحلة الثانوية في مدينة مكة المكرمة

أ.د. أحمد عبد المجيد صمامدي

أستاذ للإرشاد النفسي في جامعة اليرموك

إربد، الأردن

عبد الرحمن صالح عبد الله الزهراني

مرشد في منطقة مكة المكرمة

وقد أشارت الدراسات السابقة إلى أن هناك تبايناً في درجة توقييد الذات بين طلاب المراحل الدراسية المختلفة، حيث يجد طلاب المرحلة الابتدائية توقييداً أقل من طلاب المرحلة المتوسطة والثانوية، مما يشير إلى أن توقييد الذات يزداد مع ارتفاع المراحل الدراسية، وهذا ينبع من التغيرات التي تطرأ على الأفراد مع ارتفاع المراحل الدراسية، حيث يكتسبون مهارات وخبرات جديدة، مما يجعلهم أكثر ثقة في أنفسهم وقادرين على تحمل المسؤوليات.

الملخص

هدفت الدراسة تحديد مستوى توقييد الذات ودرجة اختلافه في ضوء متغيرات (الشخص) والمستوى الدراسي والدخل الشهري للأسرة ونمط المعيشة مع الوالدين) لدى طلاب المرحلة الثانوية في مدينة مكة المكرمة. شارك في الدراسة عينة عشوائية عشوائية مكونة من ٦٠٠ طالباً تم اختيارهم من مدارس مكة المكرمة. أجاب المشاركون على مقياس توقييد الذات بعد أن تم التأكد من خصائصه السيكوبترية. أجريت التحليلات الإحصائية المناسبة. وكشفت النتائج أن مستوى توقييد الذات لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة كان بدرجة متوسطة. وكشفت الدراسة إلى عدم وجود فروق دالة إحصائياً بين متوسطات درجات توقييد الذات تعزى لتغيري الشخص ونمط المعيشة مع الوالدين. كما كشفت التحليلات الإحصائية وجود فروق في درجات توقييد الذات تعزى لتغير المستوى الدراسي، حيث جاءت الفروق لصالح ذوي التحصيل من مستوى ممتاز وجيد جداً مقارنة مع ذوي التحصيل من مستوى جيد. كذلك كشفت النتائج وجود فروق دالة إحصائية تعزى لتغير مستوى الدخل الشهري ولصالح ذوي الدخل المتوسط والمترافق مقارنة مع ذوي الدخل المنخفض (أقل من ٥٠٠ ريال). في حين كانت الفروق لصالح أبناء الأسر التي يعيش فيها الوالدان معاً. خلصت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات.

الكلمات المفتاحية: توقييد الذات، طلاب المرحلة الثانوية، مكة المكرمة.

Abstract

The study proposed to determine level of Self-assertiveness among secondary school students in the Makah city. and to examine if there were significant differences in self-assertiveness in light of the some variables (specialization - academic level - a monthly family income, pattern of living with parents). A random cluster sample of 600 students answered self-assertiveness scale after their psychometric properties were ensured. A statistical analyzes of the data revealed an average level of self-assertiveness among secondary school students in Makah city, no statistically significant differences between the mean scores of the level of self-assertiveness attributed to variables: (a specialty, and the differences of living with parents), there is statistical significant differences in the degree of self-assertiveness attributed to school levels, in favor of students with excellent and very good GPA level compared to the whom of a good level. there is statistically significant differences in self-assertiveness level in the light of the monthly income in favor of those with middle and high income compared to those with low income (less than 5,000 riyals), and the differences in favor of the children of families where both parents are living together. Several recommendations were suggested.

Keywords: Self-assertiveness, High school students, Makah city

مقدمة :

يعتبر موضوع التوكيدية من الموضوعات التي تجد اهتماماً متزايداً من الباحثين في علم النفس وخاصة ميدان الصحة النفسية وبرامج التدريب باعتباره مؤشراً هاماً من مؤشرات الصحة النفسية والكفاءة الشخصية الاجتماعية الناجحة سواءً في الأسرة أو العمل وكافة مناحي الحياة المختلفة. المؤكدون لذواتهم أكثر كفاءة اجتماعية واستمتاعاً بحياتهم، وأكثر بعده عن الاضطرابات النفسية والانحرافات السلوكية وأكثر إبداعاً وانتاجاً في مجالات الحياة المختلفة، وأكثر شفقة بأنفسهم، وأكثر إنجازاً وفاعلية في علاقاتهم وأكثر تحقيقاً لأهدافهم بدون عدوان، ويحصلون الكثير من النجاحات من خلال علاقاتهم المشبعة مع الآخرين (إبراهيم ، ٢٠٠٨). توكييد الذات هو مهارة التعبير عن المشاعر الإيجابية والسلبية المتقدمة مع الآخرين والمختلفة عنهم، وأن عدم القدرة على توكييد الذات يبعد الفرد عن نفسه وعن القيام بمهام الحياة العادلة ويرافق ذلك إحباط وتوتر وخيبة أمل كما يتضمن الانسحاب الاجتماعي الابتعاد عن مجرب الحياة الاجتماعية ويصاحب ذلك عدم التعاون والهروب إلى درجة ما من الواقع الذي يعيش فيه الفرد (الحمدون ، ٢٠٠٢). ويرى كثير من علماء النفس والتربية أن أول طريق للنجاح في الحياة هو النجاح مع الذات والتعامل معها بفعالية، وأن الفشل مع الذات يؤدي غالباً إلى الفشل في الحياة عموماً (القرني ، ١٩٩٧).

فالشخصية التوكيدية هي بمثابة الوسط على متصل أحد طرفيه الشخصية غير التوكيدية، وطرفه الآخر الشخصية العدوانية، فالشخص التوكيدي يستطيع أن يعبر باللفظ وغير اللفظ عن مشاعر وعواطف وأفكار موجبة وسلبية، ويستطيع اتخاذ القرار، ويتمتع بحرية الاختيار في الحياة، وأن الشخص غير التوكيدي يكون على مستوى عالي من القلق والشعور بالذنب والعجز في المهارات الاجتماعية، ونتيجة لذلك يجد صعوبة في التعبير عن الحاجات أو المشاركة في المناسبات الاجتماعية مع الآخرين (المنوفية ، ٢٠٠٥).

وقد حظيت دراسة تأكيد الذات (Self-assertiveness) باهتمام كبير، سواءً على المستوى المدرسي، أو المستوى الحياني، لما لها من أهمية كبيرة في مساعدة الأفراد على التصرف بمهارة اجتماعية، على اعتبار أنها تبني الذات، في حين التصرف بشكل غير مؤكّد للذات يعتبر هزيمة واحتياطاً لها، فالأشخاص المؤكدون لذواتهم يثقون بقدراتهم، ويمتلكون حساً عاماً بالقدرة على الضبط، والعمل بأساليب واقعية ومنطقية، وعندما يتعرض الشخص المؤكد لذاته للفشل في تحقيق توقعاته، فإن ذلك لا يؤثر على دافعيته، بل يسعى لتحقيق وإنجاز مهام أخرى، وعلى العكس من ذلك يكون عدم تأكيد الذات حيث يتمركز القلق والإحباط والاكتئاب والاضطراب

الانفعالي، نتيجة لما يرده الفرد لذاته من جمل وعبارات وأفكار لاعقلانية ولا واقعية ولا تقوم على خبرة تجريبية دقيقة (دحادحة، ٢٠٠٨). والفرد عندما يصبح قادرًا على توصيل أفكاره ومشاعره إلى الآخرين بأريحية، فإنه يتوقع أن تقوى علاقته بهم، وأن ينخفض مستوى القلق والتوتر لديه، وأنه يشعر بالراحة والاسترخاء مما ينعكس إيجابياً على سعادته وصحته النفسية (عابد، ٢٠١٠).

مفهوم توكييد الذات:

يعرف توكييد الذات (self-assertion) بأنه قدرة الفرد على التعبير عن انفعالاته، وأرائه، وجهات نظره حول أي أمر من الأمور، سواء كان متعلقاً بذاته أو بالآخرين، وذلك بصورة سوية وإيجابية، بحيث تكون مقبولة في المجتمع الذي يعيش فيه (Merna, & John, 2006). كما تعرف الخليفي (٢٠٠٦) توكييد الذات بأنه ذلك السلوك الذي يمكننا من التصرف بالطريقة التي تحقق مصالحتنا، وأن ندافع عن أنفسنا، ونعبر عن مشاعرنا وأرائنا بطريقة صريحة، وأن نمارس حقوقنا الشخصية، وكل ذلك بدون أن نتذكر أو نتجاهل حقوق الآخرين ومشاعرهم وأرائهم، وبدون الإضرار بذواتنا وبالآخرين، في غير تعارض مع القيم والمعايير والأعراف السائدة.

ويعرف الباحثان توكييد الذات إجرائيًا بأنه مجموع الدرجات التي يحصل عليها الطالب على مقاييس توكييد الذات أعداد غريب عبد الفتاح، والتوكيدية هي سلوك تعبيري تتمثل في المواقف وال العلاقات الاجتماعية، بالإضافة إلى أفكار الفرد ومشاعره والتعبير عن الانفعالات بحرية كاملة، حيث عبر ”الطيب“ عن ذلك بقوله ”إن السلوك التوكيدي يعني بشكل عام حرية التعبير الانفعالي، وحرية الفعل، فالخوف من توكييد الذات والعجز الانفعالي يعتبران سبيلاً رئيساً من أسباب القلق والتوتر والصراع، وبالتالي فإن الاستجابات التوكيدية وتنمية القدرة على التعبير الانفعالي يؤدي إلى تخفيف القلق والتوتر وساعد على إقامة علاقات اجتماعية ناجحة، لهذا أورد ”فولبا“ ضمن ثنياته العلاجية فتية الاستجابات التوكيدية والتي تستهدف علاج المرضى الخجولين ، والذين يعانون من المخاوف المرضية الاجتماعية (الفوبيا الاجتماعية) (عبد المقصود ، ٢٠١٠).

تطور مفهوم توكييد الذات:

لقد ظهرت البدايات الأولى لاستخدام مصطلح التوكيدية عند سالتر (Salter) عام ١٩٤٩م ولكن تحت مفهوم الاستثارة Excitations (حامدي، ٢٠٠٧). ثم جاء وولب (Wolpe، ١٩٥٥) ليستخدم مصطلح التوكيدية، وذلك مستفيداً مما قدمه سالتر، وكان مفهوم

التوكيدية عند «وولب» يعني حرية التعبير الانفعالي دون إحساس بأي خوف أو قلق، غير أن هذا المفهوم يؤكد على السلوك العدواني كأحد مكونات السلوك التوكيدي، ويشير إلى التعبير الخارجي عن المشاعر الماطفية والاجتماعية التي تكاد تخفي من القلق، ثم عدل وولب مفهوم التوكيدية وحذف العدوانية من السلوك التوكيدي، فأصبح مفهوم التوكيدية قدرة الفرد في التعبير عن انتفعالاته كما تحدث في المواقف المختلفة ومع أشخاص عديدين، ويظهر هذا التعبير في صورة سلوكية مقبولة اجتماعياً (حمامي، ٢٠٠٧) .

وأما (لورنس) فإنه يحصر للسلوك التوكيدي في تعبير الفرد عن آرائه، وعدم موافقته على آراء تعارض معها، وفي المقابل يركز أوكونور (O'Connor) على الجانب الاجتماعي بدرجة أكبر فالتوكيـد لديه هو: "القدرة على المبادأة والاستمرار في التفاعلات الاجتماعية (Rich, 1976). وجمع (لازروس) Lazarus هنـات متـنوعـة للاستجابة التوكيـدية وهو القدرة على قول لا، وطلب خـدمـة من الآخـرين، والتـعبـير عن المشـاعـر الإيجـابـية والسلـبية، وبدـء الاستـمرـار في المـحادـثـة وإنـهـا مـحادـثـة عامـة (Rakos, 1991). وقد ضم راكوز (Rakos) تعريفـة عـناصـر إضافـية حيث عـرفـ التـوـكـيدـ أنه: "سلـوكـ نوعـيـ، مـوقـقـ مـتـلـعـمـ مـكـونـ منـ سـبـعـ هـنـاتـ مستـقلـةـ هيـ: الـاعـتـراـفـ بـأـوـجهـ الـقـصـورـ الشـخـصـيـ، وـقـدـيمـ مـجاـمـلـةـ أوـ تـهـنـئـةـ، وـرـفـضـ مـطـالـبـ غـيرـ مـعـقـولـةـ، وـبـدـءـ وـاسـتـمرـارـ التـفـاعـلـاتـ الـاجـتمـاعـيـةـ، وـالتـبـيـرـ عنـ المشـاعـرـ الإـيجـابـيـةـ، وـالتـبـيـرـ عنـ الـآـراءـ الـمـخـتـلـفةـ عنـ الآـخـرـينـ، وـمـطـالـبـ الـآـخـرـينـ غـنـ تـبـيـرـ سـلـوكـاتـهـ غـيرـ المرـغـوبـةـ (Rakos, 1991). ويقترح (شوقي ، ١٩٩٨) تعريفـاً إـجـرـائـياً لـلـسـلـوكـ التـوـكـيدـيـ ، يـتصفـ بـالـشـمـوليـةـ وـتـمـثـيلـهـ لـلـوـاقـعـ الفـعـليـ لـلـتـوـكـيدـ، وـيـمـثـلـ فـيـ آـنـهـ: "مـهـارـاتـ سـلـوكـيـةـ، لـفـظـيـةـ وـغـيرـ لـفـظـيـةـ، نـوعـيـةـ مـوـقـفـيـهـ مـتـلـعـمـةـ، ذاتـ فـعـالـيـةـ نـسـبـيـةـ، تـضـمـنـ تـبـيـرـ الـفـرـدـ عنـ مشـاعـرـ الإـيجـابـيـةـ (تقـديرـ - ثـنـاءـ)، وـالـسـلـبيةـ (غـضـبـ - اـحـتجـاجـ)، بـصـورـةـ مـلـائـمةـ، وـمـقاـوـمـةـ الضـغـوطـ الـتيـ يـمـارـسـهـاـ الـآـخـرـونـ لـإـجـبارـهـ عـلـىـ إـتـيـانـ ماـ لـيـرـغـبـهـ، أـوـ الـكـفـ عـنـ فعلـ ماـ يـرـغـبـهـ، وـالـمـبـادـرـةـ بـيـدـهـ، وـالـاسـتـمرـارـيـةـ، وـإـنـهـاـ التـفـاعـلـاتـ الـاجـتمـاعـيـةـ، وـالـدـافـعـ عـنـ حـقـوقـهـ ضدـ مـنـ يـحـاـولـ اـنـتـهاـكـهاـ، شـرـيـطةـ دـمـ اـنـتـهاـكـ حـقـوقـ الـآـخـرـينـ.

أبعاد السلوك التوكيدي:

عرض دجادحة (٢٠٠٤) بعض المـهـارـاتـ التـوـكـيدـيـةـ التيـ تـبـيـرـ عنـ الشـخـصـ المـؤـكـدـ لـذـاتهـ وهيـ: التـقـدـيمـ بـطـلـبـاتـ منـ الـآـخـرـينـ، وـرـفـضـ مـطـالـبـ الـآـخـرـينـ غـيرـ المـقـولـةـ، وـمـهـارـةـ الـمـطـالـبـيـةـ بـالـحـقـوقـ، وـمـهـارـةـ التـبـيـرـ عنـ المشـاعـرـ الإـيجـابـيـةـ وـالـسـلـبيةـ، وـإـبـادـهـ الرـأـيـ وـالتـبـيـرـ عنـ الـأـفـكـارـ.

النظريات المفسرة للتوقيفية

هنا يعرض الباحثان بعض النظريات التي تطرقت إلى السلوك التوكيدي وقامت بتفسيره وهي كما يلي:

نظريّة الذات :

تُعد نظرية كارل روجرز من أكثر النظريات التي ركزت على مفهوم الذات، حيث أوضحت نظرية روجرز أن تكوين مفهوم الذات ينشأ من خلال التفاعل المستمر بين الطفل والبيئة التي يعيش فيها ويدرك من العالم المحيط به أن هناك أشياء تنتهي إليه وأشياء تتفصل عنه، ويتعلم أن يميز نفسه عن بقية العالم و يكون بالتدرج فكريته عن نفسه، ويحملها بعض الصفات والاتجاهات والقيم التي غالباً ما تميل إلى الاستقرار والثبات في نهاية الطفولة المبكرة، ويصبح لها تأثير كبير على اختيار السلوك الذي يتبنّاه الفرد، حيث إن معظم طرق السلوك التي يتبنّاها الفرد كما أشار روجرز هي تلك التي تتفق مع مفهومه عن نفسه (مشعل، ٢٠٠٩).

نظريّة التعلم :

يقوم مفهوم الاستجابة التوكيدية على أن الإنسان يولد مستشاراً ومنطلقاً بالطبيعة، إلا أن أغلب الأطفال يقابلون العديد من مصادر الكف في البيئة التي تشكل كلها عوامل شرطية تؤدي إلى تعلمهم التقيد في السلوك والبالغة في الأدب وعدم الممارسة وعدم المقاطعة. فالتوقيدية تعمل على تقوية وتعزيز استجابات مضادة لأنواع القلق التي يتعرض لها الفرد في حياته، فاستجابات الغضب هي بطبعها استجابات مضادة للقلق، وتعمل على كفه في كل المواقف التي يظهر فيها هذا الانفعال، وتؤدي بالفرد إلى الحصول على قدر أكبر من الهيمنة والسيطرة للمواقف الاجتماعية (موس والدسولي، ٢٠١١). فالعلاج النفسي السلوكي المعتمد على طريقة توقيف الذات يجب أن لا يقتصر على تعلم الناس التعبير عن احتياجاتهم وحقوقهم، ولكن التوازن في التعبير عن الحرية الانفعالية وتوقيف الذات في كلا الجانبين السلبي والإيجابي (إبراهيم، ١٩٩٤).

نظريّة التوكيد لتوتنند (Townend, 1991) :

وتقوم على افتراض أن لكل شخص حقوق إنسانية أساسية يجب أن ت�حترم، وأن مهارات التوكيد يمكن تمييزها. ومن هذه الحقوق: (الحق في التعبير عن الآراء والأفكار حتى لو اختلفت مع الآخرين، والتعبير عن المشاعر مع تحمل مسؤولية ذلك، والحق في الرفض أو القبول، أو تغيير الرأي دون تقديم اعتذارات، وتحمل مسؤولية ارتكاب الأخطاء، والحق في الاستفهام عن ما لا يعرفه الشخص وما لا يفهمه، والحق في احترام الآخرين، والحق في أن يكون الشخص مستقلًا أو ناجحًا.

وتفرق هذه النظرية بين ثلاثة أنواع من المalk هي:

أ) السلوك اللا توكيدي: وفيه يتصرف الشخص بغير توكيدية في موقف لا يؤكد فيه حقوقه الأساسية، وأيضاً يسمح للأخرين بأن يستقلوا.

ب) السلوك التوكيدي: وفيه يتصرف الشخص بتوكيدية في موقف يؤكد فيه حقوقه الأساسية، ويتحمل مسؤولية ذلك، وأيضاً يحترم ويعتبر بحقوق الآخرين.

ج) السلوك العدوانى : وفيه يتصرف الشخص بعداونية في موقف يؤكد فيه حقوقه على حساب حقوق الآخرين، دون اعتباره حقوق الآخرين (بني يونس، ٢٠٠٥).

أنماط التوكيدية :

تنق盯 أنماط التوكيدية في مدى فاعليتها، تبعاً للمدى الذي يمزج الفرد فيه توكيده باستجابات أخرى، ذات طابع اعتذاري أو تبريري أو تفسيري لكي تخفف من حدته، وتجعله أكثر قبولاً، وتمثل أبرز تلك الأنماط فيما يلى :

أ- التوكيدية الأولية :

حيث يعبر الفرد بشكل مباشر عن مشاعره وآرائه، ويدفع عن حقوقه على نحو لا يتضمن استخدام مهارات اجتماعية أخرى مصاحبة للتوكيد، والإقناع كان يقول من يطلب زيارته في المساء: هذا الموعد ليس مناسباً لي، وهذا النمط من التوكيدية أقلها فاعلية نظراً لخلوة النسبى من اللياقة على نحو يتسبب معه في إثارة قدر من المشكلات.

ب- التوكيدية المتعاطفة :

وهذا النمط يتضمن إضافة عنصر ملطف للتوكيدية الأولية بما يجعلها مستساغة، مما يقلل من آثارها السلبية، وهو نمط مطلوب في العلاقات التعاقدية لأنّه يساعد الفرد المؤكّد على أن يصبح أكثر قبولاً من الآخرين، حيث يسبق العبارة التوكيدية عبارات منخفضة، تعبّر عن تقدير وجهة نظر الآخر التي لا يتقن معها، واظهار الامتنان له حتى تضاءل رد فعله السلبي (الزهراني، ٢٠٠٩).

ج- التوكيدية التصاعدية :

حين يواجه الفرد موقفاً، يتطلب التصرف على نحو مؤكّد، فإنه يقوم أولاً بإصدار استجابة مؤكّدة بسيطة ، تكفي لتحقيق هدفه بأدنى انفعال ممكن، وأقل قدر من المواقف السلبية أيضاً ، ييد أن عليه في حالة عدم استجابة الآخر له ، أن يصعد من تلك الاستجابة ويصبح أكثر حزماً (المطالية، ٢٠١٢).

د- التوكيدية التصادمية :

يستوجب صدور هذا النمط من التوكيدية ، عندما تتعارض كلمات الطرف الآخر مع أفعاله أو مع حاجات الفرد، حتى يشعر بأنه تصرف بطريقة غير مناسبة ، وعلى الرغم من أن هذا النمط من التوكيدية (العطلي، ٢٠١٢).

أهمية اكتساب السلوك التوكيدي :

لاشك أن ارتفاع مستوى تأكيد الذات لدى الأفراد يساهم في بناء علاقات اجتماعية ناجحة مع الآخرين. كما أن تأكيد الذات يساعد الفرد على مواجهة الآخرين في المواقف الاجتماعية و التخلص من المشاكل والصعوبات التي تعرّض طريق حياته الواقعية. وحين يرتفع مستوى توکید الفرد خلال تعامله في مجالات حياته المتعددة سواءً الخاصة، أو العملية أو العائلية أو الاجتماعية (الخليفي، ٢٠٠٦).

معوقات توکید الذات :

معوقات نفسية: وهي أن يكون الشخص مصاب بالقلق المرضي أو الوسوس القهري أو أيًا من الاضطرابات النفسية التي تعيق توکید الذات لأن وجود هذه الأمراض يجعل صاحبها في رحلة للبحث عن الذات (نصير، ٢٠٠٧م).

معوقات معرفية: كالمعتقدات غير المنطقية كما أشار إليس Ellis إلى أن من هذه المعتقدات : من الضروري أن أكون محبوباً من كل المحيطين بي، والأسهل للفرد أن يتتجنب المسؤوليات ويتحاشى مواجهتها (الرميج، ٢٠٠١).

معوقات البيئة المحيطة: وأهمها كبت الرأي.

حاجة المراهق إلى توکید الذات

يأخذ التفكير في الذات في مرحلة المراهقة، خاصة حسب بعض المفكرين، شكل المواجهة بين الصورة الذاتية للذات أو الذات المدركة والصورة الاجتماعية للذات أي الذات الاجتماعية. تظهر خاصة هذه المواجهة على مستوى الأدوار الاجتماعية، ووضعياته غالباً ما تكون متناقضة، فهو أحياناً يمنع دور الرائد، وأحياناً أخرى يمنع دور طفل غير قادر على أخذ القرارات، وتدعيم المعطيات الاجتماعية والثقافية الجديدة التي يعيشها حالياً أو وضعية هذه المواجهة بين الذات المدركة والذات الاجتماعية وتزيد وبالتالي من حدة أزمة التفردية بصفة عامة في هذه المرحلة العمرية (مشتب، ٢٠٠٨).

حظي مفهوم توکید الذات لدى الطلبة وعلى جميع المستويات الدراسية بالعديد من الدراسات

التي كشفت عن مستوى متوسط لدى طلبة المدارس الإعدادية والثانوية والجامعات (الحمدون، ٢٠٠٢؛ الحلو، ٢٠١٢؛ شعبان وحجازي، ٢٠١٢؛ عبد الهادي وأبوجدي، ٢٠١٢). وتبين أن مستوى توكيد الذات يتحسن بتقدم المستوى الدراسي (ناصر، ٢٠١٢). كما كشفت دراسات أخرى عن مستويات عالية لتوكيد الذات لدى طلبة بعض الجامعات (ريشان، ٢٠٠٨) ومتدنية لدى طلبة المرحلة الثانوية في منطقة الباطنة من عمان (الحسني، ٢٠٠٦).

كما تمت دراسة مفهوم السلوك التوكيدية وعلاقته ببعض المتغيرات النفسية والشخصية لدى الطلبة في جميع المستويات الدراسية؛ فقد تبين أنه يرتبط ايجابياً مع التكيف لدى طلبة الجامعات (كتلو، ٢٠٠٩). وعلاقة قوية مع المهارات الاجتماعية لدى طلبة المرحلة الثانوية (الجهوني، ٢٠١١)، ويرتبط ايجابياً مع الأمان النفسي (الحيدان، ٢٠١١)، كما ويرتبط سلبياً بالسلوك الاندفاعي (عبد الهادي وأبوجدي، ٢٠١٢).

كما تمت دراسة مدى تأثر السلوك التوكيدية بالمهدى من المتغيرات؛ فقد تبين أن مستوى توكيد الذات لدى طلبة الأرياف أعلى مما هو لدى الطلبة القادمين من المدن (الحمدون، ٢٠٠٢)، وأن مستوى توكيد الذات لدى أبناء الأسر المتسلطة أدنى مما هو لدى أبناء الأسر الديمقراطية المتسامحة (الحسني، ٢٠٠٦؛ الرهيب، ٢٠٠٧)، ومستوى أعلى لدى أبناء الأسر المقبولة مقارنة مع أبناء الأسر الرافضة (فرحان، ٢٠١١)، ويرتبط ايجابياً بمستوى التشائط السياسية (شعبان، ٢٠١٣)، كما تبين أن مستوى توكيد الذات يتأثر بشخص الطالب على مستوى الدراسة الجامعية؛ فقد تبين أن توكيد الذات لدى طلبة الكليات الإنسانية أعلى مما هو لدى طلبة الكليات العلمية (ريشان، ٢٠٠٨)، في حين كشفت دراسة أخرى عدم تأثيره بالشخص (الحلو، ٢٠١٢؛ عبد الهادي وأبوجدي، ٢٠١٢).

كما تمت دراسته كمتغير تابع في بعض الدراسات التجريبية، فقد تحسن السلوك التوكيدية لدى مشاركيـن في برنامج ارشادي يستند إلى المعرفة السلوكية (عزب وأحمد وعلي، ٢٠١٢)، كما تحسن نتيجة التدرب في لعب الأدوار وباستخدام التعزيز (Merna & John, 2006).

مما سبق تتضح أهمية التوكيدية عامة ولدى الطلبة خاصة طالباً هم في مرحلة حرجة من مراحل حياتهم المعرفية (المراهقة) على الصعيدين العالمي والعربي، في حين أن دراسته على مستوى المملكة العربية السعودية، فلم يحظ بالاهتمام الكافي عامة، ولدى طلبة المرحلة الثانوية خاصة. كما ان دراسة التوكيدية لدى طلاب المرحلة الثانوية في مدينة مكة في ضوء متغيرات التخصص والمستوى الدراسي ومعدل الدخل الشهري للأسرة ونمط المعيشة مع الوالدين، لم يحظ بالدراسة (حسب علم الباحثين)؛ لذا تأتي هذه الدراسة للكشف عن مستوى التوكيدية

لدى طلاب المرحلة الثانوية في ضوء تلك المتغيرات المشار إليها آنفاً من خلال الإجابة عن تساؤلي
الدراسة التاليين:

التساؤل الأول: ما مستوى توکید الذات لدى طلاب المرحلة الثانوية في مدينة مكة المكرمة؟
التساؤل الثاني: هل يختلف مستوى توکید الذات لدى طلاب المرحلة الثانوية في مدينة مكة
المكرمة باختلاف التخصص والمستوى الدراسي ومتوسط الدخل الشهري للأسرة ونمط المعيشة
مع الوالدين؟

منهج الدراسة

عينة الدراسة :

تم اختيار عينة عشوائية عشوائية متعددة المراحل، حيث تم أولاً تحديد المناطق التعليمية بمدينة مكة المكرمة (الشمال - الجنوب - الشرق - الغرب - الوسط) ثم اختيار مجموعة عشوائية من المدارس من داخل تلك المناطق التعليمية، ثم الاختيار حسب الصنف الدراسي، وأخيراً الاختيار العشوائي حسب الشعبة. ويبلغ عدد الاستبيانات التي تم استرجاعها وصالحة للتحليل الإحصائي (٦٠٠) استبياناً، وهي تمثل حوالي (٢ %) من حجم مجتمع الدراسة، وفيما يلي وصف لتوزيع عينة الدراسة حسب متغيرات الدراسة كما في جدول (١):

جدول رقم (١)، وصف عينة الدراسة في ضوء متغيرات الدراسة

المتغير	ذات المتغير	العدد	%
التخصص	طبيعي	٣٠٢	٥٠,٣٣
	إنساني	٢٩٨	٤٩,٦٧
المستوى الدراسي	جيد	١٠٤	١٧,٣٣
	جيد جداً	٢٧٥	٤٥,٨٣
الدخل الشهري للأسرة	ممتاز	٢٢١	٣٦,٨٣
	أقل من ٥٠٠٠ ريال	١٦٨	٢٨
نمط المعيشة مع الوالدين	من ٥٠٠٠ - ١٠٠٠٠ ريال	٢١٢	٣٥,٣٣
	أكثر من ١٠٠٠٠ ريال	٢٢٠	٣٦,٦٧
الوالدين معاً	الوالدين معاً	٥٣٠	٨٨,٣٣
	أحد الوالدين	٧٠	١١,٦٧

مقاييس توکید الذات :

أعد المقياس ولب ولازروس (Wolfe & Lazarus. 1969) ، وقام بتمريريه للفة العربية

(عبد الفتاح ، ١٩٩٥) ، ويكون المقياس اصلاً من ثلاثة سؤالاً . يتكون المقياس في صورته العربية من خمسة وعشرين سؤالاً بعد حذف خمسة أسئلة من الأسئلة الثلاثين التي يتكون منها المقياس الأصلي ، واتضح أن حذف الأسئلة لم يؤثر على بناء المقياس وأن هناك قدرًا عالياً من الارتباط بين الصورة الكلية للمقياس والصور المعدلة للمقياس ، ويطلب من الفحوص أن يضع علامة (*) تحت كلمة نعم وأمام رقم العبارة لو كان يتصرف عادة بالطريقة التي تصفها العبارة ، أو يضع علامة (*) تحت كلمة لا ، وأمام رقم العبارة إذا لم يكن يتصرف بالطريقة التي تصفها العبارة .

الثبات:

استخدام معد المقياس إلى العربية طريقة إعادة التطبيق في دراسته لثبات المقياس توكيده الذات في البيئة العربية وتم ذلك في أربع دراسات، اثنتين في المجتمع المصري والأخيرتين في مجتمع الإمارات. في الدراسة الأولى تم تطبيق المقياس مرتين على (٢٢) فرداً من الجنسين من العاملين بالهيئة القومية للاتصالات الدولية بتفاصيل زمني مقداره شهر ونصف. وفي الدراسة الثانية تم تطبيق المقياس مرتين على (١٢٢) طالباً من طلبة السنوات النهائية بكلية التربية جامعة الأزهر بتفاصيل زمني مقداره (١٧) يوم. وفي مجتمع الإمارات، أجريت الدراسة الثالثة لثبات المقياس توكيده الذات وذلك بتطبيق المقياس مرتين على (٤٧) طالبة من طالبات جامعة الإمارات العربية المتحدة من السنوات الدراسية المختلفة بتفاصيل زمني مقداره أربعة أسابيع. أما عن الدراسة الرابعة والأخيرة لثبات المقياس توكيده الذات والتي تمت في الإمارات، فقد تم فيها تطبيق المقياس مرتين على (٢٩) طالبة من الصف الثالث إعدادي بتفاصيل زمني مقداره ثلاثة أسابيع. وجميع نتائج هذه الدراسات اتضحت فيها وصول معامل الثبات إلى مستوى الدلالة (٠٥ ، ٠٠) مما يؤكد ثبات المقياس في البيئة العربية (عبد الفتاح ، ١٩٩٥) .

الصدق:

استخدام معد المقياس إلى العربية طريقة صدق المحك والصدق الارتباطي في ست دراسات، ثلاث في المجتمع المصري، وثلاث في مجتمع الإمارات العربية. في الدراسة الأولى لصدق مقاييس توكيده الذات بطريقة صدق المحك، درس معد المقياس معامل الارتباط بين درجات مجموعة من المفحوصين المصريين على مقاييس توكيده الذات. وفي الدراسة الثانية لصدق مقاييس توكيده الذات والتي تمت باستخدام عينة مصرية، استخدمت طريقة الصدق التلازمي. وفي الدراسة الثالثة في صدق المقياس بطريقة الصدق الارتباطي، قام معد المقياس إلى العربية بتطبيق المقياس على عينة من الذكور من المديرين والمدرسين بقطاع التدريب بالمصانع الحرارية بمصر.

وفي مجتمع الامارات، استخدم محمد المقياس الى العربية طريقة الصدق الارتباطي في دراسته لصدق مقياس توکید الذات في ثلاثة دراسات، في الدراسة الاولى تم تطبيق مقياس توکید الذات ومقياس الخجل على مجموعة من الطالبات، وفي الدراسة الثانية، تم تطبيق مقياس توکید الذات ومقياس الخجل على مجموعة من الطالبات.

وفي الدراسة الثالثة لصدق مقياس توکید الذات والتي تمت باستخدام عينة اماراوية استخدمت فيها طريقة الصدق التلازمي، وأثبتت جميع الدراسات السابقة وجميع نتائج هذه الدراسات وصول معامل الارتباط إلى مستوى الدلالة، مما يؤكد صدق المقياس. وخلاصة الدراسات السابقة، فإن ثبات مقياس توکید الذات وصحته قد تم البرهنة عليهما في المجتمع العربي، سواء في مصر أو في الإمارات العربية المتحدة.

يمكن تطبيق المقياس هردياً أو علىمجموعات كبيرة من الفراد. وليس هناك وقت محدد للإجابة عن المقياس. ويتم عد التقوب التي يظهر منها خانات موجودة فيها علامة (x) ويتم جمع العلامات في الصفحات ليكون مجموعها الدرجة الكلية الخام للمفحوص على مقياس توکید الذات ثم استخدام جدول المعايير المناسب لسن المفحوص وجنسه. ووضع التقوب للدلالة على الاستجابة التوكيدية تكون أمام أرقام العبارات التالية:

- الاجابة بنعم على العبارات التالية : ١ - ٥ - ٨ - ٩ - ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢٤ .

- الاجابة بلا على العبارات التالية : ٢ - ٣ - ٤ - ٦ - ٧ - ١٠ - ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ .

وتتراوح الدرجة على مقياس توکید الذات ما بين صفر (يمثل أكثر الدرجات انخفاضاً في توکید الذات) ، والدرجة ٢٥ (تمثل أكثر الدرجات ارتفاعاً في توکید الذات). (عبد الفتاح، ١٩٩٥).

ولأغراض الدراسة الحالية فقد اتبع الباحثان الإجراءات التالية :

إجراءات الصدق :

تم التأكيد من صدق مقياس توکید الذات بطريقتين: الأولى قبل التطبيق وتمثلت بصدق المحتوى باستخدام المحكمين، والثانية بعد التطبيق - على عينة استطلاعية من الطلاب بلغت (٢٥) طالب وتمثلت بصدق البناء.

صدق المحتوى

تم عرض المقياس في صورته الأولية على مجموعة من المحكمين من ذوي الاختصاص

والخبرة من المسادة أعضاء هيئة التدريس بكلية التربية جامعة أم القرى، وبلغ عدد المحكمين (١٠) محكمين. للتأكد من درجة مناسبة العبارة، ووضوحاها، وانتهائتها للمقياس، وسلامة الصياغة اللغوية، وكذلك النظر في تدرج المقياس ومدى ملائمتها، وبناءً على آراء المحكمين حول مدى مناسبة المقاييس لأهداف الدراسة، ووفقاً لتوجيهاتهم ومقتراتهم تم تعديل صياغة بعض العبارات من حيث اللغة والصياغة.

صدق البناء

تم التأكيد إحصائياً من صدق المقياس وذلك من خلال معامل ارتباط الفقرات بالدرجة الكلية المؤشر الصدق البناء، وهو يعطي صورة عن مدى اتساق العبارات مع الدرجة الكلية للمقياس. وتم التأكيد من توافق صدق البناء للاتساق الداخلي عن طريق تطبيق الاستبيان على عينة استطلاعية تكونت من (٢٥) طالباً. وتم حساب معامل الارتباط بين درجة كل عبارة مع الدرجة الكلية للمقياس الذي تتبع إليه العبارة، وتراوحت قيم معاملات الارتباط بين درجات العبارات والدرجة الكلية على المقياس ما بين: ٠,٤٥ - ٠,٦١. لجميع عبارات المقياس باستثناء عبارتين هما الرابعة والسادسة والتwoتين تدني معاملي ارتباطهما بالدرجة الكلية للمقياس مما يستوجب حذفهما من المقياس. وبناء على ما سبق يرى الباحثان أن مقياس توكيد الذات يتمتع بدرجة عالية من صدق الاتساق الداخلي.

الثبات:

تم التأكيد من ثبات مقياس توكيد الذات بطريقتين وهما:
الاتساق الداخلي باستخدام كرونياخ - الفا حيث كشف التحليل على درجات العينة التجريبية أن قيمة كرونياخ - الفا = ٠,٨٢٢، كما كشف التحليل أن استقرار المقياس من خلال معامل الارتباط بين مرتب التطبيق وبتفاصيل زمني مدته أسبوعان قد بلغ (٠,٧١٠). مما سبق اطمئن الباحثان إلى تمنع المقياس بخصائص سيكو متربة جيدة (الصدق و الثبات)، وبالتالي يمكن تطبيقه على العينة الكلية.

استخدم الباحثان فئات استجابة ثلاثة أمام كل عبارة في مقياس توكيد الذات كالتالي:
تعطى الدرجة (٢) للاستجابة غالباً والدرجة (٢) للاستجابة أحياناً والدرجة (١) للاستجابة نادراً.

وفقاً للمقياس الثلاثي تم استخدام المعيار التالي للحكم على مستوى الاستجابة:

$$\bullet \text{ مدي الاستجابة} = \text{أعلى درجة} - \text{أقل درجة} = 2 - 1 = 1$$

$$\bullet \text{ طول الفتة} = \text{مدي الاستجابة} / \text{عدد فئات الاستجابة} = 2/2 = 1,00$$

وبالتالي يكون معيار الحكم ١,٦٦ فأقل مستوى متدني، ١,٦٧ - ٢,٣٣ مستوى متوسط، ٢,٣٤ فأكثر مستوى مرتفع.

النتائج

التساؤل الأول: ما مستوى توكيد الذات لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة؟
 تمت الإجابة عن التساؤل الأول، من خلال استخدام بعض مقاييس الإحصاء الوصفي والتي تمثل في المتوسط الحسابي والوسيط والمنوال معامل الالتواء والمدى والانحراف المعياري معامل التفلطح. حيث أن هذه المقاييس الوصفية تعطي تصور واضح عن طبيعة وتوزيع متغير توكيد الذات لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة، وكانت النتائج كالتالي:

جدول (٢) ، مستوى توكيد الذات لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة .

القيمة	الإحصاء
٢,١٤	المتوسط الحسابي
٪٧١,٣٣	الوزن النسبي للمتوسط الحسابي
٢,١٢	الوسيط
٢,٠٩	المنوال
٠,٣٥	معامل الالتواء
١,٧٠	أقل قيمة
٢,٨٧	أكبر قيمة
١,٧٧	المدى
٠,٢١	الانحراف المعياري
-٠,٠٦	معامل التفلطح

من خلال نتائج الجدول (٢) يتضح أن قيمة المتوسط الحسابي لمستوى توكيد الذات لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة يساوي (٢,١٤) من أصل (٢) درجات، أي يوزن نسبي (٪٧١,٣٣)، لذا يمكن القول أن مستوى توكيد الذات لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة هو بدرجة متوسطة.

ورغبة من الباحثين في إعطاء صورة كبيرة عن شكل التوزيع التكراري لمستوى توكيد الذات لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة، تمت المقارنة بين قيم المتوسط الحسابي والوسيط والمنوال، حيث يشير جدول (٢)، أن مقارنة قيم المتوسط الحسابي والوسيط والمنوال

تعطي صورة عن التوزيع التكراري للظاهره تحت الدراسة. وبالنظر إلى جدول (٢) نجد أن قيمة المتوسط الحسابي (١٤، ٢) والوسيط (١٣، ٢) والمنوال (٠٩، ٢)، أي أن قيمة المتوسط الحسابي أكبر قليلاً من قيمة الوسيط، والوسيط أكبر قليلاً من قيمة المنوال، لذا يمكن استنتاج أن التوزيع التكراري لتغير مستوى توکيد الذات لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة هو توزيع متوازي التواء موجياً خصيفاً أي أن غالبية الطلاب درجاتهم أقل من قيمة المتوسط الحسابي، وهذه النتيجة تؤكدها قيمة المنوال (٠٩، ٢) حيث أن المنوال هو الدرجة الأكثر انتشاراً بين أفراد عينة الدراسة، وهي أقل من قيمة المتوسط الحسابي (١٤، ٢).

ويؤكد النتائج السابقة قيمة معامل الالتواء، حيث أشار (٢) أن معامل الالتواء يستخدم لوصف التوزيع التكراري لصفة ما، ونجد أن قيمة معامل الالتواء تساوي (٠، ٣٥)، أي أن قيمته تزيد عن الصفر قليلاً، أي أن التوزيع التكراري لتغير مستوى توکيد الذات لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة، هو توزيع متوازي التواء موجياً خصيفاً وهي نفس النتيجة التي تم التوصل إليها من مقارنة قيم المتوسط الحسابي والوسيط والمنوال.

ولمعرفة مدى تشتت أفراد عينة الدراسة من طلاب المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة في مستوى توکيد الذات، يلاحظ أن أقل متوسط حسابي يساوي (٠، ٧٠) وأعلى متوسط حسابي يساوي (٠، ٨٧) أي أن المدى يساوي (١، ١٧) وهي تشير إلى وجود تشتت بين درجات الطلاب في مستوى توکيد الذات، وهذه النتيجة تتفق تماماً مع قيمة الانحراف المعياري (٠، ٢١). كما استخدم الباحثان معياراً إحصائياً لإعطاء صورة عن تشتت درجات الطلاب في مستوى توکيد الذات وهو معامل التقلط، حيث أشار (٢) أن معامل التقلط يستخدم لوصف التوزيع التكراري لصفة ما، ونجد أن قيمة معامل التقلط تساوي (٠، ٠٦)، أي أقل من (٢)، أي هناك تشتت في درجات الطلاب في مستوى توکيد الذات.

خلاصة النتائج السابقة أن مستوى توکيد الذات لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة هو بدرجة متوسطة. كما أن أكثر الطلاب درجاتهم أقل من المتوسط الحسابي لمستوى توکيد الذات. كذلك توجد فروق فردية واضحة بين الطلاب في مستوى توکيد الذات، حيث أن الفروق الفردية يعبر عنها بمدى انحراف الفرد عن قيمة المتوسط الحسابي للمجموعة التي ينتمي إليها الفرد، وهذا ما أشارت إليه قيم الانحراف المعياري ومعامل الالتواء ومعامل التقلط.

لذا يرى الباحثان وبناء على هذه النتائج التي تناولت التوزيع التكراري وخصائص مستوى توکيد الذات لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة أن هناك حاجة لرفع مستوى توکيد

الذات لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة حتى تغير من المستوى المتوسط إلى المرتفع.

خلاصة جميع النتائج السابقة أن مستوى توکید الذات لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة هو بدرجة متوسطة، بمتوسط حسابي (٢٠,١٤) أي بنسبة (٣٢٪٧١) أي بدرجة متوسطة. ويمكن إرجاع النتائج السابقة إلى طبيعة التنشئة الاجتماعية والبيئة المحيطة والثقافة السائدة التي لا تعطي الفرد الفرصة الكافية لتعلم توکید الذات فمن عادتها الحصول على ما يريد من خلال الضغط والمدوان مع ندرة الفرص لتعلم مدخل أكثر تعاوناً وشمولًا فيواجه الفرد تحدياً كبيراً بالانتقال إلى العادات المألوفة لتوصيل إلى عادات جديدة تعكس توکید الذات وكذلك تأثير بعض العوامل المؤثرة الأخرى مثل وسائل الأعلام دورها في تشكيل بعض المعتقدات الخاطئة حول توکید الذات كما يخلو النظام التعليمي من الفرص التدريبية والأنشطة حول توکید الذات، ويتفق ذلك مع : دراسة الحمدون (٢٠٠٢)، دراسة ريشان (٢٠٠٨)، دراسة الحلو (٢٠١٢)، دراسة شعبان و حجازي (٢٠١٣)، دراسة عبد الهادي، أبو جدي (٢٠١٤). لذا يرى الباحثان أن هناك حاجة لرفع مستوى توکید الذات لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة حتى تغير من المستوى المتوسط إلى المستوى المرتفع.

التساؤل الثاني: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات توکید الذات لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة حسب اختلاف المتغيرات التالية (التخصص و المستوى الدراسي و الدخل الشهري للأسرة)؟

لإجابة عن التساؤل الثاني تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات الطلاب على مقاييس توکید الذات المستخدم في الدراسة والجدول (٣) يلخص النتائج:

جدول (٣) ، المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى توکید الذات في ضوء متغيرات الدراسة

المتغير	شتات المتغير	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
التخصص	طبيعي	٣٠٢	٢٠,١٣	٠,٢٢
	إنساني	٢٩٨	٢,١٤	٠,٢٠
المستوى الدراسي	جيد	١٠٤	٢,٠٥	٠,١٥
	جيد جداً	٢٧٥	٢,١٣	٠,٢١
ممتاز	ممتاز	٢٢١	٢,١٥	٠,٢٣

٠,١٨	٢,٠٨	١٦٨	أقل من ٥٠٠٠ ريال	الدخل الشهري للأسرة
٠,٢٢	٢,١١	٢١٢	من ٥٠٠٠ - ١٠٠٠٠ ريال	
٠,٢٢	٢,١٥	٢٢٠	أكثر من ١٠٠٠٠ ريال	
٠,٢١	٢,١٥	٥٣٠	والآباء معاً	
٠,١٨	٢,٠٩	٧٠	أحد الوالدين	المعيشة مع

يتضح من جدول (٢) وجود فروق ظاهرة بين المتوسطات الحسابية في ضوء متغيرات الدراسة. ولاختبار دلالة هذه الفروق استخدم اختيار تحليل التباين الرباعي المتعدد والنتائج كما في الجدول (٤) :

جدول رقم (٤) ، تحليل التباين الرباعي للمقارنة بين متوسطات درجات توقييد الذات حسب متغيرات الدراسة

المتغير الإحصائي	قيمة F	متوسط درجات	درجات الحرارة	مجموع درجات	مصادر التباين
٠,٧٧٨	١,١٧٨	٠,٠٥٣	١	٠,٠٥٣	الشخص
٠,٠٠١	٦,٦٢٢	٠,٢٩٨	٢	٠,٥٩٧	المستوى الدراسي
٠,٠٠٧	٤,٩٧٨	٠,٢٢٤	٢	٠,٤٤٨	الدخل الشهري للأسرة
٠,٢٢٧	١,٤٤٤	٠,٠٦٥	١	٠,٠٦٥	المعيشة مع الوالدين
		٠,٠٤٥	٥٩٣	٢٦,٥٤٥	الخطأ
			٥٩٩	٢٧,٧٠٨	المجموع

يتضح من جدول (٤) عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية تعزى لمتغيري الشخص وننمط المعيشة مع الوالدين. كما يتضح من جدول (٥) وجود فروق تعزى لمتغير حسب المستوى الدراسي، حيث جاءت متوسطات الطلبة ذوي المعدلات التحصيلية من مستوى جيد جداً وممتاز أفضل من مستوى جيد فما دون.

جدول (٥) : نتائج اختبار شيفيه لتحديد اتجاهات الفروق في مستوى توقييد الذات حسب المستوى الدراسي.

مستوى	جيد جداً	جيد	المتوسطات الحسابية	المستوى الدراسي
فروق دالة	فروق دالة	-	٢,٠٥	جيد
-	-	-	٢,١٣	جيد جداً
-			٢,١٥	ممتاز

كما كشف جدول (٤) عن وجود فروق دالة إحصائيا عند مستوى دالة (٥٠٠٠٥) بين متوسطات درجات مستوى توکید الذات، حسب اختلاف الدخل الشهري للأسرة. ولتحديد اتجاهات الفروق تم استخدام اختبار شيفييه وكانت نتائجه كما في الجدول (٦):

جدول رقم (٦) : اختبار شيفييه لتحديد اتجاهات الفروق في مستوى توکید الذات حسب الدخل الشهري للأسرة.

الدخل الشهري للأسرة	المتوسطات الحسابية	أقل من ٥٠٠٠٥ ريال	٥٠٠٠ - ١٠٠٠٠ ريال	أكثـر من ١٠٠٠٠ ريال
أقل من ٥٠٠٠٥ ريال	٢,٠٨	-		فروق دالة
من ٥٠٠٠ - ١٠٠٠٠ ريال	٢,١١	-	-	-
أكثـر من ١٠٠٠٠ ريال	٢,١٥			-

الفروق في مستوى توکید الذات بين الطلاب ذوو الدخل الشهري للأسرة (أكثـر من ١٠٠٠١ ريال) وبقية الطلبة من أسر معدل دخلها الشهري أقل من ذلك.

تشير الدراسة إلى عدم وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسطات درجات مستوى توکید الذات، حسب اختلاف التخصص. ويعزو الباحثان ذلك ربما لتجانس العينة كونها مكونة في مجملها من طلاب مرحلة وحدة وبيئة واحدة، وربما لتقابـر العمر وتقارـب المستوى الدراسي بينهم كلا حسب تخصصه، وقـناعة كل طرف بالشخص الذي اختاره. ويتفق ذلك مع دراسة الحلو (٢٠١٢)، دراسة عبد الهادي وأبو جدي (٢٠١٤).

وتشير إلى وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسطات درجات مستوى توکید الذات، حسب اختلاف المستوى الدراسي. ويعزو الباحثان ذلك أنه كلما زاد مستوى الطالب الدراسي فإنه تزداد ثقته بنفسه ويزداد تقدير الآخرين له كوالديـن والمعلـمين والأقران ويعـصل على ما يريد وبالتالي ترتفـع لديه درجة مستوى توکـيد الذات والعكس فـكلما انخفض مستوى الطالب الدراسي تزيد عليه الضـغوط والاعـباء من قـبل المحـيطـين به وتكـثر المشـاكل عـلـيـه وبالتالي يـقل تقـديرـه لنفسـه وتـقلـدـه درـجة مـستـوى توـکـيدـ الذـاتـ. ويـتفـقـ ذلكـ معـ درـاسـةـ مـيرـناـ وجـونـ (Merna & John 2006)، درـاسـةـ كـلـتوـ (2009)، درـاسـةـ فـرـحانـ (2011)، درـاسـةـ شـعبـانـ، حـجازـيـ (2012).

وتشير إلى وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسطات درجات مستوى توکـيدـ الذـاتـ، حـسبـ اختـلافـ الدـخلـ الشـهـريـ لـلـأـسـرـةـ. ويعـزوـ البـاحـثـانـ ذلكـ أنهـ كلـماـ زـادـ الدـخلـ استـطـاعـ الفـردـ تـحـقـيقـ مـطـالـبـهـ وإـشـاعـ رـغـبـاتـهـ وـقـلـ اـعـتمـادـهـ عـلـيـ الآـخـرـينـ وـبـالـتـالـيـ تـزـدـادـ ثـقـةـ بـنـفـسـهـ وـمـنـ ثـمـ تـرـفـعـ لـدـيـهـ

درجة مستوى توكيد الذات.

وتشير إلى عدم وجود فروق دالة إحصائياً بين متوسطات درجات مستوى توكيد الذات، حسب اختلاف المعيشة مع الوالدين، ويعزو الباحثان ذلك إلى الترابط الأسري الذي يمكن أن يموضع الفرد إلى درجة كبيرة غياب أو فقد أحد الوالدين والجهود التي يبذلها أحدهما (الأم، الأب) في تهيئة الجو المناسب للابن وتمويهه غياب الطرف الثاني.

التوصيات:

- ١- ضرورة مساعدة القائمين على تنشئة الطفل ورعايته للقيام بأدوارهم من خلال توعيتهم بأهمية توكيد الذات لدى الأطفال والراهقين في مختلف مناحي الحياة.
- ٢- نظراً لأن الأسرة هي المدرب الأول للسلوك التوكيدي فيجب توعيتها للقيام بدورها من خلال التشجيع على طرح التساؤلات وطلب التفسيرات وتزويدها بالمساندة والرعاية والحب والتشجيع والثناء أو الاحتجاج والعتاب والتعبير عن المشاعر.
- ٣- العمل على تنمية توكيد الذات لدى الطلبة لدى طلاب الصفوف الدنيا من خلال الأنشطة المنهجية واللامنهجية..
- ٤- التدريب التوكيدي الأكثر فاعلية من خلال (القدوة) لأن الاقتداء بنماذج تتسم بالتوكيدية خاصة الوالدين أو أي من المعلمين داخل المدرسة له أكبر الأثر في تنمية وارقاء التوكيدي للأبناء حتى يصبح سمة لهم وثقافة مشتركة في المجتمع.
- ٥- عقد الورش التدريبية لدى طلبة المرحلة الثانوية في مدينة مكة لرفع مستوى توكيد الذات لديهم.
- ٦- إجراء دراسات مشابهة تطبق على الطالبات وعلى المراحل الدنيا وفي مناطق أخرى من المملكة العربية السعودية.

أولاً : المراجع العربية

- إبراهيم، عبد المستار (٢٠٠٤). العلاج النفسي السلوكي المعرفي الحديث أساليبه ومبادئه تطبيقه. القاهرة : دار الفجر للنشر والتوزيع.
- إبراهيم، عبد المستار (٢٠٠٨). إنه من حقك يا أخي ١ دليل في العلاج السلوكي المعرفي لتنمية التوكيدية ومهارات الحياة الاجتماعية. القاهرة: دار الكاتب.
- بنى يونس، محمد (٢٠٠٥). علاقة الاقزان الانفعالي بمستويات توکید الذات عند عينة من طلبة الجامعة الأردنية. رسالة ماجستير، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، العلوم الإنسانية، ١٩، (٢)، ٩٥٢ - ٩٢٥.
- تغلات، عبد الفتى (٢٠٠٩). النمو النفسي لطلاب المرحلة الثانوية. رسالة ماجستير منشورة ، كلية التربية ، جامعة الحاج لخضر بآفاق، الجزائر.
- الحلو، رمضان (٢٠١٢). فعالية تطبيق برنامج إرشادي في هنيات المقل و الجسم لزيادة التوكيدية لدى طلبة المرحلة الثانوية بمحافظة غزة. رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية . غزة.
- حمامي، محمد (٢٠٠٧). توکید الذات وأهميته، ط٢، الدار البيضاء: دار النشر المغربية.
- الحمدون، شذى (٢٠٠٢). أثر الإرشاد في معالجة تدني القدرة على توکید الذات لدى طلبة المرحلة الإعدادية. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية جامعة البصرة، الجمهورية العراقية.
- الحوسني، بدرية (٢٠٠٦). أثر الممارسة الوالدية وبعض المتغيرات الديموغرافية المتعلقة بائعوالدين على مفهوم الذات وتوکید الذات لدى طلابات مرحلة ما بعد التعليم الأساسي بسلطنة عمان. رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
- العيدان، سعد (٢٠١١). توکید الذات وعلاقته بالأمن النفسي لدى تلميذات المرحلة المتوسطة بالكويت. رسالة ماجستير منشورة ، كلية التربية ، جامعة الكويت، الكويت.
- الخليفي، مريم (٢٠٠٦). توکید الذات طريقك لحياة أفضل. ط١، القاهرة: دار العين للنشر.
- دحادة، باسم (٢٠٠٤). أثر التدريب على تقييد الأفكار اللاعقلانية وتأكيد الذات في خفض مستوى الاكتئاب وتحسين مفهوم الذات لدى الطلبة المكتبيين. رسالة دكتوراه، كلية الدراسات التربوية العليا، قسم الإرشاد والتربية الخاصة، الجامعة الأردنية.
- دحادة، باسم . (٢٠٠٨) فعالية برنامج إرشادي جمعي في تقييد الأفكار اللاعقلانية وتوکید الذات في خفض مستوى الاكتئاب وتحسين مفهوم الذات لدى الطلبة المكتبيين. مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والإنسانية والاجتماعية، ١(٢٠) ١٨-١٢.
- الرميح، يوسف (٢٠٠١) . فاعلية برنامج للتدريب التوكيدي الجمعي في رفع مستوى السلوك التوكيدي لدى عينة من طلاب المرحلة المتوسطة. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأمير نايف للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية.
- ريشان، حامد (٢٠٠٨) . قياس مهارة توکید الذات لدى طلبة كلية التربية (دراسة ميدانية مقارنة). مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية .
- الزهراني، فيصل (٢٠٠٩). السلوك التوكيدي وأنماطه. الكويت: مؤسسة الكويت للنشر.
- سليمان، سناء (٢٠٠٥) . تحسين مفهوم الذات تقييم الوعي بالذات . ط١، القاهرة: مكتبة عالم الكتب.
- شعبان، خالد وحجازي ، غادة (٢٠١٢) . التشوه السياسية وعلاقتها بتوكيد الذات لدى طلبة المدارس

- الثانوية بمحافظة رفح، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية . ٢١ (٢) ، ٩٤-١٠٢ .
- شوقي، طريف (١٩٩٨). توكييد الذات، مدخل لتنمية الكفاءة الشخصية. القاهرة: دار غريب للطباعة.
- عابد، ماجد (٢٠١٠). علم النفس الاجتماعي. الكويت : مؤسسة الكويت للنشر.
- عبد الفتاح، غريب (١٩٩٥) . مقياس توكييد الذات. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- عبد المقصود ، خلوفة (٢٠١٠) . علم النفس الاجتماعي. الرياض: مكتبة ابن تيمية للنشر.
- عبد الهادي ، سامر وأبوجدي ، أمجد (٢٠١٤) . الانتهائية لدى عينة من طلبة الجامعة العربية المفتوحة وعلاقتها بتوكييد الذات في ضوء متغيرات النوع والتخصص والمستوى الدراسي، مجلة العلوم التربوية والنفسية، ١٥ (١)، ٢٢٥ - ٢٣٦ .
- عزب، حسام الدين و احمد ، معتز و علي ، محمود (٢٠١٢) . فاعلية برنامج معرفي ملوكى لتنمية توكييد الذات لدى عينة من الشباب الجامعي. مجلة دراسة الطفولة ، كلية التربية ، الكويت.
- العطية ، حمد (٢٠١٢) . الاستجابات التوكيدية ، القاهرة: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع: مكتبة الأنجلو.
- فرحان، أحمد (٢٠١١) . أساليب المعاملة الوالدية (التقبيل - الرفض) كما يدركها الأبناء وعلاقتها بالسلوك التوكيدي لدى تلاميذ التعليم الثانوي. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مولود عمر، كلية التربية.
- القرني، عوض (١٩٩٧) . حتى لا تكون كلاً. الطبعة الأولى. جدة: دار الأندرس الخضراء للنشر والتوزيع.
- محمد، رجب . (٢٠٠٢) التدريب التوكيدي وعلاقته ببعض سمات الشخصية لطلاب الجامعة. مجلة الإرشاد النفسي، عين شمس، (١٧)، ١٠٠.
- مشتبك ، يزن (٢٠٠٨) . المشكلات الاجتماعية للإنسان. بيروت : مطبعة النهضة.
- مشعل، علا (٢٠٠٩) . اضطراب الهوية وعلاقته بمتغيرات الذات وببعض سمات الشخصية عند طلاب الجامعة. رسالة ماجستير، كلية التربية ، جامعة الزقازيق، مصر.
- المنور، حسن (٢٠٠٥) . مدخل إلى دراسة الشخصية الإنسانية. الرياض: مكتبة ابن تيمية للنشر.
- موسى، رشاد ، والدسوقي، مدحية (٢٠١١) . علم النفس بين المفهوم والقياس، ج١، القاهرة، مكتبة عالم الكتب.
- نصير، عاطف (٢٠٠٧) . المهارات الاجتماعية للفرد. الكويت : مؤسسة الكويت للنشر.

ثانياً: المراجع الأجنبية :

- Merna, G. & John, P.(2006). The effects of role playing variations on the assessment of assertive behavior self. *Behavior Therapy*, 7 (3), 343- 34
- Rakos, R.F (1991). *Assertive Behavior: Theory research and Training*, London: Rutledge
- Rich, A. R., & Schroeder, H. G. (1976). Research Issues in Assertiveness Training. *Psychological Bulletin* 83, 6, 1081-1096.



جامعة الطالقان

فاعلية برنامج تدريسي لتطوير الكفاءة التعليمية لمعلمي الطلبة ذوي الإعاقة العقلية

د. ضرار محمد القضاة

جامعة أم القرى - قسم التربية الخاصة

ملخص

هدفت الدراسة لتطوير برنامج تدريسي لتطوير مستوى الكفاءة التعليمية لمعلمى الطلبة ذوى الإعاقة العقلية، إذ تم تدريب عينة الدراسة التجريبية البالغ عددها (ثمانية وثلاثين) معلمًا من معلمى الطلبة ذوى الإعاقة العقلية العاملين في مراكز التربية الخاصة في مكة المكرمة ، تكونت المجموعة التجريبية من (ثمانية عشر) معلمًا ، وتكونت المجموعة الضابطة من (عشرين) معلمًا تم اختيارهما عشوائيا. وللإجابة عن السؤال المتعلق بفاعلية البرنامج التدريسي في تطوير مستوى الكفاءة التعليمية لمعلمى الطلبة ذوى الإعاقة العقلية في السعودية تم استخدام المتosteطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، واختبار (t-test) لأداء معلمى المجموعة التجريبية على كل بُعد من أبعاد المقياس، وعلى المقياس ككل، والمتعلق بكفاءتهم التعليمية، وحسب متغير الاختبار (قبلي، وبعدي)، ومقارنة أداء المعلمين البعدى، وحسب متغير المجموعة (التجريبية، والضابطة)، إذ أكدت النتائج فاعلية البرنامج التدريسي في تطوير مستوى الكفاءة التعليمية لمعلمى الطلبة ذوى الإعاقة العقلية في السعودية. أشارت النتائج إلى وجود فرق ذي دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha = 0.05$) بين متوسطي أداء المعلمين على الاختبار البعدى حسب متغير المجموعة (التجريبية، والضابطة)، ولصالح أداء معلمى المجموعة التجريبية بمتوسط حسابي (٢٠.١٧) مقابل متوسط حسابي (٢٢.١) لأداء المجموعة الضابطة.

كما تم حساب المتosteطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأداء معلمى الطلبة ذوى الإعاقة العقلية على كل بُعد من أبعاد المقياس حسب متغير المجموعة لدى مجموعتي الدراسة (التجريبية والضابطة)، فقد أشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha = 0.05$) على كل بُعد من أبعاد المقياس إذ جاء:

البعد الأول (الاتخاذ للتدريس وتصميمه) جاء في المرتبة الأولى ولصالح المجموعة التجريبية بمتوسط حسابي (٤٢.٢) وبدرجة تقدير عالية مقابل متوسط حسابي (٩٧.١) لأداء المجموعة الضابطة . وجاء البُعد الثاني (الادارة الصحفية) في المرتبة الثالثة ولصالح المجموعة التجريبية بمتوسط حسابي (٣٠.٢) وبدرجة تقدير متوسطة، مقابل متوسط حسابي (٦٩.١) لأداء المجموعة الضابطة . وجاء البُعد الرابع (تنفيذ التدريس) في المرتبة الثانية ولصالح المجموعة التجريبية بمتوسط حسابي (٢١.٢) وبدرجة تقدير متوسطة، مقابل متوسط حسابي (٦٦.١) لأداء المجموعة الضابطة . وجاء البُعد الرابع (تقييم فاعلية التدريس) في المرتبة الثالثة ولصالح المجموعة التجريبية بمتوسط حسابي (٣٠.٢) وبدرجة تقدير متوسطة، مقابل متوسط حسابي (٥٥.١) لأداء المجموعة الضابطة .

Abstract

The purpose of this study was to develop a training program to enhance the teaching competence of teachers of students with intellectual disabilities. Thirty eight teachers (all working in the special education centers in Mecca) were selected to participate in the experimental study. The experimental group consisted of (18) male teachers while the control group consisted of (20) male teachers chosen randomly.

To answer the first question related to the effectiveness of the training program in enhancing the level of teaching competence of teachers of students with intellectual disabilities, means and standard deviations were calculated. Also, t-test of the differences among the teaching efficiency of the experimental group and the control group on the post test on each domain of the scale and the scale as a whole was conducted. The findings confirmed the effectiveness of the training program in developing the level teaching competence of teachers.

The findings indicated that there was a significant statistical difference at the level of ($\alpha = 0.05$) between the means of performance of teachers on the post test according to group variable (experimental, control) for the favor of teachers in the experimental group with a mean of (2.17) against a mean of (1.72) for the control group.

Furthermore, the means and standard deviations of the teachers' performance were calculated on each domain according to group variable (experimental, control) as the results showed significant statistical differences at the level of ($\alpha = 0.05$) on each domain as follows:

- The first domain (planning and designing instruction) was ranked first for the favor of the experimental group with a mean of (2.43) with a high evaluation degree compared with (1.97) for the control group.
- Executing the lesson domain came in the second rank for the favor of the experimental group with a mean of (2.21) and a moderate evaluation degree compared with a mean of (1.66) for the favor of the control group.
- The Second domain (class Management) came in the third rank for the favor of the experimental group with a mean of (2.03) and a moderate

evaluation degree compared with a mean of (1.69) for the favor of the control group.

- The fourth domain (Evaluating lesson efficiency) came in the third rank for the favor of the experimental group with a mean of (2.03) and a moderate evaluation degree compared with a mean of (1.55) for the favor of the control group.

المقدمة :

يعد التقويم والبرامج التدريبية خطوة هامة ومحطة من المحطات التي لا بد من الوقوف عندها لمعرفة صحة الاتجاه الذي نسير فيه، ويمثل التقويم والبرامج التدريبية الأسلوب الأمثل في التعرف على نقاط القوة والضعف في أداء المعلمين، فالمعلم يرغب في معرفة درجة الإتقان التي بلغها في عمله، وكما أنه يشجع على إعادة النظر في الأهداف الموضوعة، وفي الضعف في العملية التربوية، وفي تأهيل الكوادر التي تقوم على العملية التربوية.

والعلم يحتاج إلى التقويم والتدريب المستمر لتحسين مستوى الأداء لديه، فبعض المعلمين الجدد بحاجة إلى تقويم وتدريب مستمر، كي يتمكنوا من معرفة نواحي ضعفهم وقوتهم، والبعض الآخر - وإن قضى سنوات طويلة في الخدمة - إلا أنه قد يعاني من بعض الصعوبات في إمكانية بلوغه للأهداف المرسومة من خلال التدريس، وهناك المعلمون المتميزون والموهوبون الذين هم بحاجة إلى من يتعرف على مستوى كفاءتهم وتدريبهم، والمهارات والقدرات التي يتميزون بها؛ لتعزيزها والاستفادة منها، ومن هذا المنطلق، أصبحت الحاجة ماسة إلى تقويم والتدريب المهني للمعلم، وذلك بوضع معايير ثابتة يتم وفقها ذلك التقويم والبرامج.

ومن هنا تبرز حقيقة يجب التأكيد عليها، وهي أن تقويم الأداء والتدريب لا يعني تلك النظرة التقليدية الضيقة التي تعنى بالأداء الحالي للمعلم، بل يتعدى ذلك ليشمل بعداً مستقبلياً، بمعنى أنه عملية ديناميكية تشمل قياس كفاءة المعلم لتقرير مدى صلاحيته لمارسة مهامه الموكلة إليه، وإمكانية نجاحه، وما يترتب على ذلك من تدريب وتنمية. فتقويم الأداء يشمل زاويتين رئيسيتين، هما: الكفاية في الإنتاجية للمعلمين، واستعداد الأفراد للتقدم من جهة، والتطور الوظيفي من جهة أخرى.

إن نجاح عملية تربية وتعليم هؤلاء الأفراد تعتمد بشكل كبير على قدرات المعلمين، الذين يجب أن يتمتعوا بالإعداد والتدريب الكافي، فعملية تعليم المعلمين لا تنتهي بمجرد التخرج من الجامعات أو المعاهد، ولكن يجب عليهم الاستمرار في تطوير أنفسهم، من خلال الاشتراك في ورش العمل، والتدريب، وتتجدد نشاطاته؛ من أجل تحسين خبراته وتطورها، وزيادة معلوماته، والإبقاء على مصداقية الدرجة العلمية التي يحوزته. لذا لا بد من وضع أساس موضوعية للتقييم يعتمد عليها، وتمثل الواقع التعليمي داخل الفرفة الصحفية، وتمكننا من تشخيص نقاط الضعف ومعالجتها، وحماية العملية التعليمية من الوقوع في الممارسات الخاطئة، ويسمن نجاحها وتحقيق أهدافها.

مشكلة الدراسة :

إن المتمعن في واقع تربية وتعليم الطلبة من ذوي الإعاقة العقلية في السعودية يمكنه القول: أن هناك حاجة ماسة للمعلمين من ذوي المهارة والمعرفة، للعمل مع هؤلاء الطلبة، فعملية التدريس ليست بمهمة سهلة، وهي بحاجة إلى الأشخاص المؤهلين للقيام بها، ويقع على عاتقهم امتلاك العديد من المهارات والمعايير اللازمة لذلك، خصوصاً مع ازدياد عدد الأفراد الملتحقين بالمراكم والمدارس من ذوي الإعاقة العقلية وتحلبيق مبدأ الدمج في المدارس.

إن نجاح عملية تربية وتعليم هؤلاء الأفراد تعتمد بشكل كبير على قدرات المعلمين، الذين يجب أن يتمتعوا بالإعداد والتدريب الكافي، فعملية تعليم المعلمين لا تنتهي بمجرد التخرج من الجامعات أو المعاهد، ولكن يجب عليهم الاستمرار في تطوير أنفسهم، من خلال الاشتراك في ورش العمل، والتدريب، وتجديد نشاطاته؛ من أجل تحسين خبراته وتطويرها، وزيادة معلوماته، والإبقاء على مصداقية الدرجة العلمية التي بحوزته. لذا لا بد من وضع أساس موضوعية للتقييم يعتمد عليها، وتمثل الواقع التعليمي داخل الفرقة الصفية، وتمكننا من تشخيص نقاط الضعف ومعالجتها، وحماية العملية التعليمية من الوقوع في الممارسات الخاطئة، ويساهم نجاحها وتحقيق أهدافها.

إن نجاح البرامج التربوية المقدمة للطلبة من ذوي الإعاقة العقلية يعتمد على عدد من المتغيرات، من أهمها: الكفاءة التعليمية للمعلم، وقدرته على تقديم الخدمات التربوية المناسبة، فالملايحة الجيدة، والبيئة التعليمية، لا يكتفيان للوصول إلى نواتج مقبولة دون من ينفذ ويتعامل مع هذه المتغيرات. ونظرأً لما يقوم به المعلم من أدوار في العملية التعليمية، وما له من أثر فعال في تحسين المخرجات التعليمية، لا بد من استمرارية تأهيله وتدريبه لمواكبة المستجدات في ميدان التربية الخاصة، لذا هناك حاجة كبيرة لتدريب المعلمين العاملين مع الطلبة من ذوي الإعاقة العقلية، إذ أن التدريب اتجاه نحو تحسين الأداء المهني. إن التدريب أثناء الخدمة مسألة حيوية لإنجاح العملية التعليمية، فال الحاجة إلى النمو المهني، حاجة قائمة بشكل مستمر؛ نظراً لأن المعلم لا يمكن أن يعيش مدى حياته العملية بمجموعة محددة من المعارف والمهارات والكميات.

ومن هذا المنطلق فإن مشكلة الدراسة تتمثل بالإجابة على السؤال التالي:

ما مدى فاعلية البرنامج التدريسي في رفع الكفاءة التعليمية لمعلمي الطلاب ذوي الإعاقة العقلية في السعودية؟

فرضية الدراسة :

توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) في مستوى الكفاءة التعليمية

بين المجموعة التجريبية والضابطة بعد تطبيق البرنامج التربيري لصالح المجموعة التجريبية.

أهداف الدراسة :

١- تطوير برنامج تربيري لتطوير مستوى الكفاءة التعليمية لعلمي الطلاب ذوي الإعاقة العقلية في السعودية.

أهمية الدراسة :

من خلال الاطلاع على نتائج العديد من الدراسات ومنها على سبيل الذكر لا الحصر دراسة بويك (Bouk, 2014) ودراسة الخطيب (٢٠٠٥)، التي أجريت على واقع الكفاءة المهنية والتلميمية لعلمي طلبة ذوي الإعاقة العقلية، والبرامج التربوية الموجهة نحو المعلم، تبيّن أن الحاجة للنمو المهني حاجة مستمرة؛ لأن المعلم الذي لا ينمو مهنياً، لن يرتفع بمستوى الأداء إلى المستوى الفعال، ويضعف تفهمه لمشكلات طلابه وبالتالي ينخفض مستوى أدائه الوظيفي. من هنا تبرز أهمية الدراسة وتتمثل في تدريب المعلمين على برنامج مقتراح، من أجل تحسين أدائهم في الميدان. كما أن أهمية الدراسة تكمن في كونها توفر الأساس الذي يمكن المشرفين التربويين والمديرين.

التعريفات الإجرائية :

معلمو الطلبة ذوي الإعاقة العقلية: هم المعلمون العاملون في مراكز التربية الخاصة الحكومية منها والخاصة، وذلك من مختلف الدرجات العلمية، وسقفات الخبرة، الذين يقومون بتدريس الطلبة ذوي الإعاقة العقلية.

البرنامج التربيري: هو خطوات عملية منظمة مستمرة محورها الفرد في مجمله، تهدف إلى إحداث تغيرات سلوكية وفتية وذهنية محددة لمقابلة احتياجات حالية، أو مستقبلية يتطلبها الفرد والعمل الذي يؤديه والمنظمة التي يعمل فيها

ويعرف البرنامج التربيري إجرائياً في هذه الدراسة: بأنه العملية التي يتم بموجبها تطوير الكفاءة التعليمية لعلمي طلبة ذوي الإعاقة العقلية من خلال تدريفهم على عناصر البرنامج التربيري ومحنته.

الدراسات السابقة :

في دراسة برودر، كارفون، ديفز، فالين، كورتاد، ولتل (Browder,Karvonen, Fallon,Courtade & Little, 2012) بعنوان "أثر برنامج لتدريب المعلمين على استخدام التقييم" كان الهدف الكشف عن أثر تدريب المعلمين في المهارات المتعلقة بالتقييم بشكل فعال

على أداء الطلبة من ذوي الإعاقة العقلية، وعلى مدى تحقيق الأهداف المرجوة من البرامج التدريسية. تكونت عينة الدراسة من (٢٩٤) طالباً، و(٢٧) معلماً اختيروا من (١٥) مدرسة في ولاية كاليفورنيا الأمريكية. وقد أجرى الباحث اختباراً قبل وبعد تطبيق البرنامج، إضافة إلى تحليل التباين المشترك المتعدد (ANCOVA) للكشف عن الفروق في كفايات المعلمين في التقييم بعد تطبيق البرنامج التدريسي. أظهرت نتائج الدراسة تطوراً في قدرة المعلمين على اكتساب مهارات وكفايات التقييم بعد تلقيهم التدريب. أشارت نتائج الدراسة إلى وجود علاقة إيجابية بين تدريب المعلمين وإشراكهم في برامج تدريبية ونتائج الطلبة. كما توصلت الدراسة أيضاً إلى أن الطلبة الذين كان أداؤهم جيداً في التقييم قد أظهروا تقدماً ملحوظاً في القدرة على تحقيق أهداف برنامج التعليم الفردي. وأشارت النتائج إلى حدوث تحسن في أداء الطلبة الأكاديمي ناتج عن إشراك المعلمين في التدريب على المهارات والكفايات التقويمية والتعلمية.

وفي الدراسة التي أجراها كوك (Cook, 2011) كان الهدف التحقق من أثر وفاعلية التدريب العملي للطلبة (قيام الطلبة بالتطبيق العملي قبل الخدمة، أثناء فترة دراستهم الجامعية) على اتخاذهم للقرارات أثناء قيامهم بعملية التدريس، أجريت الدراسة على مرحلتين حيث تكونت عينة الدراسة في المرحلة الأولى من (٦) طالبات جميعهن من الإناث اللواتي يدرسن التربية الخاصة في إحدى الجامعات الأمريكية، وفي الجزء الثاني من الدراسة تكونت عينة الدراسة من (٥١) طالباً يدرسون التربية الخاصة في نفس الجامعة. أشارت النتائج إلى أن المشاركين في الدراسة قاموا باتخاذ القرارات المتعلقة بالتدريس في خمسة مجالات رئيسية هي: التخطيط، وأسلوب التدريس، وطرق التدريس، وإدارة السلوك، والتعامل مع المواقف الصعبة، والتي تتأثر بشكل رئيس بثلاثة مصادر رئيسية للمعلومات هي: المعلم المتعاون، الخبرة العملية السابقة، والمنهج الدراسي، لكن النتائج يُبَيِّنُ أن المعلم المتعاون هو الأكثر تأثيراً، وهو الأساس في اتخاذ القرارات فيما يتعلق بمحتوى خطة التدريس، وأسلوب التدريس، وطرق إدارة السلوك، ومواجهة الصعوبات. وأشارت النتائج إلى أن عامل الخبرة التدريسية السابقة كان له تأثير أكبر من المنهج الجامعي (الجامعي) فيما يتعلق بأسلوب التعليم والتعامل مع المواقف الصعبة. كما لم تنشر النتائج إلى أي أثر للمشرف الجامعي على طريقة التدريس.

وأجرى كل من كارلسون، لي، ووستات (Carlson, Lee & Westat, 2011) دراسة هدفت إلى تطوير نموذج للمعلم النوعي في مجال التربية الخاصة عن طريق تقييم العوامل المرتبطة بالمعلم النوعي، حيث تم استخدام البيانات الوطنية لتحديد هذه العناصر والتي تتشابه مع العناصر التي يجب توفرها في معلم التعليم العام، وتم تقييم خمسة عوامل تتعلق بالمعلم

النوعي نظرياً وتجارياً هي: الخبرة ، والشهادات المعتمدة، والكفاءة الذاتية، والنشاطات المهنية، والتطبيقات الصحفية المختارة، حيث اعتبرت هذه العوامل مجتمعة بمثابة المقياس للوصول إلى المعلم النوعي. تكونت عينة الدراسة من عينة مماثلة من (١٤٧٥) معلم من معلمي التربية الخاصة. أشارت نتائج الدراسة إلى أن معلمي التربية الخاصة ذوي الكفاءة العالية يشتغلون في العديد من الخصائص مع زملائهم في التعليم العام، وظهرت الخبرة كعامل مهم من عوامل المعلم النوعي، كما أشارت النتائج إلى أهمية اتجاهات المعلم ومعتقداته في مجال التربية الخاصة، كما تبين أيضاً أهمية الدور الذي تلعبه التدريبات الصحفية المحددة في تحصيل طلاب التربية الخاصة، علاوة على كونها عاملًا مهمًا وعنصراً أساسياً من عناصر المعلم النوعي في التربية الخاصة.

وهدفت الدراسة التي أجرتها كل من فردرريك وإليزابيث (Frederick & Elizabeth, 2009) إلى تحديد فعالية البرامج التدريبية وأثرها على تطوير بعض مهارات المعلمين في تدريس الطلبة ذوي الإعاقة العقلية الشديدة على البعدين التاليين: تصميم المناهج، وإدارة الصف. تكونت عينة الدراسة من (١٥) معلماً ممن يعملون في مراكز الإعاقة العقلية، والتي تخصص غرفاً صحفية لتعليم الطلبة ذوي الإعاقة العقلية الشديدة. لتحقيق أهداف الدراسة تم تقسيم أفراد الدراسة إلى مجموعة تجريبية وأخرى ضابطة، حيث تمت ملاحظة أداء المعلمين من خلال نموذج الملاحظة المطور من قبل الباحثين. أشارت نتائج الدراسة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية مابين المجموعة الضابطة والتجريبية لصالح الأخيرة، مما يشير إلى فعالية البرنامج التدريسي المصمم لتطوير مهارات المعلمين في تدريس الطلبة من ذوي الإعاقة العقلية الشديدة.

وسعى دراسة أخرى قام هرادياوي وماarten (Hredowy & Martin, 2008) إلى تقييم فاعلية برنامج تدريسي في تحسين مهارات الكوادر العاملة في مراكز التربية الخاصة التي تُعنى بالأطفال من ذوي الإعاقة العقلية. واحتوى البرنامج على عناصر متعددة تم إعدادها على شكل رزمة تدريبية توضح كتابياً طرق تنفيذ أساليب تعديل السلوك. أشارت نتائج الدراسة إلى أن أداء أعضاء الكادر الذين تم تدريفهم تحسن بشكل جوهري، كما أظهر ذلك التقييم البعدي، والتقييم في مرحلة المتابعة. كذلك فإن تحسن أداء أعضاء الكادر نجم عنه تحسن في سلوك معظم الأطفال من ذوي الإعاقة العقلية الذين كانوا يدرّبونهم.

وحافظت دراسة مكورمييك وميري (McCormick & Marie, 2007) تحقيق ثلاثة أهداف رئيسية هي:

- 1- التحقق فيما إذا كان الطلبة المعلمون قادرين على تعلم تطبيق الإستراتيجيات والنشاطات

التدريسية الخاصة بالتدخل اللغوي للطلبة ذوي الإعاقة العقلية داخل الفرفة الصحفية.

٢- فحص العلاقة ما بين نمط التعلم لدى الطلبة المعلمين، وبين الاستراتيجيات والأنشطة التعليمية المطبقة داخل الفرفة الصحفية.

٣- تحديد ما إذا كان هناك نتائج فعالة متعلقة بزيادة الإنتاج اللغوي لهؤلاء الطلبة يمكن عزوها إلى الاستراتيجيات التي تم تدريب الطلبة المعلمين على استخدامها وتطبيقاتها، تكونت عينة الدراسة من (١٠) من الطلبة المعلمين الملتحقين بجامعة وسيكتنمون لنيل درجة البكالوريوس في التربية الخاصة في مسار (الإعاقة العقلية / الطفولة المبكرة)، ومن الطلبة الملتحقين بالصفوف الدراسية التي يقوم هؤلاء الطلبة المعلمون بتدريسيها. ولتحقيق أغراض الدراسة فقد تكون البرنامج التدريسي الموجه للمعلمين من المحاضرات الجامعية متعددة بمجموعة واحدة أو اثنتين من الأنشطة التدريبية والتي تكونت من: (لعب الدور، واللاحظة المنظمة المتمثلة بمشاهدة أشرطة فيديو تعليمية). أكدت نتائج الدراسة قدرة الطلبة المعلمين على تطبيق الاستراتيجيات التعليمية المختلفة وتوظيفها، والإبقاء عليها بعد عملية التدريب. كما أظهرت نتائج الدراسة فعالية البرنامج التدريسي المستخدم لتدريب الطلبة المعلمين خصوصاً أسلوب المحاضرة على إكساب الطلبة المعلمين بعض المهارات المحددة. كما أشارت النتائج إلى أن نمط التعلم لدى الطلبة المعلمين من الممكن أن يؤثر على قدرة الطلبة على الاستفادة من بعض الطرق التدريبية المحددة.

وفي الدراسة التي أجراها الخطيب (٢٠٠٥) يهدف التحقق من فاعلية برنامج تدريسي جمعي في تحسين مستوى معرفة معلمي الأطفال المعوقين عقلياً بمبادئ تعديل السلوك وأساليبه، وقد شارك في الدراسة (٤١) واحد وأربعون معلماً ومعلمة يعملون في مراكز ومعاهد للتربية الخاصة في دول مجلس التعاون الخليجي، ولتحقيق أغراض الدراسة وجمع المعلومات تم تصميم اختبار في تعديل السلوك، وقد تم تطبيق هذا الاختبار على أفراد الدراسة مرة قبل تنفيذ البرنامج التدريسي ومرة بعد الانتهاء من تفيذه. أشارت نتائج الدراسة أن البرنامج التدريسي كان فعالاً في زيادة مستوى معرفة المعلمين والمعلمات بمبادئ تعديل السلوك وأساليبه، وكما أشارت النتائج إلى أن المؤهل العلمي كان له أثر دال إحصائياً في الأداء في حين لم يكن للجنس أو الخبرة التدريسية أثر ذو دلالة.

كما أجرى الخطيب (٢٠٠٤) دراسة هدفت إلى تصميم برنامج تدريسي متعدد العناصر؛ لتطوير مستوى معرفة معلمي الأطفال المعوقين عقلياً بمبادئ تعديل السلوك وأساليبه، والتحقق تجريبياً من فاعلية البرنامج. تكونت عينة الدراسة من (٢٨) معلماً ومعلمة ممن يعملون في

ستة مراكز، ومدارس تربية خاصة تعنى بالأطفال المعوقين عقلياً في مدينة عمان. وتم تقسيم أفراد الدراسة إلى مجموعتين الأولى تجريبية (ن=١٦) والثانية ضابطة (ن=١٢)، ولتحقيق أهداف الدراسة تم استخدام اختبار تعديل سلوك الأطفال المعوقين عقلياً بصورة المطورة على البيئة السعودية. أشارت نتائج الدراسة إلى أن البرنامج التدريسي كان فعالاً؛ حيث وجدت هرور ذات دلالة إحصائية بين مستوى معرفة المعلمين في المجموعتين التجريبية، والضابطة فيما يتعلق بأساليب تعديل السلوك ومبادئه؛ لصالح المجموعة التجريبية. ويعني ذلك أن معرفة المعلمين الذين تلقوا البرنامج التدريسي تحسنت بشكل ملحوظ، بالمقارنة مع المعلمين الذين لم يتلقوا البرنامج التدريسي. كما يبيّن النتائج أن ثمة حاجة فعلية إلى دعم المعلمين ببرامج التدريب أثناء الخدمة، وعدم الاكتفاء بالتدريب قبل الخدمة.

وقدّمت بخش (١٩٩٧) بدراسة استهدفت بحث مدى هادلية برنامج لتنمية المهارات الاجتماعية في خفض مستوى النشاط الزائد لدى هؤلاء الأطفال المعاقين عقلياً، من خلال تدريب المعلمات والمشرفات القائمات على رعايتها بمُؤسسات التربية الفكرية بجدة في المملكة العربية السعودية. تكونت عينة الدراسة من (٤٠) طفلة من المعاشرات عقلياً من ذوات النشاط الزائد المقيمات، وتراوحت أعمارهن بين (١١-١٤) سنة، تم تقسيمهن إلى مجموعتين تجريبية وضابطة متجانستين في العمر، ونسبة الذكاء، والمستوى الاقتصادي، والنطاط الزائد، والمهارات الاجتماعية. أشارت نتائج الدراسة إلى وجود هرور بين متوسطات درجات أفراد المجموعة التجريبية قبل البرنامج وبعد البرنامج على الدرجة الكلية للمهارات الاجتماعية والمهارات الفرعية. وأشارت النتائج لوجود هرور دالة بين متوسطات درجات أفراد المجموعة التجريبية ومتوسطات درجات أفراد المجموعة الضابطة في الدرجات الكلية للمهارات الاجتماعية، وكذلك متوسطات درجات المهارات الفرعية والنطاط الزائد لصالح المجموعة التجريبية. كما أشارت نتائج هذه الدراسة إلى فعالية التدريب على المهارات الاجتماعية في خفض المشكلات السلوكية ومنها النشاط الزائد.

إجراءات البحث:

مجتمع الدراسة وأفرادها:

تكون مجتمع الدراسة من (٢٨) معلماً من ثلاثة مراكز للتربية الخاصة بمدينة مكة المكرمة تم اختيارها بطريقة عشوائية وبعد قياس مستوى الكفاءة التعليمية لديهم. تم توزيعهم بطريقة عشوائية إلى مجموعتين الأولى تجريبية وتحتوي على (١٨) معلم، والثانية ضابطة وتحتوي على (٢٠) معلم.

أدوات الدراسة :

البرنامج التدريسي لتنمية وتطوير الكفاءة التعليمية لمعلمي الطلبة ذوي الإعاقة العقلية.

إجراءات تطوير وإعداد البرنامج:

قبل البدء ببناء البرنامج التدريسي تم تحليل الأبعاد المختلفة للكفاءة التعليمية للمعلمين استناداً إلى المقياس الذي تم إعداده حيث تم تحديد مختلف الأبعاد والجوانب التي أظهرت المعلمون ضعفاً في معرفتها وأدائها بناءً على نتائج الأداة المعتمدة لقياس الكفاءة التعليمية والتي تم إعداده في البحث الأول المقبول للنشر بعنوان (تقييم الكفاءة التعليمية لمعلمي الطلبة ذوي الإعاقة العقلية)

أهداف البرنامج:

تعتبر الأهداف الخاطوط العريضة التي تشكل إطار العمل، ومن السمات الرئيسية لأي برنامج تدريسي فعال: أن تكون أهدافه واضحة وشاملة ومحددة، ويمكن ترجمتها إلى أداءات سلوكية فيما بعد.

يسعى هذا البرنامج إلى تحقيق الأهداف التالية :

(أ) الأهداف العامة:

- ١- تنمية الكفاءة التعليمية باعتبارها موضع الدراسة لدى معلمي الطلبة ذوي الإعاقة العقلية.
- ٢-ربط بين المعرفة النظرية المكتسبة من خلال فترة الإعداد الجامعية والتطبيق العملي الميداني.
- ٣- تزويد المعلم بالجديد في طرائق وأساليب التدريس الحديثة والفعالة المستندة إلى نتائج البحوث والدراسات والمراجع العلمية المتخصصة.
- ٤- تطوير أداء الطلبة ذوي الإعاقة العقلية.

(ب) الأهداف الخاصة:

- ١- إكساب المعلمين المهارات والمعارف والاتجاهات الازمة لهم في عملية التدريس.
- ٢- قياس تأثير البرنامج في أداء المعلمين بحسب الفرق بين درجات أدائهم القبلي، ودرجات أدائهم البعدي، باستخدام المقياس الذي صلوه الباحث.

تصميم البرنامج التدريسي المقترن وتحديد المحتوى:

من الأهمية يمكن اختيار المحتوى الملائم للفئة المستهدفة بما يلبي احتياجاتهم التدريبية من

أجل تحقيق الهدف المطلوب وهو: الارتقاء بمستوى أداء المعلمين، ومراعاة التسلسل المنطقي في تغطية كافة المعارف، والمهارات المدرجة تحت كل بعد من الأبعاد المكونة للكفاءة التعليمية لعلمي الطلبة ذوي الإعاقة العقلية.

٣- الأساس النظري للبرنامج :

لدى الطلاب ذوي الإعاقة العقلية مستويات من الضعف في القدرة على التعلم والتدريب، تختلف باختلاف تصنيفات الإعاقة العقلية ومستوياتها، وهذا التباين في القدرات التي يمتلكها الأفراد ذوو الإعاقة العقلية يفرض على معلمي الطلاب ذوي الإعاقة العقلية تطوير قدراتهم ومؤهلاتهم، بحسب خصائص وصفات الطلاب التي تتصف بالتعقيد. ويتم بناء الأساس المهني لمعلمي الطلاب ذوي الإعاقة العقلية أساساً أثناء دراستهم وإعدادهم قبل التدريس الفعلي في الميدان، ويتم تطوير هذا الأساس أثناء خبرة التدريس، ولهذا يجب أن تحاول الجامعات تطوير المستوى المهني وتحسينه لهذه الفئة من المعلمين وذلك قبل الممارسة الفعلية في الميدان.

وتشير التقارير المختلفة الصادرة في الولايات المتحدة الأمريكية إلى وجود (٤٧,٥٢٢) معلم تربية خاصة، وأن ما نسبته (٤١١٪) من هؤلاء المعلمين، يفتقرن إلى التأهيل المناسب في مجال التربية الخاصة، وبالإضافة إلى ذلك فإن معلمي التربية الخاصة الجدد والذين تقل سنوات خبرتهم عن (٢) سنوات والذين يشكلون ما نسبته (٣٠٪) من معلمي التربية الخاصة، يفتقرن إلى المهارة في أداء المهام الأساسية المطلوبة منهم وكل ذلك يمثل مؤشرات واضحة على أن هؤلاء المعلمين يمتلكون القليل من المعرفة والقليل من المهارات المتخصصة لتعليم طلاب يمتلكون مدى واسعاً من الاحتياجات التعليمية المختلفة.

وأشارت العديد من نتائج الأبحاث إلى ضرورة رفع مستوى الكفاءة المهنية للمعلمين ودعا كل منها إلى ضرورة تحسين وتطوير المهارات والمعرفات التي يمتلكها المعلمون، حيث إن تلك المعرفات والمهارات لا تتلاعم وواقع الصنوف الدراسية. حيث أبرزًا ضرورة تحسين المستوى التعليمي للمعلمين، وأشارًا أيضًا إلى أن مؤسسات التعليم العالي هي المسئولة عن نقص المعلمين المؤهلين. ولواجهة كل تلك المشكلات كان لا بد من التأكيد من أن جميع الطلاب يحصلون على المعلومات والمهارات الضرورية، والتعليم المناسب واللازم لتقديمهم بالمستقبل، ولتحديد المسؤوليات، ولتفعيل فكرة المسائلة تم تحديد معايير تربوية لكل تخصص، وبناء عليها تم اشتراط معايير في كل مجال من مجالات التربية الخاصة وتطويرها واعتمادها من أجل اعتماد المؤسسات التربوية التي تعنى بإعداد المعلمين وترخيصها، فعلى سبيل المثال: اعتمد أكثر من أربعين ولاية في الولايات المتحدة الأمريكية والتزمت بمواءمة عمليات إجازة المعلمين مع معايير مجلس الأطفال

غير العاديين (CEC). وبناء على إحصائيات وزارة التربية والتعليم الأمريكية التي ذكرت أن (٩٠٪) من شهادات التربية الخاصة التي تمنح سنويًا تعتمد وتلتزم بمعايير المهنية للتربية الخاصة. وقد طورت معايير التربية الخاصة حول عشرة معايير تصف الحد الأدنى من المعرفة والمهارات، والمعتقدات المشتركة لدى جميع مرببي التربية الخاصة، وبالتالي تزويد العاملين من المعلمين، وغيرهم بالمعرفة والمهارات التي يجب أن يتلقونها؛ لكي تكون ممارساتهم آمنة وفعالة. لقد تضمن البرنامج التدريسي عدد من الأبعاد التي تتواافق مع معايير الممارسة المهنية الصادرة عن (CEC). فالبرنامج التدريسي تضمن شرحاً وافياً لبرامج تعديل السلوك ومهارات تطبيق خطة دعم السلوك الإيجابي والذي يتواافق مع أحد معايير مجلس الأطفال غير العاديين في بعد الأسس الأخلاقية فيما يتعلق بتخطيط وتطبيق مهارات إدارة السلوك. لقد ركز البرنامج التدريسي أيضاً على ضرورة تعديل استراتيجيات التدريس والوسائل التعليمية وتكيفها بما يتافق مع حاجات الطلاب ذوي الإعاقات النمائية والعقلية. كما تضمن البرنامج التدريسي على تطبيق مهارات تحليل المهام (Task Analysis)، كأحد الاستراتيجيات المستخدمة في تصميم التدريس للطلبة ذوي الحاجات الخاصة ومن ضمنهم الإعاقات النمائية والعقلية. كما احتوى البرنامج التدريسي على عدد من الأنشطة المتعددة والتي تغطي بمحتواها الأبعاد المختلفة لمعايير الممارسة المهنية والصادرة عن مجلس الأطفال غير العاديين.

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف، وخصوصاً المتعلقة منها بإعداد معلمي الطلبة ذوي الإعاقة العقلية وتقديمهم وتطوير أدائهم، فإن مؤسسات التربية الخاصة مطالبة بأن تقيم مستوى المهارات والمعارف التي يمتلكها معلمو الطلبة ذوي الإعاقة العقلية، بناءً على معايير ثابتة يتم وفقها ذلك التقويم. ويمكن الاستفادة وبشكل كبير من الدراسات السابقة والكتب والمراجع ذات العلاقة والمعايير المعتمدة في مؤسسات إعداد وتطوير المعلمين العالمية. خصوصاً المعايير الصادرة عن (CEC) للعمل مع الأطفال ذوي الإعاقة العقلية، و (NCATE)، كي يتسمى لهذه المؤسسات تحديد المهارات والمعارف والمعايير الضرورية والالازمة لنجاح عملية تربية الأطفال المعاين عقلياً وتعليمهم

٤- إعداد البرنامج التدريسي بصورةه الأولية حيث تكون من أربعة أبعاد وهي:

البعد الأول: التخطيط للتدريس وتصميمه.

البعد الثاني: الإدارة الصفية.

البعد الثالث: تنفيذ التدريس.

البعد الرابع: تقييم فاعلية التدريس.

بعد الانتهاء من بناء البرنامج التدريبي بصورةه الأولية تم عرض البرنامج على مجموعة من المحكمين والمتخصصين حيث بلغ عددهم (١٠) من أساتذة التربية الخاصة والقياس والتقويم وأساليب التدريس في الجامعات السعودية ومن ثم تم إجراء التعديلات التي أوصى بها المحكمون.

إجراءات الدراسة :

تمت عملية إعداد هذه الدراسة بعدة مراحل تمثلت بما يلي:

- المرحلة الأولى: قام الباحث بالاتصال هاتفياً مع المعلمين والمعلمات والتنسيق معهم وتحديد موعد بدء البرنامج وبعدها قام الباحث بزيارة المراكز ولقاء المدراء والمعلمين والتعرف عليهم ومن ثم شرح هدف الدراسة وأهميتها.
- المرحلة الثانية: تحديد التصميم التجريبي اللازم للدراسة، حيث تمثل في تصميم المجموعة الواحدة لقياسين قبلي وبعدي.
- المرحلة الثالثة: إعداد برنامج تدريبي مقترح لأبعاد الكفاءة التعليمية التي كان أداء المعلمين عليها متسطاً، وضعيماً اعتماداً على نتائج المقياس (الاختبار القبلي).
- المرحلة الرابعة: استخراج صدق البرنامج التدريبي وذلك بعرضه على المحكمين من أساتذة الجامعات والأخذ بأراء المحكمين، ووضعه في صورته النهائية.
- المرحلة الخامسة: تطبيق البرنامج على عينة الدراسة على مدى ثمانية أسابيع ويواقع (٨) جلسات، حيث كانت مدة الجلسة الواحدة (٤) ساعات .
- المرحلة السادسة : تطبيق مقياس الكفاءة التعليمية المطور من قبل الباحث في البحث الأول المقبول للنشر بعنوان (تقييم الكفاءة التعليمية لمعلمي الطلبة ذوي الإعاقة العقلية) على أفراد الدراسة التجريبية والضابطة لقياس الأداء البعدي.
- المرحلة السابعة : جمع البيانات تمهيداً لإدخالها حاسوبياً.
- المرحلة الثامنة: تحليل البيانات وفق متغيرات الدراسة للإجابة عن أسئلة الدراسة.

التصميم والمعالجة الإحصائية :

المنهج شبه التجريبي:

استخدم في هذه الدراسة أيضاً المنهج شبه التجريبي، حيث تم اختيار مجموعتين من معلمي الطلاب ذوي الإعاقة العقلية، أحدهما يمثل المجموعة التجريبية، والأخر الضابطة حيث خضعت المجموعة التجريبية للبرنامج التدريبي، بينما لم يتم إخضاع المجموعة الضابطة للبرنامج التدريبي، وقد أخذت المجموعتان للاختبارات القبلية والبعدية، وفيما يلي تحديد

لتغيرات الدراسة:

متغيرات الدراسة:

أشتملت الدراسة على المتغيرات الآتية:

أ- المتغير المستقلة

البرنامج التدريسي

ب- المتغير التابع:

درجة الكفاءة التعليمية لعلمي الطلبة ذوي الإعاقة العقلية، وتكون من ثلاثة مستويات هي:
المستوى الأول: درجة كفاءة عالية. والمستوى الثاني: درجة كفاءة متوسطة. والمستوى الثالث:
درجة كفاءة متدنية.

وتم استخدام تصميم المجموعة الضابطة غير التكافئة (شبه التجريبية) والتي كانت على
الشكل التالي:

X O1 O2 : G1 المجموعة التجريبية

- O4 G2 O3 : المجموعة الضابطة

حيث أن:

O1/O3: قياس أو الاختبار القبلي.

O2/O4: المجموعة التجريبية التي خضعت للبرنامج التدريسي.

_____ : المجموعة الضابطة التي لم تخضع للبرنامج التدريسي.

المعالجة الإحصائية:

من أجل الإجابة عن سؤال الدراسة تم معالجة البيانات باستخدام الرزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) على نحو استخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار (t-test) على كل بعد من أبعاد المقياس وعلى المقياس ككل والمتعلق بكفاءتهم التعليمية وحسب متغير الاختبار (قبلي، بعدي) وحسب متغير الاختبار المجموعة (التجريبية، والضابطة).

النتائج

إجراءات التكافؤ :

للتتأكد من تكافؤ مجموعة الدراسة قبل تطبيق الدراسة، قام الباحث بتطبيق أداة الدراسة (القبلي) على عينة الدراسة، وتم استخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار (t-test) لأداء معلمي ذوي الإعاقة العقلية في السعودية على كل بعد من أبعاد المقياس وعلى المقياس ككل والمتعلق بكفاءتهم التعليمية (القبلي) وحسب متغير المجموعة (التجريبية

والضابطة)، والجدول (١) يوضح ذلك:

جدول (١)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار (ت) (T-test) لأداء معلمي الطلاب ذوي الإعاقة العقلية في السعودية على كل بعد من أبعاد المقياس وعلى المقياس ككل والمتعلق بكتاباتهم التعليمية (القبلي) وحسب متغير المجموعة (التجريبية والضابطة)

الدالة الإحصائية	درجة الحرارة	قيمة ت	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	المجموعة	البعد
٠,٥٦٥	٣٦	٠,٥٨١	٠,١٧	١,٩٤	٢٠	الضابطة التجريبية	التحليل للتدريس وتصميمه
			٠,٢٤	١,٩٧	١٨		
٠,٨٢٦	٣٦	٠,٢٠٨	٠,٤١	١,٦٣	٢٠	الضابطة التجريبية	الإدارة الصحفية
			٠,٣٩	١,٦٠	١٨		
٠,٢٢٣	٣٦	١,٢١٣	٠,١٩	١,٥٧	٢٠	الضابطة التجريبية	تنفيذ التدريس
			٠,٢١	١,٦٥	١٨		
٠,٦٤٣	٣٦	٠,٤٦٧	٠,٢٧	١,٦١	٢٠	الضابطة التجريبية	تقييم فاعلية التدريس
			٠,٣٠	١,٥٦	١٨		
٠,٨٠٢	٣٦	٠,٢٥٢	٠,١٢	١,٦٩	٢٠	الضابطة التجريبية	المقياس ككل
			٠,١٦	١,٧٠	١٨		

يتبيّن من الجدول (١) عدم وجود فرق ذي دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha = 0,05$) بين متوسطي أداء معلمي ذوي الإعاقة العقلية في السعودية القبلي على كل بعد من أبعاد المقياس وعلى المقياس ككل والمتعلق بكتاباتهم التعليمية يعزى لتغيير المجموعة، حيث كانت قيم الدلالة الإحصائية أكبر من مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha = 0,05$)؛ مما يدل على تكافؤ مجموعتي الدراسة (التجريبية، والضابطة) القبلي على كل بعد من أبعاد المقياس وعلى المقياس ككل والمتعلق بكتاباتهم التعليمية.

النتائج المتعلقة بالسؤال: هل يوجد اثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha = 0,05$) لاستخدام برنامج تدريسي على الكفاءة التعليمية لمعلم ذوي الإعاقة العقلية في السعودية؟

تمت الإجابة عن هذا السؤال على خطوتين، الأولى: تم فيها مقارنة أداء معلمي المجموعة التجريبية حسب الاختبار القبلي والبعدي، ومن ثم تم مقارنة أدائهم البعدي وحسب متغير المجموعة التجريبية والضابطة)، وفيما يلي عرض لذلك:

أ) الخطوة الأولى: مقارنة أداء معلمي المجموعة التجريبية حسب الاختبار القبلي والبعدي للإجابة عن هذا السؤال تم استخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار (ت) (t-test) لأداء معلمي المجموعة التجريبية على كل بعد من أبعاد المقياس وعلى المقياس

ككل والمتصل بكتابتهم التعليمية وحسب متغير الاختبار (قبلى، وبعدى)، والجدول (٢) يبين ذلك.

جدول (٢)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار (ت) (t-test) لأداء معلمى المجموعة التجريبية على المقياس والمتصل بكتابتهم التعليمية وحسب متغير الاختبار (قبلى، وبعدى)

الدالة الإحصائية	درجة الحرارة	قيمة ت	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	الاختبار	البعد
٠,٠٠٠*	١٧	٤,٧١٢	٠,٢٤	١,٩٧	١٨	قبلى	التحفيظ للتدريس وتصميمه
						بعدى	
٠,٠٠٣*	١٧	٣,٥٣٥	٠,٣٩	١,٦٠	١٨	قبلى	الادارة الصيفية
						بعدى	
٠,٠٠٠*	١٧	٧,٣٤٨	٠,٢١	١,٦٥	١٨	قبلى	تنفيذ التدريس
						بعدى	
٠,٠٠١*	١٧	٤,٢٥٠	٠,٣٠	١,٥٦	١٨	قبلى	تقييم فاعلية التدريس
						بعدى	
٠,٠٠٠*	١٧	٦,٩٨٠	٠,١٦	١,٧٠	١٨	قبلى	الأداة ككل
						بعدى	

* ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha = 0,05$)

يتبيّن من الجدول (٢) ما يلي:

- وجود فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha = 0,05$) بين متوسطي أداء أفراد المجموعة التجريبية على بعد (التحفيظ للتدريس وتصميمه) وحسب متغير الاختبار (قبلى، وبعدى)، ولصالح أداء أفراد المجموعة التجريبية على الاختبار البعدى بمتوسط حسابى (٢,٤٢) مقابل متوسط حسابى (١,٩٧) لأدائهم على الاختبار القبلى، حيث بلغت قيمة ($t = ٤,٧١٢$) ويدلالة إحصائية ($٠,٠٠٠$).
- وجود فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha = 0,05$) بين متوسطي أداء أفراد المجموعة التجريبية على بعد (الادارة الصيفية) وحسب متغير الاختبار (قبلى، وبعدى)، ولصالح أداء أفراد المجموعة التجريبية على الاختبار البعدى بمتوسط حسابى (٢,٠٣) مقابل متوسط حسابى (١,٦٠) لأدائهم على الاختبار القبلى، حيث بلغت قيمة ($t = ٣,٥٣٥$) ويدلالة إحصائية ($٠,٠٠٣$).
- وجود فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha = 0,05$) بين متوسطي أداء أفراد المجموعة التجريبية على بعد (تنفيذ التدريس) وحسب متغير

الاختبار (قبلى، وبعدى)، ولصالح أداء أفراد المجموعة التجريبية على الاختبار البعدى بمتوسط حسابي (٢٠,٢١) مقابل متوسط حسابي (١٦,٦٥) لأدائهم على الاختبار القبلى، حيث بلغت قيمة ($t = ٧,٣٤٨$) ويدلالة إحصائية (٠٠٠٠).

- وجود فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha = 0,05$) بين متوسطي أداء أفراد المجموعة التجريبية على بُعد (تقييم فاعلية التدريس) وحسب متغير الاختبار (قبلى، وبعدى)، ولصالح أداء أفراد المجموعة التجريبية على الاختبار البعدى بمتوسط حسابي (٢٠,٠٣) مقابل متوسط حسابي (١,٥٦) لأدائهم على الاختبار القبلى، حيث بلغت قيمة ($t = ٢,٢٥٠$) ويدلالة إحصائية (٠٠٠١).

- وجود فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha = 0,05$) بين متوسطي أداء أفراد المجموعة التجريبية على المقياس ككل المتعلق بكفاءتهم التعليمية وحسب متغير الاختبار (قبلى، وبعدى)، ولصالح أداء أفراد المجموعة التجريبية على الاختبار البعدى بمتوسط حسابي (٢,١٧) مقابل متوسط حسابي (١,٧٠) لأدائهم على الاختبار القبلى، حيث بلغت قيمة ($t = ٦,٩٨٠$) ويدلالة إحصائية (٠٠٠).

ب) الخطوة الثانية: مقارنة أداء المعلمين البعدى وحسب متغير المجموعة (التجريبية والضابطة)

للإجابة عن هذا السؤال تم استخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار (t) (t-test) لأداء المعلمين البعدى على كل بُعد من أبعاد المقياس وعلى المقياس ككل والمتعلق بكفاءتهم التعليمية وحسب متغير الاختبار المجموعة (التجريبية، والضابطة)، والجدول (٢) يوضح ذلك.

جدول (٢)

استخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار (t) (t-test) لأداء المعلمين البعدى على كل بُعد من أبعاد المقياس وعلى المقياس ككل والمتعلق بكفاءتهم التعليمية وحسب متغير الاختبار المجموعة (التجريبية، والضابطة)

الدلالة الإحصائية	درجة الحرية	قيمة t	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	المجموعة	البعد
٠,٠٠٠*	٣٦	٤,٦٣٦	٠,٣٠	١,٩٧	٢٠	الخططى للتدريس وتصميمه	التجريبية والضابطة
٠,٠٠٥*	٣٦	٢,٩٦٣	٠,٤٢	١,٦٩	٢٠	الادارة الصنفية	التجريبية والضابطة

٠,٠٠٠*	٣٦	٨,١٥١	٠,١٧	١,٦٦	٢٠	الضابطة / التجريبية	تفيد التدريس
			٠,٢٥	٢,٢١	١٨		
٠,٠٠١*	٣٦	٢,٦٧٧	٠,٣٥	١,٥٥	٢٠	الضابطة / التجريبية	تقييم فاعلية التدريس
			٠,٤٥	٢,٠٣	١٨		
٠,٠٠٠*	٣٦	٧,١٠٢	٠,٢٠	١,٧٢	٢٠	الضابطة / التجريبية	الأداة ككل
			٠,١٩	٢,١٧	١٨		

* ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha = 0,05$)

- يتبع من الجدول (٣) ما يلي:
- وجود فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha = 0,05$) بين متوسطي أداء المعلمين على بعد (التخطيط للتدريس وتصميمه) وحسب متغير المجموعة (التجريبية، والضابطة)، ولصالح أداء معلمي المجموعة التجريبية بمتوسط حسابي (٢,٤٢) مقابل متوسط حسابي (١,٩٧) لأداء المجموعة الضابطة، حيث بلغت قيمة ($t = ٢,٦٦$) ويدلالة إحصائية ($٠,٠٠٠$).
- وجود فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha = 0,05$) بين متوسطي أداء المعلمين على بعد (الادارة الصيفية) وحسب متغير المجموعة (التجريبية، والضابطة)، ولصالح أداء معلمي المجموعة التجريبية بمتوسط حسابي (٢,٠٣) مقابل متوسط حسابي (١,٦٩) لأداء المجموعة الضابطة، حيث بلغت قيمة ($t = ٢,٩٦٣$) ويدلالة إحصائية ($٠,٠٠٥$).
- وجود فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha = 0,05$) بين متوسطي أداء المعلمين على بعد (تقييم فاعلية التدريس) وحسب متغير المجموعة (التجريبية، والضابطة)، ولصالح أداء معلمي المجموعة التجريبية بمتوسط حسابي (٢,٢١) مقابل متوسط حسابي (١,٦٦) لأداء المجموعة الضابطة ، حيث بلغت قيمة ($t = ٨,١٥١$) ويدلالة إحصائية ($٠,٠٠٠$).
- وجود فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha = 0,05$) بين متوسطي أداء المعلمين على بعد (تقييم فاعلية التدريس) وحسب متغير المجموعة (التجريبية، والضابطة)، ولصالح أداء معلمي المجموعة التجريبية بمتوسط حسابي (٢,٠٣) مقابل متوسط حسابي (١,٥٥) لأداء المجموعة الضابطة، حيث بلغت قيمة ($t = ٢,٦٧٧$) ويدلالة إحصائية ($٠,٠٠١$).
- وجود فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha = 0,05$) بين

متواسطي أداء المعلمين على المقاييس ككل المتعلق بكتابتهم التعليمية وحسب متغير المجموعة (التجريبية، والضابطة)، ولصالح أداء معلمي المجموعة التجريبية بمتوسط حسابي (٢,١٧) مقابل متوسط حسابي (١,٧٢) لأداء المجموعة الضابطة، حيث بلغت قيمة ($t = 10.2$) وبدلالة إحصائية ($p < .000$).

- كما تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأداء معلم ذوي الإعاقة العقلية على كل بُعد من أبعاد المقاييس وعلى المقاييس ككل والمتعلق بكتابتهم التعليمية البعدى وحسب متغير المجموعة جدول (٤) يبين ذلك.

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأداء معلم ذوي الإعاقة العقلية على كل بُعد من أبعاد المقاييس وعلى المقاييس ككل والمتعلق بكتابتهم التعليمية البعدى وحسب متغير المجموعة

المجموعة							البعد	
الكتاب		التجريبية		الضابطة				
الانحراف	المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف	المتوسط	الحسابي*		
المعيارى	الحسابي*	المعيارى	الحسابي*	المعيارى	الحسابي*	الحسابي*	التخطيط للتدريس وتصميمه	
٠,٣٢	٢,١١	٠,٣٠	٢,٤٣	٠,٣٠	١,٩٧		الادارة الصفية	
٠,٣٩	١,٨٥	٠,٢٦	٢,٠٣	٠,٤٢	١,٦٩		تنفيذ التدريس	
٠,٣٥	١,٩٢	٠,٢٥	٢,٢١	٠,١٧	١,٦٦		تقييم فاعلية التدريس	
٠,٤٦	١,٧٨	٠,٤٥	٢,٠٣	٠,٢٥	١,٥٥		المقياس ككل	
٠,٢٨	١,٩١	٠,١٨	٢,١٢	٠,٢٠	١,٧٢			

الدرجة القصوى (٢)

يتبيّن من الجدول (٤) ما يلي:

- لدى مجموعة الدراسة (التجريبية والضابطة) جاء **البعد الأول** (التخطيط للتدريس وتصميمه) في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (١,٩٧، ٢,٤٣) على الترتيب، بانحراف معياري (٠,٣٢، ٠,١١) وبدرجة تقدير عالية ومتوسطة على الترتيب.

- جاء **البعد الثاني** (الادارة الصفية) في المرتبة الثانية لدى المجموعة الضابطة بمتوسط حسابي (١,٦٩) بانحراف معياري (٠,٤٢) وبدرجة تقدير متوسطة، وفي المرتبة الثالثة لدى المجموعة التجريبية بمتوسط حسابي (٢,٠٣) بانحراف معياري (٠,٣٠) وبدرجة تقدير متوسطة.

- جاء **البعد الثالث** (تنفيذ التدريس) في المرتبة الثالثة لدى المجموعة الضابطة بمتوسط حسابي (١,٦٦) بانحراف معياري (٠,١٧) وبدرجة تقدير متدينة، وفي المرتبة الثانية

لدى المجموعة التجريبية بمتوسط حسابي (٢١,٢١) بانحراف معياري (٠,٢٥) ويدرجة تقدير متوسطة.

- جاء البُعد الرابع (تقييم فاعلية التدريس) في المرتبة الرابعة لدى المجموعة الضابطة بمتوسط حسابي (١,٥٥) بانحراف معياري (٠,٣٥) ويدرجة تقدير متدنية، وفي المرتبة الثالثة لدى المجموعة التجريبية بمتوسط حسابي (٢,٠٣) بانحراف معياري (٠,٤٥) ويدرجة تقدير متوسطة.

مناقشة النتائج

هدف البحث لمعرفة فاعلية برنامج تدريسي في تطوير الكفاءة التعليمية لعلمي للطلبة ذوي الإعاقة العقلية، وانطلاقاً من التشريعات والقوانين الدولية الداعمة إلى توفير التعليم المناسب، على أيدي معلمون ذوي كفاءة ، وانطلاقاً من حرص السعودية على توفير التعليم المناسب للطلبة من ذوي الإعاقة العقلية، كل ذلك دفع الباحث لإجراء دراسته الحالية من أجل معرفة فاعلية برنامج تدريسي في تطوير مستوى الكفاءة التعليمية لعلمي الطلبة ذوي الإعاقة العقلية.

والإجابة عن السؤال المتعلق « بفاعلية البرنامج التدريسي المقترن في تطوير مستوى الكفاءة التعليمية لعلمي الطلاب ذوي الإعاقة العقلية في السعودية ». فقد تبين من خلال تحليل النتائج هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($p < 0.05$) على جميع مجالات البرنامج التدريسي (التخطيط للتدريس، تنفيذ التدريس، الإدارة الصحفية، تقييم التدريس) لصالح أداء أفراد المجموعة التجريبية على الاختبار البعدي، كما أكدت النتائج أيضاً إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($p < 0.05$) لأداء المعلمين البعدي على كل بعد من أبعاد المقياس وعلى المقياس ككل والمتعلق بمستوى كفاءتهم التعليمية وحسب المتغير الاختبار المجموع (التجريبية، والضابطة) وهذا يؤكد أن البرنامج التدريسي المطبق في هذا البحث قد ساهم في تحسين مستوى الكفاءة التعليمية لدى أفراد المجموعة التجريبية من المعلمين مقارنة مع أقرانهم من المعلمين في المجموعة الضابطة. وقد يعود ذلك إلى شمول البرنامج التدريسي المطور لجميع جوانب العملية التدريسية من حيث التخطيط للتدريس، وبناء البرنامج التربوي الفردي، وأساليب التدريس والوسائل التعليمية، وكيفية تنفيذ التدريس، وأساليب جذب انتباه الطلبة والتهيئة للتدريس، كما اشتمل على كل ما هو حديث وجديد في مجال تقييم أداء الطلبة وتطوير قدرة المعلمين على مراقبة مدى تقديم الطلبة في جميع المهارات.

كما أن من الأسباب التي من الممكن أنها ساهمت في تطوير مستوى الكفاءة لدى المعلمين هو الأساليب المتنوعة التي استخدمت في تدريب المعلمين، من حيث تحملهم للجزء الأكبر من

المسؤولية في تطوير أنفسهم، وفي الاعتماد على التطبيق العملي ل معظم الأنشطة الواردة في البرنامج التدريسي من قبل المعلمين أنفسهم. وهذا يتفق تماما مع النتائج التي توصلت إليها كثير من الدراسات التي تبحث في فعالية البرامج التدريبية ومعرفة أثرها على جانب أو أكثر من جوانب وأبعاد الكفايات التعليمية للمعلمين، منها النتائج التي توصل إليها الخطيب (٢٠٠٤)، حيث دلت النتائج إلى أن البرنامج التدريسي المنظور من قبل الباحث كان فعالا في تطوير مستوى معرفة معلمي الأطفال الموقنين عقليا، وهذا يعني أن معرفة المعلمين الذين تلقوا البرنامج التدريسي تحسنت بشكل ملحوظ بالمقارنة مع المعلمين الذين لم يتلقوا البرنامج التدريسي، كما أكدت النتائج أن ثمة حاجة فعلية إلى دعم المعلمين ببرامج التدريب في أثناء الخدمة وعدم الاكتفاء بالتدريب قبل الخدمة.

كما اتفقت نتائج الدراسة مع الدراسة التي أجراها كل من برودر، كارفون، ديفز، فالين، كورتاد، ولتل (Browder, Karvonen, Fallin, Courtade & Little, 2012) التي أشارت إلى وجود علاقة إيجابية بين تدريب المعلمين وأشارتهم في برامج تدريبية ونتائج الطلبة. وجاءت متوافقة أيضا مع الدراسة التي أجراها كل من هردريلك والبيزابيث (Frederick, Elizabeth 2009) والتي أشارات إلى فعالية البرنامج التدريسي المصمم لتطوير مهارات المعلمين في تدريب الطلبة ذوي الإعاقة العقلية الشديدة .

ومن خلال النتائج التي تم استعراضها تستطيع أن تقول بأن نتيجة الدراسة الحالية تعتبر أحد الدلائل التي تدعم برامج تدريب المعلمين أثناء الخدمة؛ من أجل تحسين وتطوير أبعاد الكفاءة التعليمية لمعلمي الطلبة ذوي الإعاقة العقلية ومن أجل دعم فكرة التنمية المهنية لمعلمي الطلبة ذوي الإعاقة العقلية في أثناء الخدمة؛ تحقيقا للتشريعات العالمية التي تؤكد على توفير التعليم المناسب على أيدي معلمين مهرة وذوو كفاءة للطلبة ذوي الإعاقة العقلية والذي يرتبط ارتباطا وثيقا بكفاءة المعلمين.

المراجع العربية

- (١) الحريري، راهدة (٢٠٠٧). التقويم التربوي الشامل للمؤسسة المدرسية، ط١، عمان، السعودية، دار الفكر.
- (٢) الخطيب، جمال (٢٠٠٤). فاعلية برنامج تدريسي في تطوير مستوى معرفة معلمي الأطفال المعاقين عقلياً يمبادئ تعديل السلوك وأساليبه، العلوم التربوية والنفسية، كلية التربية، جامعة البحرين، المجلد ٣، ص ٢٤١-٢٦١.
- (٣) الخطيب، جمال (٢٠٠٥). أثر برنامج تدريسي جمعي في تحسين مستوى معرفة معلمي الأطفال المعاقين عقلياً بمهارات تعديل السلوك، اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس، المجلد الثالث، العدد الثاني، ص ١٠١-١١٦.
- (٤) المجلس الأعلى لشؤون الأسرة (٢٠٠٨). سلسلة النوعية لحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة، الدوحة، قطر.
- (٥) يخش، أميرة (١٩٩٧). فاعلية برنامج لتنمية المهارات الاجتماعية في خفض مستوى النشاط الزائد لدى الأطفال المعاقين عقلياً، مجلة كلية التربية، العدد ٢١، يونيو ١٩٩٧، ٩٧-١٢٢، جامعة عين شمس، القاهرة.
- (٦) حمادات، محمد (٢٠٠٧). وظائف وقضايا معاصرة في الإدارة التربوية، ط١، عمان، السعودية، دار الحامد.
- (٧) عبد الحميد، جابر (٢٠٠٦). اتجاهات وتجارب معاصرة في تقويم اداء التلميذ والمدارس ، القاهرة، مصر، دار الفكر العربي.
- (٨) مدبوبي، محمد عبد الخالق (٢٠٠٢). التنمية المهنية للمعلمين في الاتجاهات المعاصرة، المدخل، الإستراتيجية، ط١، العين- الإمارات العربية المتحدة .
- (٩) وبح، محمد عبد الرزاق (٢٠٠٢). منظومة تكوين المعلم في ضوء معايير الجودة الشاملة. ط١، دار الفكر، عمان.

المراجع الأجنبية

1. Bouk, E., C. (2014). Secondary Special Education: Perspective of Pre-service Preparation and Satisfaction. Teacher Education and Special Education, Vol. 27.N0 400,000.
2. Browder, D., Karvonen, M., Davis, S., Fallin, K., Courtade, M., & Little, G. (2012). The Impact of Teacher Training on State Alternate Assessment Scores. Exceptional Children, Vol.71 ,3 , p267-282.
3. Carlson, E., Lee, H.& Westat, K. (2011), Identifying Attributes of High Quality Special Education Teachers. Teacher Education and Special Education, Vol. 27.No 4,000-000.
4. CEC-Council for Exceptional Children. (2010), Professional standards. <http://cecd.sped.org>.
5. Cook, L. (2011). When in Rome: Influences on Special Education Student- Teacher

- Teaching- International Journal of Special Education, Vol 22, No.3000-000.
6. Fredericks, & Elizabeth, M. (2009). The Effectiveness of the Specific Skills Development Teacher Training Program for Paraprofessionals. Dissertation, Doctor Theses, Texas University.
 7. Hallahan, D., P. & Kauffman, J., M. (2006). Exceptional Learners: Introduction to Special Education, (10th Ed) New Jersey, Englewood Cliffs: Prentice-Hall.
 8. Hallahan, Daniel, P., Kauffman, James, M., & Pullen, Paige, C. (2009). Exceptional Learners: An Introduction to Special Education. 11th Ed, Pearson Education, Inc, New Jersey.
 9. Hrydowy, E., & Martin, G. (2008). A practical Staff Management Package for Use in a Training Program for Person with Development Disabilities. Journal of Applied Behavior Analysis, Vol, 15, P111-122.

12. Do financial statements provide you information on the following data?

Reasons of failure	Very Opposing	Opposing	Neutral	Agreeing	Very agreeing
Commercial					
Security					
Strategy					
Equipment					
Security					
Reputation					
Delivery of services					
Stakeholder management					
Technology					

11. The reasons for the failure of your projects are due to:

Reasons of failure	Very Opposing	Opposing	Neutral	Agreeing	Very agreeing
Commercial					
Security					
Strategy					
Equipment					
Security					
Reputation					
Delivery of services					
Stakeholder management					
Technology					

	Very Opposing	Opposing	Neutral	Agreeing	Very agreeing	
Commercial						Stakeholder management
Security						Delivery of services
Strategy						Reputation
Equipment						Technology
Security						
Commercial						
Strategy						
Equipment						
Reputation						
Delivery of services						
Technology						

10. Most important risks facing the project are as follows:

ý After you have identified the following types of risks, please answer the following questions.

Types of business risks in small and medium enterprises	
Types of Risks	Description
Commercial	This product includes businesses that are related to market and business growth, diversification and commercial success, the viability of products and services, and the extent to which growth can do on the basis of the base customers
Security	This product includes security achievement for everyone associated with the business. They include personnel safety, workplace safety, public safety, and the safety of products and services offered
Strategy	Planning and resources required to establish, the growth and expansion of business
Equipment	This product includes the utilization of equipment in the operations. It includes the general operations of the equipment, maintenance, and appropriate, extinction and update
Security	It includes public security work, assets and individuals, and extends to information security and intellectual property rights and technology.
Reputation	The threat to reputation is a threat to the organization as a whole. It depends on the behavior of the organization behaviour as a whole. It extends to the viability of products and services, the behavior of users and other individuals associated with the work.
Delivery of services	This product includes the quality of the service provider, the manner in which the service is provided, the interaction after provide the service
Stakeholder management	It involves identifying and establishing and maintaining appropriate relationships with each of the owners of the external and internal interests
Technology	It includes application management, maintenance and modernization of technology

- - Personal fund
- - Borrow from bank
- - Share

9. Most important problems facing your projects are:

	Very Opposing	Opposing	Neutral	Agreeing	Very agreeing
Lack of experience and management					
Lack of technical skill					
Lack of personal funds					
The difficulty of bank financing					
The lack of government assistance					

Questionnaire

1. Facility Name: (optional)

2. Employment: (Select one of the following elements)

- Industry / Industrial Services / agricultural industries.
- Information / services / agriculture / technology and communications.

The legal form of the entity:

- - Individual Facility
- - Solidarity Company
- - Partnership Company
- - Others

4. The general shape of the project:

- - Individual Project
- - Family Project
- - Sharing with others
- Permanent Workers + Temporary Workers = Total

5. The number of workers in the facility:

6. Size of Capital:

- Fixed.....
- Worker

7. The method of acquiring the work site: (choose one of the following elements)

- Ownership
- Rent
- Mortgaging
- Investment

8. Structure of funds in the project:

References

- Fatima Ahmed Hassan Ashour, "the feasibility of financing small and medium enterprises in the commercial banks," El Wast Bahraini Newspaper, issue No. 2439 (May 11, 2009), on the site
- <http://www.alwasatnews.com/2439/news/read/172213/1.html>
- El Mahrouk, Maher Hassan and Ehab "Importance and constraints of SMEs" SME Centre of the Arab Academy for Banking and Financial Sciences, Jordan 2006.
- Zakaria Dory and currency 2007 (risk management in small and medium enterprises from a strategic perspective, "the seventh Alsos International Scientific Conference, University of Zeitouneh Jordan, Faculty of Economics and Administrative Sciences 2007.
- Alsrj, Hussein Abdul Muttalib: the impact of Arab Customs Union, on small and medium industries in Arab countries, and the Egyptian Ministry of Trade and Industry, Egypt: 2007, p. 2.
- Altman ,E. Sabato, G. Wilson,N.,2010" The value of non-financial information in small and medium-sized enterprise risk management" The Journal of Credit Risk (1-33) Volume 6/Number 2, Summer 2010
- Tan, C., Chua,C.,2009 "Differential Reporting for SMEs: The Case of Singapore and a Supply and Demand Framework for Financial Information" SingaporeManagementUniversity-2009 Contact: samueltan.2006@accountancy.smu.edu.sg
- Jarvis,R.,&Collis,J.(2003)."IFRSsandDifferentialReporting.British Accounting Association". Annual Conference of the South Eastern Accounting Group. London Metropolitan University
- Holmes, S.,& Zimmer, I. (1994). "The Nature of the Small Firm." Australian Journal of Management, 19 (1), 97—120.
- HAILEY,J (1991)'THE SMALL BUSINESS SECTOR IN DEVELOPING ECONOMIES", Enterprise Group Cranfield School of Management Cranfield Institute of Technology Cranfield ,U.K.
- Hatten,T(2003)) " Small Business Management Entrepreneurship and Beyond" Second Edition, Houghton Mifflin Company, New york.
- Edelman,D, Nicholson,A.,2008" Arthur Anderson Auditors and Enron: What happened to their Texas CPA licenses?"Journal of Finance and Accountancy.
- Campbell (2005)"Risk Management Guide for Small Business" Global Risk Alliance Pty Ltd Jointly With NSW Department of State and Regional Development.
- Watson, J., and Everett, J. E. (1993). Defining small business failure. International Small Business Journal 11 , 35-48.
- Watson, J., and Everett, J. E. (1996). Do small businesses have high failure rates? Journal of Small Business Management 34, 45-62. Kennerley, M. and Neely,A.,2003 "Measuring performance in a changing business environment." Centre for Business Performance, Cranfield School of Management, Cranfield University, Cranfield, UK, International Journal of Operations & Production Management Vol. 23 No. 2, 2003 ,pp. 213-229
- PUBLICATION OF SMES CORPORATION , MALAYSIA : 2006

The above table that the samples of the study show the importance of non-financial data in the process of risk management for small and medium enterprises. This is clear where we find that the industry companies / Industrial Services / agro-industry consensus by 68.9%, while companies involved in the information / services / Agriculture Technology / and communications compatibility by 73.91% and when the value of the (P-value) equal to 0.063 which is greater than 5%. This means there is no statistically significant differences. This emphasizes the role of non-financial data in the process of risk management.

10 / Findings and Recommendations:

Research is mainly interested with the role of non-financial data in the management of small and medium enterprises risk in Saudi Arabia. The study concluded that it should provide data on the risks faced by small and medium enterprises that data and be in the form of non-financial, as it is difficult to financial statements contain those Remember where that data is characterized by its non-financial and non-quantitative lost metadata be represented in the regulatory data and legal data and data relating to the operations and data business and data security-related and data relating to the strategy and data relating to equipment and data related to security and data regarding the reputation of the facility and data relating to the extradition products.

The study has been applied by distributing 200 questionnaires, an enterprise engaged in the business environment Saudi Arabia. Lists were excluded, which do not represent a small business or medium establishments, according to the standard that was used in the classification of Malaysian establishment. It is relied upon the similarity of the business Malaysian business environment in Saudi Arabia. 116 lists are of correct survey. 41 lists belong to a manufacturing facility, whether Industry / Industrial services / agribusiness and the number 75 list related facility where areas of information / services / agriculture / and communications technology, according to the division of the Malaysian.

The results emphasize the importance of non-financial data in the disclosure of the risks that can't not be disclosed in the financial statements. They are necessary to manage risks of Small and Medium Enterprises.

The above table shows that the average ratio for Industry / Industrial Services / agribusiness 67.68% standard deviation of 18.74% while for information / services / agriculture technology / walatsalat 76.25% standard deviation of 10.60% and thus the Industry / Industrial Services / agro-industry consensus by 67.68 % that those risks affect the project be further continued, while the information / services / agriculture technology / communications approved by 76.25% of those risks and that the level of statistical significance (P-Value) 0.002, which is less than 5%, which means that the difference is of statistically significant.

9/ 3/4 Importance of this non-financial information when risk management for small and medium enterprises:

Procedure	Industry / Industrial Services / Agricultural Industries (N = 41)		Information / Services / Agriculture / and communications technology (n = 75)		Tests	P-value
	Term	Average ± standard deviation	Term	Average ± standard deviation		
Commercial	5-1	1.18±4.81	5-1	1.00±4.09	0.373	0.71
Safety	5-1	1.46±2.83	5-1	1.26±3.35	1.968	0.049
Strategy	5-1	1.38±3.78	5-1	1.07±43.87	0.373	0.711
hardware	5-1	1.27±3.78	5-1	0.920±4.21	2.106	0.037
Security	5-1	1.15±3.39	5-1	1.12±3.89	2.282	0.024
reputation	5-1	1.139±4.05	5-1	0.971±4.05	0.023	0.982
Delivery services	5-1	0.91±4.37	5-1	0.921±4.17	1.079	0.283
Owners of Technology interests	5-1	1.43±3.68	5-1	1.191±4.01	1.325	0.188
Total	37-15	5.826±30.05	38-20	3.391±31.65	1.877	0.063
Total percentage	90.6-0%	18.20±68.9%	93.8-37.5%	10.59±73.917%	1.877	0.063

9/3/2 Risks faced by small and medium enterprises:

Procedure	Industry / Industrial Services / Agricultural Industries (N = 41)		Information / Services / Agriculture / and communications technology (n = 75)		Tests	P-value
	Term	Average ± standard deviation	Term	Average ± standard deviation		
Commercial	5-1	1.32±3.83	5-1	1.032±4.04	0.950	0.344
Safety	5-1	1.35±3.78	5-1	1.078±4.00	0.957	0.341
Strategy	5-1	1.32±3.39	5-1	1.102±4.05	3.303	0.001
hardware	5-1	1.29±3.78	5-1	0.79±4.28	2.570	0.011
Security	5-1	1.10±3.78	5-1	0.87±4.16	2.033	0.044
reputation	5-1	1.24±3.51	5-1	1.12±3.83	1.389	0.168
Delivery services	5-1	1.22±4.05	5-1	1.09±4.19	0.620	0.536
Owners of Technology interests	5-1	1.26±3.63	5-1	1.35±3.85	0.854	0.395
Total	37-15	5.99±29.66	38-19	3.39±32.40	3.148	0.002
Total percentage	90.6-21.9%	18.74±67.68%	93.08-34.4%	10.60±76.25%	3.148	0.002

9/3 Results of the study sample response:

9/3/1 Problems facing small enterprises:

In analysis on the data related to the important problems facing small enterprises, we observed that 80% of small and medium enterprises suffer from a lack of administrative and technical expertise, as shown in the following table:

Problems of Small Enterprises

		Extremely approving	Approving	Neutral	Disapproving	Extremely Disapproving
Inexperienced in management	Number	33	60	5	9	9
	Percentage	32%	48%	4%	8%	8%
Inexperienced in technical management	Number	52	41	0	5	18
	Percentage	44%	36%	0	4%	16%
Shortage of personal money	Percentage	64%	32%	0	4%	0

This lack undoubtedly played a major role in the failure of small enterprises to do its effective role in the Saudi economy. This lack of administrative and technical efficiency has led to additional costs in excess of the cost of production and thus the ability of these projects to compete in the local market.

The following is a lack of personal funds. They were in the positive party equal to 96%. This is what underlines the lack of personal funds ability to meet work requirements, but the difficulty of bank financing. It has got a good proportion of the support for small entrepreneurs in that it constitutes one of the main difficulties faced by these projects and led to complicated procedures, high interest rates, and the weakness of the guarantees provided to banks, and an impaired ability to provide the required financial statements, as described in the following table, which shows the reasons for the difficulty in obtaining the necessary funds from the bank.

Sample	No. of distributed lists	No. of contained and used Lists		Number of listings that have not been answered		Excluded lists	
Industry / Industrial Services / Agro Industries	100	75	75%	12	12%	13	13%
Information Technology / Services / Agriculture / ICT	100	41	41%	50	50%	9	9%

Table shows the number of distributed, contained and excluded lists from the sample

It is noted that excluded listings are due to one of two reasons:

First: Complete answers are not included in the lists or by errors during refilling.

Second: It is related to the size of the facility. It can't not be described as a small or medium-enterprises in accordance with the former standard referred

- As for the only legal form it was noted that 72% of small enterprises took the form of individual companies and 28% form partnership companies as shown in the following table:

Legal Form	Individual	Solidarity	Limited partnership	Others
Number of Companies	88	11	17	0
Percentage	75.7%	0.94%	14.65%	0

The legal form of small and medium enterprises

- In general, it is only observed the predominance of individual character in the establishment of small projects on other species such as sharing with family members or with others and the figures were 52% for individual form and 24% of domestic form and 24% to share with others. In that a clear indication of what is said above in financing problems resulting from reliance on family or friends to secure the financial needs of the project that was at the foundation or to meet business needs,

for a small or medium enterprise, whether industrial or service projects and works in the business environment Arabia.

It should be noted that he was relying on the volume of sales in determining the type of project that was a big, medium, or small in size, depending on the division of the same followed in Malaysia, in accordance with the following schedule:

Category	Micro enterprises	Small enterprises	Medium enterprises
Industry	The annual sales volume of less than 250 thousand riyals, or	The annual sales volume of 250 thousand riyals, and less than / 10 / SR or a million	The annual sales volume of 10 million riyals, and less than / 25 / million riyals or
Industrial Services	The number of permanent workers less than / 5 / workers	The number of permanent workers between / 5 / workers and 50 workers	The number of permanent workers between / 51 / workers and 150 workers
Agricultural Industries			
Agriculture services	The annual sales volume of less than 200 thousand riyals, or	The annual sales volume of 200 thousand riyals, and less than / 1 / million riyals or	The annual sales volume of 1 million riyals, and less than / 5 / SR or a million
Information Technology	The number of permanent workers less than / 5 / workers	The number of permanent workers between / 5 / workers and 19 workers	The number of permanent workers between / 20 / workers and 50 workers
And communications			

In the list of survey, lists that increase their rates for specific rates were excluded according medium enterprises.

9/2 Description of study sample

The study sample was described by statistics through the use of statistical methods such as the frequency distribution for each variable of so descriptive variables.

The researcher distributed questionnaires to a sample containing 42 companies. The description of the study sample is as follows:

Number	Percentage	Type of Industry
15	35.6%	Industry / Industrial Services / agro industries
27	64.4%	Information / Services / Agriculture / ICT
42	100%	Total

A table showing the number of companies that questionnaires by (sample)have been distributed to them

- The following is a statement of distributed, contained and disposed lists:

ity of installations has headed to use non-financial performance measurements to provide additional information on the administrative efforts taking into account factors of costing. Kaplan mentions that changes in the manufacturing environment and the attendant an increase in the needs of customers and the intensity of competition has led to the need to provide new standards of operational performance of the business fit in with the modern industrial objectives, such as quality standards, inventory performance, productivity, flexibility. We can say that the current production environment requires the need to use non-money measures of performance, besides financial metrics to measure performance results in the long term. Non-financial performance metrics include the following:

- Standards related to quality
- Performance standards associated with the timeshare
- Flexibility standards
- Standards of raw materials and waste
- Inventory control measures
- Learning and innovation measures
- Pollution scale

It is worth mentioning that it can't do without the financial performance measures because they serve primarily the interests of owners and they established one of the most important stakeholders of any facility that non-financial performance measures do not eliminate or replace the financial metrics but they supplement them.

9 / Applied Study

To enable the researcher to test hypothesizes, the researcher has prepared a list survey intended to guide some questions for the study sample in order to determine the sample's views on the feasibility of the use of non-financial information alongside the financial information in small and medium enterprises risk management in the Kingdom of Saudi Arabia.

This will be clarified as follows:

9/1 Study sample Community

The study community represents in those who occupy management positions

the studies have confirmed that rely on traditional financial metrics for performance has dropped markedly, especially in the purposes of planning and control processes. While non-financial information is increasing as a means to measure and evaluate performance since it focuses on the success factors. Performance reports should not be limited to the variables that can be expressed in financial image only because managers will be focused on reducing costs while neglecting achieve the strategic goals that are difficult to measure in financial image also concluded in results (Kennerley , M. and Neely, A., 2003) that the majority of managers may now have limited confidence in the financial metrics of performance. This is due mainly to the shortcomings experienced by these standards, among which are the following:

The financial performance measures weaken the performance as it is historical in nature, focusing on the report on the activities that have occurred in previous periods and therefore considered inappropriate to guide managers in their search for improving current operations and future where they may be given misleading signals for continuous improvement and innovation, do not measure performance metrics financial value creation Given that these measures focus on the report on the results of previous actions only they provide a few references from the value determined by investors and other stakeholders of the actions of management in order to change the future events, especially those related to long-term, do not help traditional financial metrics managers to understand the factors that realize success in their premises, and financial performance measures also ignore the financial value of intangible assets of the entity, such as research and development, human resources and goodwill costs as well as provide the information you need administration for the purposes of making and internal control decisions. It also takes the financial performance measures directed its attention to maximizing output at the expense of quality which leads to encouragement to maximize output, even if it led to increased inventory and rising financial burden of this, financial metrics. The economic results focus on the unit with the omission of the impact that could be caused by the unit on a socially, economically and environmentally national level.

The shortcomings plaguing the financial metrics of performance and changes in the manufacturing environment and increased competition led that the major-

and non-financial information.

So research will focus on the role of information and non-financial data to predict failure and manage the threat to small and medium enterprises.

8 / Value of non-financial information in the management of the risks of Small and Medium Enterprises:

8/1 Concept of non-financial information and its importance:

Although the interest in the information is of Finance has begun a private increasing in recent times but whenever the included studies and research on a specific concept for this information, and many studies have shown that non-financial contain all information other than that contained in the financial statements and most of the notes attached to them as they include both of news information and quantitative information is financial, on the whole author sees that the non-financial information but refers to all the information that can be formulated in the form of non-financial whether the amount, such as: the number of workers, share marketing, operating statistics, ... etc or descriptive such as: the level of competition, the overall economic situation, provide competitors of new products, administrative efficiency etc.

Non-financial information has great interest by the decision-makers due to the following reasons:

The use of non-financial information supports reporting events that can't not be expressed in monetary units, non-financial information are the possibility to obtain in a timely manner is this characteristic of the most necessary for the operations management information properties, characterized by non-financial information that they are not exposed to the impact of distortions caused by some action accounting it is also easier and more understandable even by non-specialists in the field of accounting. The non-financial information is a source of immense value not only for auditors as a basis for the consolidation of many of the provisions of the review, but showed great play important role in many areas.

8/2 Non-financial Information and Performance evaluation:

The selection of appropriate performance measures is one of the most important challenges facing the overall facilities and businesses, in particular. Many of

7 / Small and Medium-Sized Enterprises failed to predict the failure of small and medium enterprises based on financial data:

Several studies (Altman, et al, 2010) tried to determine the rates and causes of small and medium-sized enterprises fail. Studies have concluded that there are two main kinds of the failure of these projects. **First:** inadequate capital. **Second:** inefficient planning.

On analyzing the process of failure of small and medium-sized enterprises, it is important to distinguish between failure and closure. A study (Watson and Everett.1996) referred to companies that shut down its activity may be financially successful company but does not continue its activities due to: the company's sales or decision of a person to his company to work with another company. The definition of failure indicates that there are five reasons for failure: lack of continue for any reason, occurrence of massive theft, failure to achieve financial goals, losses, and change in equity. One study found that only one third of companies do not continue to operate because the director is successful in the management of the activity. The focus of this study is on small and medium-sized enterprises accounts that have to do with liquidity, administration, receivership during the periods from 2000 to 2007.

Thus, we can say that the reason behind the Small and Medium Enterprises failure lies in the problems related to forecasting and so that many studies have focused on proposing models or develop objective models to predict the failure of small and medium enterprises are the most important model reached by studying models (Altman and Sabato.2007) is the famous model accounting rates SME1 model

A study of Altman and Sabato.2007 has made estimation model for companies and small and medium-sized US using five financial rates, which refers to the private profitability, liquidity trends, having Leverage financial coverage, coverage, business activity and so it is clear that previous studies have focused on forecasting models danger to assess risks in companies in order to predict the rate of failure that may occur. They have included these models accounting rates help predict failure and identify those models statistical models. We find that the studies focused on statistical models, have used financial accounting data, and ignored data

Types of business risks in small and medium enterprises	
Types of Business Risks	Concept
Finance	This listing includes cash flow, budget requirements and tax obligations, creditor and debtor management, accounting management and other concerns
Regulatory	Internal business requirements and improve the structure, culture and personnel issues related to active work operations
Legal	This product includes a commitment to legal requirements such as legislation, regulations, standards, contract requirements. This product extends to policies and procedures, and expectations set by the social environment, customers and the contractor
Operations	It includes activities of operations, resources and support requirements within the business processes that produce the successful development and delivery of products and services
Commercial	This product includes actions that are related to market and business growth, diversification and commercial success, the viability of products and services, and the extent to which growth can do on the basis of the base of customers
Safety	This product achieves security to each person associated with work. It includes personnel safety, workplace safety, public safety, and the safety of products and services offered
Strategy	It includes planning and resources required for the establishment and growth and business expansion.
Equipment	This includes a variety of equipment to take advantage of the processes and includes the general operations of the equipment, maintenance, and appropriate, extinction, update
Security	It includes public security work, assets and individuals, and extends to information security and intellectual property and technology rights
Reputation	The threat to reputation is a threat to the organization as a whole, which depends on the behavior of the organization. It extends to the viability of products and services, the behavior of users and other individuals associated with the work
Delivery of services	This product includes the quality of the service provider, the manner in which the service is provided, the interaction after provide the service
Stakeholder management	It includes identifying and establishing and maintaining appropriate relationships with each of the owners of the external and internal interests
Technology	It includes the application and the management and maintenance and modernization of technology

Sources From Campbell: "**Risk management guide for small business**" 2005
 Global Risk Alliance Pty Ltd jointly with NSW Department of State and Regional Development

Non-Accounting Standards:

It is used to supplement the accounting standards. These standards explain the size of a given risk by accounting standards and these standards are attached with quality and time. It may include certain views, such as the measurement of the level of customer satisfaction.

Indirect Measurements:

It is based on the accounting and non-accounting data such as ratings rendered by specialized external agencies and measurements of concentration according to the sectors or products, trend analysis, comparison of possible favorites.

To achieve risk assessment, we can use sensitivity analysis which can measure the scope of changes in net income or net cash flows if market prices changed to main product changes or important strategic factors occurred.

6/3 Types of Risk of Small and Medium-Sized Businesses:

We can identify these risks by taking into account the Risk Categories. The actions can encounter areas of risk, such as financial risk, security risk, reputational risk, operational risk. (Zechariah and Currency, 2007)

There are many regions or classes of risk related to small business, and varieties of risk are Specific Areas or Topics. They are of concern sequentially, and that this will provide structured entrance to verify the danger, which in turn will lead to a greater concentration within each class and stimulates thinking and increases the chance, identify a wide range of risks.

Varieties of danger risk can use the planning can help and delivery of hazard information by providing structured entrance to identify risk and which are done through brainstorming exercises. The following table shows the most common types of risk that are contrary to her small business (Campbell, 2005: 15).

of each company. In order manage risks, the company can use different types of measures that might help in reducing threats and reduce the devastating results if achieved.

Institute of Chartered Accountants in England has divided them into the following measures:-

* **Standards resulting from the contracts:** It includes insurance includes the use of financial instruments to hedge against fluctuations of cash flows in future and penal conditions and the terms of participation in danger in working contracts with suppliers.

* **Standards that rely on balancing risk:** It may include the application of the internal control system, diversification, joint ventures, or the lack of investment and conditional planning work in the event of natural disasters and other accidents.

* **Other possible standards of special Economic Threats:** Accepting the risks that are less likely or less sensible measure that can avoid the risk together if the company itself is threatened to certain threats because it assessed the risks associated with them to be high.

Usually the companies writes down in its annual report that they use a system of internal control to prevent economic threats or to it has a risk management system operates at a certain level. It can also give confidence to this information by the report of the internal audit department, which can be found in the annual reports. It can increase confidence in the financial information about risk management in the company through the External Auditor. There are no rules of any part of the report that includes information from the company's various activities also.

C) Report on the accounting standards and the size of the danger:

Direct threat measurement depends on the potential cash as a result economic threats and prospects. This measurement can't be used for a lot of risks. So, the size of the risk is measured indirectly and can use different standards to evaluate the size of the danger of them:

Direct Accounting Standards:

It is reflected in the standards of disclosure for some economic measures such as provisioning and disclosure of conditional commitments. Also, the risk is high when recognition of the evaluation of the current value of future cash flows.

pricing, and performance measurement) and financial (related to planning, accounting information) and strategy (linked to performance measurement, organizational structure and resource allocation, and examination of the environmental)

In Britain, the risks are classified into six categories, namely:-

1. 1. Financial risk.
2. 2. Operations risk.
3. 3. Empowerments risk.
4. 4. Information processing risks pertaining to the operation of information and technology.
5. 5. Integrity risk
6. 6. Strategic risk

The risks can be divided into four categories as follows:

- Risks at the global level
- Risks at the local market level
- The risks at an industry level
- The risk at a company level

It is worth mentioning that the rating does not in itself represent a great importance in the good report and manage risks, it is necessary to disclose the risks and opportunities that have an impact on the company's survival and its future development. We should not mention this risk only in the report, but should be linked to company strategy and means of their application and to clarify what should be understood from these risks.

B) The report on risk management activities:

The report consists of the risk management activities of two parts:-

First: It displays General features of the system applicable to the company's risk management.

Second: - It includes description of the measures taken or to be taken in the future by the company to manage key risks.

These standards may vary between companies within the same sector as a result of the different strategies and objectives and different characteristics to the risk

can be compared and understood and addressed in the future.

This is done through providing the following information:

- a. Identify opportunities and threats and major risks associated with them.
- b. Description of decisions taken by the company to manage risks.
- c. Explain how the company measures the risk and its impact on the company.

Report on the main opportunities and threats:

There should be in the company a system to identify and assess threats and various economic opportunities and risks associated with them to manage risks efficiently and effectively, especially as there are no rules or guidelines define the importance of risk that is to be disclosed or Fiji part of the report disclosed.

To provide information about the risks of these risks, it should be classified according to the one standard. A computerized literature has found many classifications of these risks, including the classification of Arthur Anderson for the year 1997 where it divided the risks to L (Edelman, Nicholson, 2008)

1. Risks resulting from the external environment in which the company operates, such as risks arising from natural factors, political, legal market, economic, community.
2. Risks resulting from the internal environment through activities and processes within the company

Risks are divided into:

- Financial Risks (price, liquidity, credit).
- Risks linked to information and information technology (trusted production).
- Risks linked to rehabilitation and the secretariat staff (granting authority, communication, fraud, impact on reputation).
- Risks associated with the company's activities (such as product development, customer satisfaction, products and services fail, the possibility of inactivity).
- Risks related to the information used by managers and senior management in decision-making company, which is divided into operational (linked to

company's activities at all levels.

These activities must be understood, handled and applied in light of the various factors and possible changes in internal factors such as the structure of the organization, its culture and its resources, strategy and motivation as well as external factors related to the regulatory environment, such as the system of economic and social policy and the market climate.

6/2 Report on and manage risks in the annual reports of the company

Although the annual financial reports of public companies already provide some information about the risks and risk management as a result of economic and legal requirements or the decisions of self-management that it is impossible not to believe that they include all aspects associated with the report on risks management.

The researchers believed that the risks facing the company arise from the conditions of uncertainty surrounding the company. For example the recognition of financial assets is only possible if there is a possibility of the existence of the flow of future economic benefits for the company and the ability to measure reliably the company can control. According to international accounting standards, the future economic benefits that are of high risk can't be recognized as assets but can be disclosed as conditional assets.

In general, the problem of uncertainty and risk are common in light of the use of the entrance of the building on the disclosure of the fair values when the company is willing to recognize or record the value of the assets at the present value of future cash flows, such as financial instruments.

The report mainly related to risk and risk management of those accounting standards that deal with the report on the provisions and obligations and conditional assets and conditional execution of customers' financial instruments, disclosure of the significant events after the balance sheet assets and the history of off-budget obligations outside the budget and sector reports of and obligations of contracts with other companies and to recognize the results of the re asset valuation.

The annual reports should include information on the risks management provided that this information should be important and relevant and reliable which

- Small and medium enterprises rely on intensive labor and tend to the distribution of income more equitably compared to large enterprises. They play an important role in creating employment opportunities, thus alleviating the poverty as they often provide opportunities to work for a reasonable wage for workers from poor families and women who lack alternative sources of income.
- Small and medium enterprises contribute to raising the efficiency of resource allocation in developing countries. They tend to adopt labor-intensive production methods, reflecting the development of those countries in terms of abundant labor force and a scarcity of capital. As the activity of projects have expanded in the informal markets, prices of factors of production and the products reflect better opportunity costs compared to the prices they handle large projects.
- Small and medium enterprises support the overall productive capacity-building. It helps to absorb productive resources at all levels of the economy.
- The pace of technological development has led to the increase of change of productivity technique used in many industries. The spread of production batches has motivated to the important to establish smaller factories rate and lower investment cost that each plant focuses on the production of a few minute of goods or required by industries certain to meet the small orders of certain goods or services.

6 / Risk Management:

6/1 Definition of Risk Management:

The role of risk management is "doing some activities that aim to exclude and to reduce the threats and exploit opportunities so the company can achieve its objectives successfully."

Risk management should become part of the activities undertaken by the management because they are necessary for the formation of policy and strategy and objectives as well as to organize, plan and start to control the implementation of activities aimed to manage the risks. Therefore, it is necessary to establish a system for identifying and quantifying the risks and control the application of risk management measures that included in all levels of management and become part of the

tion of these facilities:

Schedule to define projects in Malaysia

Category	Micro-Enterprises	Small Enterprises	Medium enterprises
Industry of Industrial Services	The annual sales volume of less than 250 thousand ringgit, or The number of permanent workers less than / 5 / workers	The annual sales volume of 250 thousand ringgit, and less than / 10 / million or ringgit The number of permanent workers between / 5 / workers and 50 workers.	The annual sales volume of 10 million ringgit, and less than / 25 / million or ringgit The number of permanent workers between / 51 / workers and 150 workers
Agriculture services Information and Communication Technology	The annual sales volume of less than 200 thousand ringgit, or The number of permanent workers less than / 5 / workers	The annual sales volume of 200 thousand ringgit, and less than / 1 / million or ringgit The number of permanent workers between / 5 / workers and 19 workers.	The annual sales volume of 1 million ringgit, and less than / 5 / million or ringgit The number of permanent workers between / 20 / workers and 50 workers

Note: (1) Roughly equivalent to US \$ 3.20 Malaysian ringgit (RM)

The source:

PUBLICATION OF SMES CORPORATION, MALAYSIA: 2006

5/2 The Importance of Small and Medium Enterprises

The beginning of the interest of small and medium enterprises was done after the collapse of the financial situation in the mid-eighties in most countries of the world, especially in his inability to continue to create large institutions and even maintain the existing ones. The changes witnessed by the world, which resulted in trade liberalization and globalization as well as progress in economic reform in many Arab countries has increased the importance of the private sector in economic development. So the small and medium enterprises can contribute to economic and social recovery, and contribute to the creation of new job positions and the reintegration of demobilized work from the public sector. The importance of these institutions has been proved economically and socially through their ability to distribute, especially in the services and manufacturing industries and economic activity, and the results became apparent in developed countries.

The importance of the contribution of small and medium enterprises in the economic and social development process is due to the following reasons: (Fatima, 2009)

financial information only.

5 / Definition and importance of small and medium enterprises

5/1 Small and Medium enterprises Definition

When review of the literature of dealing with this sector, we find a wide range of terms used to refer. This terminology is Micro Enterprise, the Informal Sector, Small Business, Small Firms, Small Enterprise, Small -scale Enterprise, Small and Medium-sized Enterprise. (Hailey, 1991: P2) Others believe that small business depends on the criteria that will be used to determine what is "small" (HattenK, 2003 "P5). There are various definitions of small and medium-sized companies widely depending on the country and the source, but the criteria used normally includes a number of employees, and net assets, sales, and the level of investment. The EU has identified small and medium-sized companies in a recommendation in 2003 as companies that "employ less than 250 people and an annual turnover not exceeding EURO 50 million, and / or the total annual balance sheet does not exceed 43 million euros." These definitions are classified by Jarvis and Collis (2003), as the definitions of quantity. On the other hand, the researchers note that the use of specific definitions might be better because it takes into account the needs of stakeholders that not protected in public companies. Holmes and Zimmer, (1994) explained that quality definitions may be a "problem" when they are classified Qualitatively as large companies quantified as "small." Thus, those who set the standard took best of two definitions by definition including both quantitative generally accepted and the quality standards that take into account maximize the benefits for users of small businesses quantified financial data standards. (Tan, et al, 2009)

The term of small businesses is a broad term that has widely spread. There is more focus on its importance recently, despite its presence practically since the beginning of the form of communities. This term includes "activities ranging from self-employed or in a small facility used a certain number of workers and the term is not limited to facilities of private sector, business owners and employees, but it also includes cooperatives and family production, or household groups."

Small enterprises in Malaysia are defined through the criterion of annual sales volume or standard number of permanent workers and are based upon to the distinction between medium and micro. The following table provides a precise defini-

tant should be available in the kind of projects in order to continue the means and the ability to survive and grow.

Management risks process relies on a lot of information, whether financial information or non-financial, but most previous studies have focused on studies of the value of financial information, but few studies that focused on studying the non-financial information valuable in the management of the risk of small enterprises and medium-sized. (Altman, et al '2010).

2 / Research problem

The problem for research mainly in the small and medium enterprises plays an important role in the economies of developing countries. The most important of these countries are Saudi Arabia. The small and medium enterprises face many challenges. The most important challenges related to funding comes as a result of rejection. This comes as a result of the refusal of commercial banks to finance these projects for reasons of the growing risks faced by those projects, along with the lack of project management in those concerned with the management of the risks faced by those enterprises.

On the other hand, if management of these projects is available, primary reliance shall be on the financial information and neglecting the non-financial information, and so the search will try to focus on the value of non-financial information at risk small and medium-sized projects in Saudi Arabia management.

3 / Importance of Search

- Search mainly focused on the impact of non-financial information to improve the risk management process of HR medium and small size.
- Search also is interested in the reasons for small and medium-sized enterprises and the failure of trying to meet these reasons for the failure of this non-financial information.

4 / Assessment of Search

The assessment of search is summarized in:

The increase of adoption of small and medium-sized projects of non-financial information leads to improve the risk management process more than reliance on

Introduction:

Many researchers believe that the development of small and medium-sized enterprises and promote its establishment is the most important aspects of economic and social development in developing countries process, as a key starting point to increase the production capacity of the hand, and contribute to tackling the problems of poverty and unemployment on the other. Therefore, many countries give priority a growing interest in these projects, and provided help and assistance in various ways, according to the possibilities available. The most countries interested in medium-sized and small businesses are Saudi Arabia, where small and medium contribute more than 50% of Saudi Arabia's national income and companies, we find that those companies financial flow is an important element for the growth of the economy and profitability.

These projects in Saudi Arabia received the different forms of care and support, from the public and private sectors for large contribution to the industry as well as in the service sector, for example, small and medium enterprises accounting for almost 90% of the establishments in the world and employ (50% - 60 %) of the global workforce. (El Mahrouk et al., 2006). It was a must to provide support in various forms to these vital sectors because of its importance, and even get rid of the most important obstacles facing small and medium enterprises, namely the inability of the owners to provide the necessary funding for the continuation of its activity, and lack of also their ability to provide adequate guarantees required by traditional commercial banks to provide funding. Banks trade usually contribute to large projects, and prefers to deal and make loans to them, because of the low degree of risk among these projects on the one hand, and for ease of banks with it treated the other hand, and its ability to provide the required guarantees from third hand, or the existence for concerns goals.

One of the main reasons why commercial banks are reluctant to finance in small and medium enterprises is the lack of competent management administers risk within the small and medium-sized enterprises. Small and medium-sized businesses face many risks when doing business, leading to the exposure of this business to many crises. So the business organizations that want to stay in the business world and compete efficiently in the market to looking for ways to enable them to survive. So business risk management process is considered one of the most impor-

ABSTRACT

The studies about the role of non-financial information in risk management for small and medium enterprises are rare; thus, most of the previous studies have focused on the role of financial data in risk management for small and medium enterprises; as well as focusing on the role of financial and non-financial data, but with regard to the large enterprises. Therefore, this study has focused on the small and medium enterprises, operating within the Saudi business environment, in addition to focusing on the role of non-financial information in risk management for these enterprises. In this regard, the study's sample consisted of (116) enterprises; and the study has concluded that non-financial data essentially affects the process of risk management at the small and medium enterprises, working within the Saudi business environment.



جامعة تشرين

The value of non-financial information in Small and Medium- Sized Enterprise Risk Management in Saudi Arabia

Dr. Abdullah Thuail AlOtaibi

Associate Accounting Professor in
business college at Northern Border University



الادارة والاقتصاد

will contribute to improving the status of specialists in various levels, who can create a strong link among university objectives, work-markets, and a brighter and more promising future for the Kingdom of Saudi Arabia.

Islamic Studies:

- 9- This paper "Verses of voice-raising and –lowering in the presence of the Prophet," by Noor el-Deen Haroon, looks into the circumstances during which his allies chose the right tone of voice in his address. The author not only brings in a number of justifications for this profile-raising conduct but also contrasts it to a now- commonplace disrespect for the prophet.
- 10- This paper, "Punishable Medical errors in both Saudi and Emirati legal systems," by Mamduh Al-Anzi, handles the nature medical errors that demand patients' compensation. It also determines some criminal disciplinary procedures defined by the legal systems in Saudi Arabia and Arab Emirates. In its second division the paper looks into the applications of these penal practices.

international accounting standards. The study proposes a number of recommendations, e.g., considering the environmental conditions for the Kingdom at the application of international standards, and modifying some internal systems in accordance with the requirements of the application of international accounting standards.

- 5- This paper, "The Role of Logistic Costs in Supporting the proposed 'Center of Crisis Management' in Taif University" by Saber Al-Ghannam, considers the need for a crisis center for Taif University, the local society, the whole nation and the surrounding outside world. To prevent any human or materialistic losses that threaten the University survival, it concentrates on many scientific methodologies such centers employ especially in providing learning opportunities for students, managers, leaders and workers.
- 6- This paper, "Using Six Sigma to improve the quality of providing health services in Taif city," by Ashraf Hammam, attempts to identify the nature of efforts and activities performed by workers in health institutions in Taif. Its other objective is to analyze and apply the Six Sigma phases in presenting the various dimensions of such method to advance provisions in many of Taif health institutions. The study, whose sample subjects were 315, reveals some positive aspects for the interest of tested methodology.

Educational Administration :

- 7- The paper, "Foundations and means of achieving intellectual security from the point of view of academic pioneers in some Saudi universities," by Mansour Al-Otaibi, expands a number of variables to establish living stability and environmental continuity. It reports the results of a study performed on 231 academic leaders in 4 universities: Najran, Salman bin Abdul-Aziz, Al-Majm'a and Taif, and offered some instances of intellectual security: individual, familial and societal.
- 8- The paper, "Saudi Higher National Education: Reality & Horizons" is an attempt on the part of its author, Nayef Mohaylib Al-Shemmar, to trace the development of national education: its motivations, targets, objectives, programs, research, staff, role in social and leading activities, ... etc. The author emphasizes that this type of education

TABLE OF CONTENTS

Arabic Studies :

- 1- This paper, "Between Discourse Analysis and Critical Discourse Analysis: An Investigation into the Development of Discourse Studies by Jam'an Abdul-Karim," traces the founding of discourse analysis and critical discourse analysis, an objective the necessitated a return to discourse concepts and its analysis. The paper then moved to critical discourse analysis not only to clarify it but also to provide a closer look into its development in both Western and Arabic studies.
- 2- The paper, "The effect of beliefs on interpreting devices, formulae and structures: Religious discourse as a model," by Mohamed 'ubayd, throws light on elucidating the force of conviction upon grammatical analysis. Taking into consideration his cultural, religious and psychological orientation, the reader will come up with his/her own assessment of the linguistic structures and tools.
- 3- The paper, "The questions of grammatical difference in Al-Kamil by Abi Al-Abbas Al-Mubarrad (died 285): A Combinational, taxonomic and analytic approach," by Najat Al-Yazihi, has one major objective: singling out the points of difference in that significant traditional source on Arabic grammar. This has been achieved via proposing taxonomic presentation of the main grammatical differences which came to be four foremost topics: conjunctions, adjunctions, articles, and some miscellaneous point.

Business Administration:

- 4- The paper, "Evaluation Measurement and Disclosure of Investments in Saudi Companies in light of some Recent Trends of International Accounting Standards," by Mohamed Arab, attempts an evaluation of the measurement and disclosure of accounting for investments. It also identifies some problems and obstacles that prevent the preparation of financial statements of companies subject to the requirements of

Taif University

Journal of Humanities

Fourth Edition - Volume 14: 1437-2016

Editorial Board

Prof. Turki Salim Al Mansouri

Prof. Turki Kdimis Al-Otaibi

Dr. Nasser Saud Qathami

Dr. Ali Atiq al-Maliki

Technical Assistants

Adel S Al-Rawqi

Salman A Al-Sulaimani

Adel A Al-Humaidi